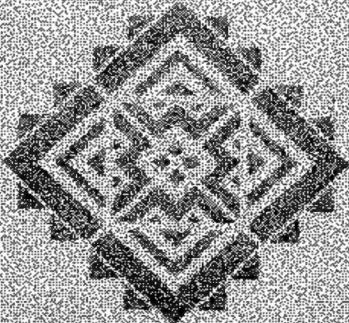
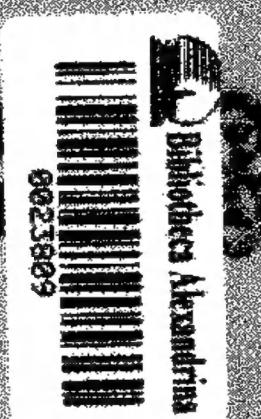
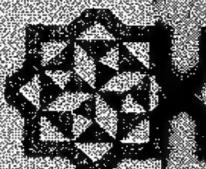
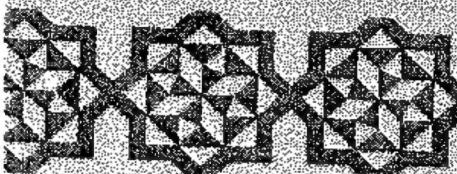


دراسات إسلامية



الكتاب المقدس في الإسلام

قطب إبراهيم محمد



دراسات إسلامية

السياسة المالية لعمرو بن عبد العزىز

قطب ابراهيم محمد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٨

الإخراج الفني : م ° ماجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

دعاني لاختيار موضوع هذا الكتاب وهو عن «السياسة المالية» لعمر بن عبد العزيز ، الرغبة في تقديم نموذج إسلامي متكامل لسياسة عامة حققت ازدهار الوطن ورفاهية الشعب واستقرار المجتمع نتيجة لما اتسم به رئيس الدولة من ثقوى وعلم وعدل وزهد في الأموال العامة و اختيار مستشاريه وتعييناته وعماله على أساس القدرة والكفاية . فلما رجعت إلى ما كتب عن سيرة عمر بن عبد العزيز تبين أنها حظيت باهتمام الكثير من الكتاب غير أن ما خص منها السياسة المالية العامة للدولة قليل ، لا تكتمل معه عناصرها من إيرادات عامة للدولة ونفقات عامة وإدارة مالية توجه كلها من الإيرادات والنفقات لتحقيق الأهداف العامة .

وربما كان عذرهم في ذلك أن مناقشة السياسة المالية في عهد من السهود تتطلب تخصصا في الفن المالي يسكن معه الكاتب من دراسة الواقع التاريخية لذلك العهد وتحليلها واستنباط ما له منها علاقة بالمال العام وترتيبها وإدراجها داخل الأطار الفنى للسياسة المالية ثم مقارنتها بالسياسات المالية السابقة وتتبع طرق تطبيقها وما أسفرت عنه من نتائج ومدى مساعدة هذه النتائج في تحقيق المصالح العليا للدولة ورفاهية الشعب . وللوصول بصورة متكاملة عن السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز وضفت هذا الكتاب في بدايات بحثه عناصر السياسة المالية العامة الإسلامية وتحليل عام للسياسات المالية للخلفاء الراشدين وما طرأ عليها بعدهم من مخالفات وتجاوزات في عهد خلفاء

بني أمية السابقين لعهده عمر بن عبد العزيز ثم تسلسلت فأوضحت كيف ألت الخلافة إليه ولم يكن راغبا فيها واخترت ماله صلة بسياسته المالية من أقواله وبلورتها وانتهت إلى أنها سياسة للاصلاح المالي اقترن بسياسة للاصلاح الاقتصادي ، وتبعت تطبيق هذه السياسة على الإيرادات العامة للدولة الإسلامية في عهده ايراداً ايراداً وكذلك على النفقات العامة سواء أكانت مخصصة وهي نفقات الزكاة وخمس الغنائم أم مطلقة وتمول من ايرادات الجزية والخراج وعشرون التجارة ثم أوضحت كيفية امتداد تيار الاصلاح العام لادارة المالية العامة وأن ذلك كان بترشيد عمالة الدولة وقيام الادارة على المبادئ الفاضلة والقدوة الحسنة التي بداعها رئيس الدولة بنفسه فزهد وعاتله في الأموال العامة ودقق في اختيار مستشاريه وعين ولاته وعماله على اساس الكفاءة المطلقة والبس نشاط المالية العامة للدولة رداء التقوى فاقتدى فيها بالرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده وأقامها على المنشورة وأحاطها بالعدل وقادها بالرفق والتيسير على الرعية فحققت فيض الأموال وكفلت غنى الشعب وكفاية الفقير وأعزاز المسكين في ظل نظام عادل وشامل للعطاء وسياسة حازمة لرد المظالم أنصفت المظلومين من الظالمين فردت الحقوق المغتصبة إلى أهلها وبذلك حققت السياسة المالية الازدهار وأشاعت الأمن والاستقرار في عهده .

هذا وقد تتبع سياسته المالية بعد وفاته وأوضحت أن بعض خلفاء بنى أمية بعده حادوا عن سياسته ، فعادت إليها تجاوزات ومخالفات ساهمت في نهاية حكم الأمويين .

ولما كانت سياسة الاصلاح المالي التي وضعها «عمر بن عبد العزيز» جديرة بأن تتخذ نموذجاً يهتدى به في العصور الحديثة لانجاح سياسات الاصلاح المالي التي تقوم بها الدول لازالة ما أصاب مالياتها العامة من عجز وخلل في التوازن وما اعترافها من تجاوزات ومخالفات في التطبيق فلذلك شخصت ثغرات الماليات العامة الحديثة وأوضحت ما يمكن اقتباسه من مسالك الاصلاح التي سلكها عمر بن عبد العزيز في القرن الأول من الهجرة لعلاج مثل هذه الثغرات بعد تطويرها لثلاثم أوضاع المالية العامة لكل دولة .

ولما كانت ملوكيات عمر بن عبد العزيز وسياساته محل تنويه رؤساء الدول والحكام والآلة والكتاب والشعراء على مر العصور ، فقد ختمت الكتاب بشهادات صدق صدرت منهم وبذلك يكون لدى القارئ نبذة من الآراء المختلفة عن صفات وأعمال رئيس دولة اسلامية اعتبره البعض خامس الخلفاء الراشدين .

هذا وقد راعت في صياغة الكتاب تجميع أقوال وأعمال عمر بن عبد العزيز وصنفتها ووضعتها في سياسات عامة فرعية منبثقة من سياساته المالية لتكون هادياً ومرشداً لمن يضعون السياسات المالية للأمم ولمن ينفذونها .

وأفرغت ما ورد بالكتاب في القواليب الفنية للمالية العامة الحالية تجديداً للتراث وتحقيقاً لسهولة الاقتباس منه والاتصال به .

كما دعمت وقائع الموضوع بالقرآن الكريم وبسنة الرسول صلى الله عليه وسلم كلما لزم الأمر باعتبارهما من مصادر الماليـة العامة الإسلامية .

وفي خصـوـصـةـ ماـ سـيـقـ حـوـيـ الـكتـابـ أـبـوـ بـاـ ثـمـانـيـةـ وـبـكـلـ بـاـبـ فـصـلـانـ .

ويـعـتـبـرـ هـذـاـ الـكتـابـ رـابـعـ الـكتـبـ الـتـيـ صـدـرـتـ لـىـ عـنـ السـيـاسـةـ المـالـيـةـ فـيـ عـهـودـ مـخـتـلـفـةـ فـالـأـوـلـ عـنـ «ـ السـيـاسـةـ المـالـيـةـ لـرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ »ـ هـدـفـ إـلـىـ اـبـرـأـزـ وـتـبـيـعـ مـرـحـلـةـ تـاسـيـسـ المـالـيـةـ العـامـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ .

وـالـثـانـيـ وـهـوـ عـنـ «ـ السـيـاسـةـ المـالـيـةـ لـعـمـرـ بـنـ عـفـانـ »ـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـ .ـ هـدـفـ إـلـىـ اـيـضـاحـ مـرـحـلـةـ نـمـوـ وـتـطـوـرـ المـالـيـةـ العـامـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ .

وـالـثـالـثـ وـهـوـ عـنـ «ـ السـيـاسـةـ المـالـيـةـ لـعـثـيـانـ بـنـ عـفـانـ »ـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـ هـدـفـ إـلـىـ اـفـهـامـ حـرـكـةـ المـالـيـةـ العـامـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ فـيـ مـوـاجـهـةـ فـتـنـةـ كـبـرـىـ وـقـعـتـ فـيـ عـهـدـ ثـالـثـ الـخـلـفـاءـ الـراـشـدـيـنـ وـأـدـتـ إـلـىـ مـقـتـلـهـ .

وـهـذـاـ الـكتـابـ وـهـوـ عـنـ «ـ السـيـاسـةـ المـالـيـةـ لـعـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيـزـ »ـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـ يـبـرـزـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـ مـرـحـلـةـ اـصـلـاحـ مـسـارـ المـالـيـةـ العـامـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ وـأـرـجـاعـهـاـ إـلـىـ النـبـيـ الـأـوـلـ وـهـوـ نـبـيـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـالـخـلـفـاءـ الـراـشـدـيـنـ مـنـ بـعـدـهـ .

فـاـذـاـ كـنـتـ بـذـلـكـ قـدـ قـدـمـتـ عـمـلاـ طـيـبـاـ وـعـلـمـاـ نـافـعـاـ فـلـيـقـبـلـهـ اللهـ وـبـيـارـكـهـ .

● وـمـاـ تـوـفـيـقـىـ إـلـاـ بـالـلـهـ ●

المؤلف

قطب ابراهيم محمد

الباب الأول

السياسة المالية للدولة الإسلامية قبل عمر بن عبد العزيز

الفصل الأول

عموميات من السياسة المالية للخلفاء الراشدين

عناصر سياسة المالية العامة الإسلامية :

عناصر أي سياسة للمالية العامة هي :

- إيرادات عامة تفرضها وتجبيها الدولة .
- نفقات عامة توجهها الدولة لصالحة الرعية .
- إدارة الدولة ل الإيرادات ونفقاتها العامة لتحقيق أهدافها العامة .

وفي المالية العامة الإسلامية تدار هذه العناصر في إطار من أحكام الشريعة الإسلامية وتحقق أهداف المجتمع الإسلامي .

مسار السياسة المالية قبل « عمر بن عبد العزيز » :

قامت الدولة الإسلامية بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فدارت الدولة بسياسات عامة إسلامية ومنها سياسة المالية العامة ، ولما خلفه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ساروا على هديه في إدارة المالية العامة للدولة ، ولما خسروا أمراء بنى أمية اعتبرى مسار السياسة المالية بعض التجاوزات ، غير أنه لما تولى عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه إمارة الدولة الإسلامية جدد سياستها المالية وعدل مسارها إلى ما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين ، ونورد فيما يلي عموميات عن مسار السياسة المالية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم متناولين كل عنصر من عناصرها ثم نوضح ما وقع من مخالفات في مسار السياسة المالية في عهد أمراء بنى أمية قبل « عمر بن عبد العزيز » .

مسار السياسة المالية في عهد الخلفاء الراشدين

الإيرادات العامة :

— كانت الإيرادات العامة في عهد الرسول صل الله عليه وسلم هي الزكاة وخمس الفنائيم والمبزية وخروج الأرض وما تطوع به المسلمين من أموال للجهاد في سبيل الله وفي عهد « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه تحقق للدولة إيراد جديد من فرض عشرة التجارة .
وفيما يلي كلمة عامة عن كل إيراد .

الزكاة :

فرضت الزكاة بالقرآن الكريم بأكثر من آية وحدى الرسول صل الله عليه وسلم تفاصيلها فأوضح فئاتها والأموال الخاضعة لها وشروط استحقاقها وحدود وحالات الاعفاء منها ومواعيد أدائها وطرق تحصيلها وعقوبات المخالفين عن سدادها وغير ذلك من الأوضاع المتعلقة بها . وبذلك تركها صل الله عليه وسلم محددة الأوضاع واضحة المعالم كاملة التفاصيل .

وجاء الخلفاء الراشدون من يعدهم فالتزموا في أمور الزكاة بما ورد بالقرآن الكريم وبسنن الرسول ، وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه أراد بعض المرتدين أن يوقفوا مسار فريضة الزكاة بدعوى أنها أنها كانت تؤدي للرسول صل الله عليه وسلم وبأنه سقط فرضها بتصديقه إلى الرفيق الأعلى . فحاربهم أبو بكر وانتصر عليهم وعادت الزكاة إلى مسارها الذي كانت عليه أيام رسول الله صل الله عليه وسلم . وكانت تعرض للخلفاء الراشدين حالات للزكاة مستحدثة فيفتون فيها أمنستخاجا من آيات الله وسنن رسوله ، وزادت حصيلتها في عهدهم ونست نتيجة لانتشار الإسلام ودخول الناس في دين الله أتواها وأدائهم لما فرض الله عليهم من ذكاة وباعتبارها أحد أركان الإسلام الخمس .

خمس الفنائيم :

فرض الله الجهد على المسلمين وأحل الله لهم الفنائيم ، ينالونها من الأعداء وتوزع عليهم بعد النصر على أساس أربعة أخmas للفاتحين والخمس

لبيت المال ليوزعه رئيس الدولة طبقاً لآية الخمس لله ولرسول ولذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل . قاد الرسول صلى الله عليه وسلم الفروض وأرسل السرايا للجهاد فى سبيل الله بعد أن خطط لها تخطيطاً محكماً فتحقق النصر والنشر الإسلام . ونظم جميع الفنائيم وأوضاع قواعد توزيعها . ومن بعده استمر الخلفاء الراشدين فى نشر الإسلام ورفقت راياته على كثير من البلاد فاتسعت ارجاء الدولة الإسلامية وزادت مواردها العامة ومنها الفنائيم التي كان يزول خمسها لبيت المال حتى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكى عندما فاضت الفنائيم فى عهده خشية أن يكون الله أراد بفيس الأموال أن يمتحنه ويختبر قوة إيمانه . وقد الحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالفنائيم الركاز وهو ما يوجد فى باطن الأرض من المعادن فإذا غنمها المسلم وجبه فيها الخمس لبيت المال وسار الخلفاء على هدى رسول الله وافتوا فيما عرض عليهم من حالات استناداً لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الجزية :

لم تفرض الجزية فى أول المدورة الإسلامية إنما فرضت فى السنة التاسعة من الهجرة حين نزلت « براءة » متضمنة آية فرض الجزية وهي :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يديرون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة / ٢٩) .

وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وغيرهم من أهل الكتاب يدعوهم إلى الإسلام فان أبوا فالجذية ، وبذلك كان يوصى أمراء جيوشه وسراييه ، وان أبوا دفع الجزية حل قتالهم ، أما ان استجابة لاداء الجذية أصبحوا في ذمة المسلمين لهم الأمان على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم .

وفرضت الجزية على الرجال ولم تفرض على النساء والأطفال لأن الرجال هم الذين يقاتلون عادة والنساء والأطفال لا يقاتلون ، وأعني من الجزية من لا يستطيع من الرجال القتال كالأعمى الذي لا حرفة له والمسكين والشيخ الكبير الذي لا شيء له وإذا أسلم الكتاب تسقط عنه الجزية استناداً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس على مسلم جزية » ولم تكن فئات الجزية واحدة في جميع الأرقة وفي جميع البلاد ،

فقد كانت معاهدات الصلح بين المسلمين وأهل الكتاب تتضمن فئات للجزية محددة طبقاً لطاقة أهل الذمة ودرجة يسارهم وانختلفت هذه الفئات في عهود الخلفاء الراشدين ، فقد جملها عمر بن الخطاب مثلاً متصاعده طبقاً لدرجة يسار الرجال من أهل الكتاب فجعلها أئمّة عشر درهماً على الشخص العادى ، وأربعة وعشرين درهماً على متوسط اليسار ، وثمانية وأربعين درهماً على الغنى ، وكانت الجزية في عهد الخلفاء الراشدين تؤخذ نقداً أو عيناً كما كان في عهد الرسول صل الله عليه وسلم وكان يصاحب التحصيل حسن المعاملة وتحقيق العدالة تنفيذاً لنهي الرسول صل الله عليه وسلم عن ظلم أهل الذمة فقد روى أنه صل الله عليه وسلم قال « من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فاتأه حجيجه » و قال صل الله عليه وسلم أيضاً « إن الله يعذب يوم القيمة الذين يعذبون الناس في الدنيا » وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنه وفاته « أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله صل الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكفلوا فوق طاقتهم » .

الخراج :

الخراج هو ما يوضع من الضرائب على الأرض الزراعية للدولة بعد الفتح وبقي عليها أصحابها .

وفي عهد الرسول صل الله عليه وسلم نصره الله على يهود خيبر وألت أرضهم لل المسلمين فقسمها الرسول صل الله عليه وسلم بين المقاتلين من المسلمين ودفعها إلى أهل خيبر لا ليملكونها ولكن ليعملوا فيها ويعذبون النصف من الزرع والثمر كخراج .

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه انتصر المسلمون في فتوحات إسلامية كثيرة وحصلوا على ثنائهما كثيرة . منها أراضي زراعية فرائى الخليفة عدم تقسيم الأرض واعتبارها ملكاً عاماً للدولة الإسلامية ويفرض الخراج عليها للانفاق من حصيلته على متطلبات الدولة الجديدة كحراسة ثورها التي امتدت واتسعت بعد الفتح ، طالب الماتحون بالتقسيم وأيدوه بعض الصحابة ، لكن أمير المؤمنين استشار جماعة مجتهدي الأمة فاعتمدت رأيه وأقرت فرض الخراج فارسل من مسح الأرضي وفرض عليها الخراج مراعياً في تحديده درجة جودة الأرض وأنواع الزرع وسهولة أو صعوبة زراعتها وبذلك تدفق مال الخراج على بيت المال .

وما يتصل بالأرض ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من اقطاع أرض مملوكة للدولة الإسلامية دون مقابل لل المسلمين ليعمروها . وقد أقطع الخليفة الراشدون من بعدهم الأرض للتعمير على أن ترد للدولة خلال ثلاث سنوات إذا لم تعمر ، وقد توسيع عثمان بن عفان رضي الله عنه في اقطاع الأرض .

وما يتصل بالأرض كذلك حتى الأرض أي أن تمنع عن الناس الأرض العامة التي يثبت فيها الكلأ بيتاً طبيعياً دون جهد من أحد فلا يرعوا فيها أنعامهم . فالرسول صلى الله عليه وسلم قال : لا حتى إلا لله ورسوله . وطبق الخليفة الراشدون المبدأ فلم يحتم عمر بن الخطاب الأرض إلا للخيل الفارzie في سبيل الله ولابل الصدقة . وطبق من بعده عثمان وعلى رضي الله عنهما نفس المبدأ .

عشور التجارة :

وصى ضريبة فرضها عمر بن الخطاب على التجار غير المسلمين الذين يردون بموانئ الدولة الإسلامية .

النفقات العامة :

النفقات العامة للدولة الإسلامية أما أن تكون مخصصة لها بعض الموارد العامة وهي وجوب الإنفاق من الزكاة ووجوه الإنفاق من خمس الفنائين وأما أن تكون عامة تمول من باقي الموارد العامة للدولة ونوضح فيما يلي هذه الأنواع :

الإنفاق من الزكاة :

بين الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة في آية : إنما الصدقات للقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله علیم حكيم . التوبة الآية (٦٠) .

وقد أبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النص ضمن ما بلغ وعمل به فاعان القراء والمساكين وأثاب العاملين على الزكاة والذى منها القلوب للإسلام وأعشق العبيد وأعان الغارمين وأنفق منها في سبيل الله وعلى ابن السبيل . وكان يسرع في إخراجها وحرموا على آل محمد لأنها من أوسع الناس ، وقد محليتها فتؤخذ من أغنىاء البلدة وتعطى لفقراءها ،

وأمر المصدقين بأن يصدقوا الناس على مياثهم بالمعدل ٥٠٠٠٠ إلى غير ذلك من حالات التطبيق للزكوة.

وقد سار الراشدون على هدي الرسول صل الله عليه وسلم في
وجوه الالتفاق من الزكاة ، الا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى ان
لا محل للالتفاق من الزكاة على سهم المؤونة قلوبهم بعد ان قويت الدولة
الاسلامية في عهده وأصبحت في غير حاجة للتالييف واقترض عثمان بن
عفان رضي الله عنه من اموال الزكاة ليتفق على فتوحات الاسلام على ان
يردها حين ميسره ولا غضاضة في ذلك ما دامت قد أخذت على سبيل
القرض ، وفي عهده أيضاً زاد غنى الائتماء فقام الصحابي أبو ذر الغفارى
يكتوى عاملاً طالباً الائتماء بالاتفاق على الفقراء من اموالهم فوق الزكوة
المفروضة .

الفرق من خمسة الفنائين :

يبين الله سبحانه وتعالى مصارف خمس الفنائيم في آية « واعلموا أنما غنمتم من شئ » فإن الله خمسه ولرسول ولذى التربى واليتامى والمساكين وبين السبيل ان كنتم آمنتكم بالله وما انزلنا على عبادنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (الأنفال/من ٤١) .

ولتطبيق الآية كان الرسول صل الله عليه وسلم قبل توزيع الفنائين وأيلولة خمسها لبيت المال ينهى عن الغلول وهو ما ياخذه الفائز بغير حق من الفنائين وكان يقضى بالسلب لقاتل العدو قبل بده المعركة والسلب هو ما كان على القتيل في الحرب من لباس وما كان معه من سلاح وما كان تحته من فرش . وكان يتخل من صلب الفيمة قبل أن تخمس وكان التخل لدليل أو راجع ساعد جيش الاسلام ، كما كان يرضخ للنساء اللاتي داولن الجرحى وستين المجاهدين الماء أى يعطين شيئا قليلا ، وبعد ذلك يأخذ الخمس لبيت المال ويعطى المحاربين اربعة اخماس الشئيمة فيجعل للفارس سهرين وللراجل سهرا واحدا وفي غزوة حنين جعل للفارس ثلاثة اسهم وللراجل سهرين واحدا وكان يقسم الخمس بين المذكورين في الآية وقد اعلن الرسول صل الله عليه وسلم بعد غزوة حنين للناس انه ليس له من الفنائين الا الخمس وان الخمس مردود عليهم كما دفع عليه الصلاة والسلام صداق بعض ثواباته من سهم ذي القربى .

وقد سار الخلفاء الراشدون على ما كان يسير عليه رسول الله صلى عليه وسلم الا أنهم وجهوا سببهم وسهم ذي القربى للاتفاق على الكراع والسلام في سبيل الله .

النفقات العامة :

النفقات العامة مصدرها الإيرادات العامة غير الشخصية وهي الجزية والخارج وعشور التجارة وتشتمل الإنفاق على أجور العاملين بالدولة الذين يقومون بأداء وظائفها وتأدية خدماتها العامة والإنفاق على الأماكن والدوابين التي يعملون بها كما تشمل الإنفاق على المشروعات العامة التي تقييمها الدولة . وقد تعددت النفقات العامة واتسعت باتساع الدولة الإسلامية ، فقد بدأت ضئيلة القدر في عهد الرسول صل الله عليه وسلم حتى أن مسجده بالمدينة وكان مقر الحكومة الإسلامية الأولى بني بالجهود الذاتية . ثم زادت النفقات العامة بعد ذلك فتناولت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنواعاً عديدة كمرتب أمير المؤمنين ومرتبات العاملين بالدولة والإنفاق على مرفق القضاء والمساعدة في أعباء الفتوحات الإسلامية وتوسيعة المسجد الحرام وانارة المساجد ليلاً ونحوه التبليغ وانشاء مدینتی البصرة والكوفة ، وما ساعد على التوسيع في الإنفاق العام زيادة الموارد العامة بزيادة من يدفعون الجزية ويؤدون الخارج من أهل البلاد المفتوحة .

ادارة المالية العامة :

كان الرسول صل الله عليه وسلم يدير المالية العامة للدولة الإسلامية الأولى بالقرآن وبخليقه العظيم ، فالقرآن المجيد حدد بعض الموارد العامة وهي الزكاة وخمس الشفائم والجزية وخطط طريق النفقات العامة حينما أمر بان لا يتولى السفهاء ادارة الاموال وأن يكون الإنفاق قواماً خال من الاسراف والتقتير وأن لا يدخل الناس بالأموال للحكام ليأكلوا فريقاً من أموال الناس ، ووضع القرآن كذلك الاسس القوية للعمل والعملة ومنها عملة الدولة حينما أمر بصالح الاعمال ونهى عن سيئها وفاسدتها . كما تضمن مبادئ للرقابة العامة ومنها الرقابة على المال العام حينما قضى بان الناس سيحاسبون على أعمالهم في الدنيا والآخرة ، ووضع للمخالفين العقوبات الدينية والاخروية . وقد طبق الرسول صل الله عليه وسلم النهج القرآني في ادارة المال العام وكانت اخلاقه وسلوكيه قدوة يقتدي بها في هذا الشأن فزهد هو وعائلته عن المال العام ومنع ذوي قرباه من الأخذ من أموال الزكاة كما ذكرنا ولم يعيثهم في المناصب العامة الا الاعام على بن أبي طالب لتقواه وكفاءته وحكمته وعلمه واخلاقه التي تميز بها ، واختيار ذوى الكفاءة للعمل ، واعتبر الماملين الذين يؤدون ما اؤتمنوا عليه كاملاً غير منقوص من الصدقين ، وطبق الشورى في الادارة كما امر الله ونهى عن هدايا الولاه أبناء ولايتهم الى غير ذلك من مقومات الادارة المالية الناجحة التميزة .

وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على هديه فطبقوا أحكام القرآن وتعاليمه وأعملوا سنن الرسول القولية والفعلية في الادارة المالية للدولة تنظيمًا ومتابعه ورقابة وطوروا الادارة المالية بتطور امور الدولة فائضا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ديسوانى العطاء والمراج ودخل التقويم الهجري ودقق في اختبار الولادة وتتابع معهم خراج الولايات وراقبهم واسترد لبيت المال أى زيادة في ثرواتهم .

وأكسب عثمان بن عفان المالية العامة وادارتها المرونة وان كانت هذه المرونة قد تناولها البعض بالنقد بحجة أنها ساهمت مع عوامل أخرى في قيام الفتنة وقتل الخليفة نفسه ، وحسى على بن أبي طالب ادارة المال العام من ان يوجه لخدمة النزاع الذي قام بين أنصاره وأنصار معاوية بن أبي سفيان للمطالبة بعد عثمان فلم يستخدمه لجذب الانصار ولا لاغراء المعارضين ولا لتشجيع الموالين .

نظام العطاء :

أسفرت ادارة المال العام في عهد الخلفاء الراشدين واتساع رقعة الدولة الإسلامية وغزارة مواردها العامة عن تحقيق فائض في الأموال العامة تم توزيعه على المسلمين ابتداء من عهد أبي بكر الصديق بالتساوي ثم طوره عمر بن الخطاب فميز بين المسلمين على أساس منازلهم في الإسلام واستمر هذا الأساس في التوزيع في عهد الخليفتين بعده ، وتميز نظام العطاء في عهد الخلفاء الراشدين بعدله وشموله ونبوه فبدأ محدودا في عهد الخليفة الأول ثم ارتفعت قيمته بعد ذلك (١) .

(١) تزيره من المعلومات يمكن الرجوع إلى كتابنا التالي :

- النظم المالية في الإسلام - طبعة ثلاثة - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- السياسة المالية للرسول - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- السياسة المالية لعمر بن الخطاب - الهيئة العامة للكتاب .
- السياسة المالية لعثمان بن عفان - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الفصل الثاني

مخالفات مالية لى عهد بنى أمية قبل عمر بن عبد العزيز

خلفاء بنى أمية قبل عمر بن عبد العزيز :

كان خلفاء بنى أمية قبل عمر بن عبد العزيز هم :

- معاوية بن أبي سفيان (٤٠ - ٦٠) هجرية .
- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠ - ٦٤) هجرية .
- معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤) هجرية .
- مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥) هجرية .
- عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦) هجرية .
- الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦) هجرية .
- سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩) هجرية .

وقد حبط في عهودهم مستوى أداء المالية العامة الإسلامية فلم تعد تتحرك تحركاً منضبطاً يهدى من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ونفع الخلفاء الراشدين من بعده ، بل مالت عن الانضباط المالي الإسلامي ووقدت بها بعض التجاوزات والمخالفات .

أسباب وقوع المخالفات المالية :

ومن أسباب وقوع التجاوزات المالية أن الامارة لم تهد في الحقيقة بالبيعة وإنما أصبحت ملكاً يتوارثه الأبناء عن الآباء وأن الرعية القسمت بين مؤيدين لبني أمية ومناصرين لبني هاشم بمد الحروب التي قامت بين علي بن أبي طالب ومساوية بن أبي سليمان وأن الأمراء الامويين اضطهدوا من يشائرون بني هاشم وحرمواهم بعض حقوقهم من الأموال

العامة ، كما أن بعض أمراء بنى أمية انقسموا في ملاد الدنيا وترفها ولم يفرقوا بين ماليتهم الخاصة والمالية العامة فنالوا ما يشاؤون فبعدوا عن حالة الزهد والتقوى التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما امتدت التجاوزات إلى طريقة اختيار الولاة وعمال الدولة ومنهم عمال الخراج فلم يكن معيار اختيارهم الكفاءة وإنما قام الأخيار في بعض الحالات على معايير أخرى منها التشريع للழم الأموي وصلة القربي بالملوك .

نماذج لمخالفات المالية العامة :

وفيما يلي نماذج من مخالفات وتجاوزات وقعت في العهد الأموي قبل عمر بن عبد العزيز شاملة عناصر المالية العامة . فنتناول :

- مخالفات الإيرادات العامة .
- مخالفات النفقات العامة .
- مخالفات إدارة المالية العامة وعمل الأنصار عمالة الدولة .
- مخالفات عطاء بيت المال .

نماذج من مخالفات الإيرادات العامة :

قتل من تزكي :

جاء رجل إلى سمرة بن جنادة وكان واليا على البصرة بعد زياد في عهد معاوية وأدى الزكاة لماله ، فجعل يصل في المسجد فجاء رجل فضرب عنقه فإذا رأسه في المسجد وبده في ناحية أخرى فمر أحد هم فقال « يقول سبحانه وتعالى (قد أفلح من تزكي وذكر اسم ربه فصل) » (الأعلى / ١٤ ، ١٥) .

ويقول من شهد ذلك : « فما مات سمرة حتى أخذه الزهرير فمات شر ميته » (١) .

خلول في الفناء وخصتها :

— كتب زياد والي معاوية إلى المأمور إلى مصر بعد انتصاره في غزوة جبل الأشيل وحصله على مقام كثيرة ، « إن أمير المؤمنين كتب إلى أن أصطفى له سفراً وبيضاء والروائع فلا تحركن شيئاً حتى تخرج ذلك »

(١) تاريخ الطبرى لأبي جعفر محمد بن جعفر الطبرى - جزء س : ٢٩٢ طبعة لابى دار المدارف بمسن .

فكتب اليه الحكم « أما بعد فإن كتابك ورد ، تذكر أن أمير المؤمنين كتب إلى أن أصطفى له كل صفرا وبيضا والروائع ولا تحركن شيئا ، فإن كتاب الله عز وجل قبل كتاب أمير المؤمنين ، وانه والله لو كانت السموات والأرض رتقا على عبد اتقى الله عز وجل ، جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجا » .

وقال للناس : « أخذوا على غنائمكم » فندا الناس ، وقد عزل الحمس ، فقسم بينهم تلك الغنائم فهدده زياد .

فقال الحكم : اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني ، فمات بخراسان بمرو (٢) .

ـ لما افتتحت الاندلس في عهد الوليد بن عبد الملك أصاب الناس فيها غنائم فخلوا فيها غلولا كثيرا حملوه في المراكب وركبوا فيها ، فلما وسطوا البحر سمعوا مناديا يقول : اللهم غرق بهم .

فدعوا الله وتقلدوا المصاحف .

فما نسبوا أن أصابتهم ريح عاصفة وضررت المراكب ببعضها بعضا حتى تكسرت وغرقت بهم (٣) .

اهدار أساس في الجزية :

يقضى القرآن المجيد بأن الجزية على من لم يسلم من أهل الكتاب .

وسيق أن أوردنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على مسلم جزية » .

ومع ذلك كان المساجع بن يوسف التقى في عهد عبد الملك بن مروان والوليد أول من أبقى الجزية على من أسلم فقد لاحظ أن عددا كبيرا من أهل الذمة قد اعتنق الإسلام وأن استقطاع الجزية يؤثر على حصيلتها فتأثر بقاء الحصيلة على تطبيق القرآن والحديث (٤) .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٣) تلوج سهر وأخبارها . . . لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المسلمين ابن اعين المزني النصري . . . تلذيم وتحقيق محمد صبيح - من ١٤٠ مؤسسة التعلقون والنصر .

(٤) الإسلام وأهل السنة - د. عل حسن الغربوطي من ١٣٧ - طبعة المجلس الأعلى للمفتون الإسلامية .

ويفسر أبو عبيد الحديث السابق للرسول صلى الله عليه وسلم فيقول « ان تأويلي هذا الحديث أن رجلاً لو أسلم في آخر السنة وقد وجبت عليه الجزية أن أسلامه يسقطها عنه فلا تؤخذ منه وإن كانت قد لزمته قبل ذلك ، لأن المسلم لا يؤدي الجزية ولا تكون ديناً عليه كما لا تؤخذ منه فيما يستألف بعد الإسلام (٥) » .

خرج حقوق الطاقة :

كتب سليمان بن عبد الملك إلى أسامة بن زيد التتوني متولى خراج مصر متعملاً في جبائية الخراج « احلب الدر حتى ينقطع ، فإذا ما انقطع فاحلب الدم حتى ينضرم » (٦) .

حصيلة محرمة من عشرة التجارة :

كانت تؤخذ عشرة التجارة على الحبوز (٧) مع أنها محرمة وإن الله إذا حرم شيئاً حرم منه .

استيلاء الولاة على حصيلة الإيرادات العامة :

شهدت الدولة الأموية نماذج من تجاوز أمراء بنى أمية بغير حق للولاة على ما جمدهم من أموال عامة والإكتفاء بعزمهم بعد ما روى عاصم استثراهم في أعمالهم ، وانفصال مبدأ محاسبة الولاة وعمال الدولة على ما جمدهم من أموال عامة يشيع بينهم الاستخفاف بقدسيّة المال العام وينسى ظاهرة الأسراف والاستيلاء عليه ويرجح ايشار المفاجع الخاصة على التفug العام .

وفيما يلى نماذج للتفاضل عن محاسبة الولاة على ما جمدهم من أموال في عهد معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية :

— أراد معاوية بن أبي سفيان أن يعزل عبد الله بن عامر عن البصرة سنة أربعين وأربعين حجرية فقال له :

« اختر بين أن أتبع أثرك وأحاسبك بما صار اليك وأدرك إلى عملك وبين أن أسوغك ما أصبت وتعزل » .

فاختار أن يسوغه ما أصابه من ولاته ويعزل (٨) .

(٥) الأموال لأبي عبيد - ص ٥٩ .

(٦) عمر بن عبد المزيز / سعد عبد السلام - ص ٢١ .

(٧) الأموال لأبي عبيد - ص ٦٤ .

(٨) الطبرى جزء - مرجع سابق - ص ٢١٤ .

— في سنة احدى وأربعين كان زياد بفارس فكتب معاوية إلى زياد :
« ان في يديك مالا من مال الله وقد وليت ولايه فاد ما عندك من
المال » .

فكتب إليه زياد :

« انه لم يبق عندي شيء من المال . وقد صرفت ما كان عندي في
وجهه واستودعت بعضه لنازله ان نزلت » .

فكتب إليه معاوية :

« ان أقبل الى تنظر فيما وليت وجري على يديك فان استقام بيننا
أمر فهو ذاك والا رجمت الى مأمرك » .
فلم يأبه زياد (٩) .

وكان على بن أبي طالب رضي الله عنه قد وجه زيادا الى فارس
لربها وخراجها (١٠) .

— قدم عبد الرحمن بن زياد حاكم خراسان على يزيد بن معاوية
فقال له يزيد : كم قدمت به ملك من المال من خراسان قال : عشرين
الف ألف درهم قال يزيد : ان شئت حاسبياك وقبضناها منك وردناك
على عملك ، وان شئت سويفناك وعزلناك وتعطى عبد الله بن جعفر
خمسة ألف درهم .

قال : بل تسوغنى ما قلت ويستعمل عليها غيري . وبعث عبد الرحمن
بن زياد الى عبد الله بن جعفر بالف ألف درهم وقال : خمسة ألف
من قبل أمير المؤمنين وخمسة ألف من قبل (١١) .

حدث هذا في عهد بنى أمية بينما كان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يحاسب الولاة على الزيادات التي طرأت على أموالهم الخاصة ويقاسمهم
أياها ويوردها لبيت المال .

نماذج مخالفات النفقات العامة :

الإنفاق العام على ترف الأمراء

(٩) الطبرى — جزء ٥ — مرجع سابق من ١٦٨ .

(١٠) الطبرى — جزء ٥ — مرجع سابق من ١٣٧ .

(١١) الطبرى — جزء ٥ — مرجع سابق من ٣١٦ .

في عهد بنى أمية اختفى زهد الرسول والخلفاء الراشدين من بعده و كان لا يتم الفصل بين الأموال العامة وأموال رؤساء الدولة فتسرعوا في الدنيا وعاشوا عيشة الترف وانفقوا على ترفهم من بيت مال المسلمين ، وفيما يلي نساج ذلك :

— وقال عبد الله بن مسعوده بن حكمة الفزارى من بنى آل بدر :

تنقل معاوية بن أبي سفيان من بعض كور الشام فبسط له على طهير اجر مشرف (أي السطح) على الطريق فاذن لي ، فقلت له ، فغيرت القطرات والرحائل والحوالى والخيول فقال معاوية :

« يا ابن مسعوده ، وحى الله أبو بكر لم يرد الدنيا ولم ترده الدنيا ، وأما عمر – أو قال ابن حنتم فارادته الدنيا ولم يردها ، وأما عثمان فاصاب من الدنيا وأصابت منه وأما نحن فتسرعنا فيها » .

ثم كانه ندم فقال : « والله إنك ملك أثانا الله آياته » (١٢) .

— لما حضرت الوفاة معاوية « أوصى بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال كأنه أراد أن يطيب له الباقى لأن عمر قاسم عماله » (١٣) .

— اتفق عمرو بن العاص مع معاوية بن أبي سفيان على قتال على بن أبي طالب على أن تكون مصر طحمة له ما يبقى .

وقد طبع أن تزول ولاية مصر من بعده لابنه عبد الله وتكون طحمة ، فكتب بذلك معاوية فقال معاوية :

« أراد أبو عبد الله أن يكتب فهدر ، أشهدكم أنى إن بقيت بعده فقد خلعت عهده » (١٤) .

— وعن ترف يزيد بن معاوية قيل :

« إن يزيد بن معاوية كان أشد الناس كلها بالصيد ، وأنه كان يلبس كلب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه ، ويركب لكل كلب عبلا يقوم على رعايته وخدمته » .

وقيس :

« كان يزيد موقر الرغبة في اللهو والفنون والخمر والنساء والشعر – وكانت ولايته على أصح القولين ثلاث سنين وستة أشهر ففي

(١٢) الطبرى جزء . – مرجع سابق من ٣٣٤ .

(١٣) المرجع السابق – من ٣٣٧ .

(١٤) المرجع السابق – من ٣٣٥ .

السنة الأولى قتل الحسين بن علي عليهما السلام وفي السنة الثانية نهب
المدينة وأباحتها ثلاثة أيام وفي السنة الثالثة غزا الكعبة (١٥) .

— وعن سليمان بن عبد الملك قيل ١

• كانت الخلافة الاموية في الكلف بالنعمنة الدنبوية على أنها في
سليمان بن عبد الملك فقد كان أكلفهم بنص العيش كانت : في طعام
أو كسراء أو ترف أو سرف أو خيلاء (١٦) .

• وكان سليمان يجلس وقد بسطت له البسط والنمارق عليها ،
والي جانبه الأموال والكساوی وآنية الذهب والفضة ، (١٧) .

نفقات عادة على مظهرية الحكم ١

كان الخليفة من الراشدين يلبس الثوب من الكرباس (١٨) العلبيظ
ومن رجليه نعلان من ليف ويישن في الأسواق كبعض الرعية دون حراس
أو مظهر من مظاهر السلطان . غير أن الدولة الاموية بطعم استحدثت
تقالييد عديدة ومميزات تميز بها السلطان . وأنفق من بيت مال المسلمين
على تمويل تلك التقاليد والمميزات .

وكان معاوية بن أبي سفيان هو أول من رأس تلك التقاليد والمميزات
فبني لنفسه قصراً سماه الحضرة واتخذ فيه السرير للجلوس وهو المكان
المترفع أو ما يعرف في الوقت الحاضر بكرس العرش ، ثم وضع حول هذا
السرير ستائر ، كما احاط نفسه بالسجاد وجعل المرايس يمشون بين
يديه وأوجده الشرطة لحراسته . واتخذ المقصورة في المسجد وأصبح يصل
فيها منفرداً من الناس . فإذا سجد قام المدرس راقصين السيف .

وقد ظهرت أيضاً أبهة الملك في عهد عبد الملك بن مروان ، إذ تشبه
بملوك الفرس وقياصرة الروم فكان يجلس على عرشه وعلى يمينه الأمراء
وعلى يساره رجال الدولة ورجال البلاط ثم يقف أمامه من يريده المثول بين
يديه من دسل الملوك والشعراء والكتاب والفقهاء وغيرهم وصار عبد الملك —
كما وصفه أحد المؤرخين المسلمين وهو البلاذري — أول من تجبر من
الخلفاء .

(١٥) ابن طباطبا — التخرى من ١١٣ .

(١٦) عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب — دار الفكر العربي — من ٢١
للا عن معاوية للقاد من ٨٣ .

(١٧) المرجع السابق من ٢٢ .

(١٨) الكرباس : قماش من القطن الأبيض .

وامتدت هذه التقاليد المذهبية إلى ولاة بنى أمية وعواليهم فقد عين معاوية مثلاً زياد بن أبيه على البصرة ثم أضاف إليه الكوفة حتى صار أميراً على العراق كله . فاتخذ زياد له حرساً خاصاً مدرباً قوامه أربعة ألف رجل ، كانوا له العيون والأرصاد ، كما كان منهم الشرطة لحفظ النظام ، وكان ثغر من هذا العرس يسير أمام موكب زياد يفسح له الطريق أشيه باكاسرة الفرس (١٩) .

نفقات عامة لاسكات المعارضة :

بعد عصر الخلفاء الراشدين اتخذت حركة الإنفاق العام مسارات جديدة بهدف تثبيت سلطان الحكم وكف المعارضة عنهم وإيلولة الحكم إلى بنיהם من بعدهم ، ويبين ذلك من النماذج التالية :

ـ لما قتلت على بن أبي طالب رضي الله عنه كان على رأس جيش العراق قيس بن سعد ، فما استخلف أهل العراق المحسن بن علي عليه السلام على الخلافة ، ثم خرج بالناس حتى نزل بالمدائن وبعثت قيس بن سعد على مقدمة جيشه في النى عشر الفا ، وأقبل معاوية في أهل الشام حتى نزل مسكن ، فبيشما المحسن في المدائن أذ نادى مناد في العسكر : ألا ان قيس بن سعد قد قتل فانفروا ، فتفرقوا ونهبوا سرادق المحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته ، فلما رأى المحسن تفرق الناس عنه قام في أهل العراق فقال : يا أهل العراق انه سخى بنفس عنكم ثلاث : قتلتم أبي وطعنكم ايدي وانهابكم متاعي .

وبعث المحسن إلى معاوية يطلب الصلح فأرسل له رسولان فصالحان على أن يأخذ من بيت الكوفة خمسة آلاف ألف (٢٠) .

وفي رواية أخرى « صالح المحسن معاوية على أن جعل له ما في بيت المال وخرج دار بجرد على أن لا يشتم على وهو يسمع . فأخذ ما في بيت ماله بالكوفة وكان فيه خمسة آلاف ألف » .

وتفذكر بعض الروايات أن أهل البصرة حالوا بين المحسن بن علي وخرج دار بجرد حين رحيله من الكوفة إلى المدينة (٢١) .

(١٩) تاريخ العالم الإسلامي - د. إبراهيم أحمد العبدوى - مطبعة جامعة القصيم من ١٤١ - ١٤٣ .

(٢٠) الطبرى - جزء ٥ من ١٥٩ مرجع سابق .

(٢١) المرجع السابق من ١٦٥ .

وأن كان معاويا قد سمع بمال العام لتشبيه ملكه واسكات المعارضه الا أن الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صل الله عليه وسلم ، فهو من ذي القربي وله تصيب في المال العام استنادا لآية الحمس السابق الاشارة إليها ، ولم يكن المال الذي أخذه له وجده ولكن كان أيضا لذى القربي من يتبعونه ٠

- وشبيه بأموال الحسن بن علي عليه السلام ما أخذه عبد الله بن عباس وهو ابن عم النبي صل الله عليه وسلم فقد كان واليا على الكوفة في عهده على بن أبي طالب وكان على قضائهما من قبل على بن أبي طالب أبو الأسود الدؤلي ، فكتب اليه :

« أما بعد ، فإن الله جل علاه جعلك واليا مؤتمنا وداعيا مستوليا وقد بأوربك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحا للرعية توفر لهم فيهم وقطف (وتمن) نفسك عن دنياهم فلا تأكل أموالهم ولا ترتشي في أحکامهم ، وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ، فلم يسعني كتسانك ذلك ، فانظر ورحمك الله فيما هناك واكتب الى برائك فيما احبت انته اليك والسلام ٠ »

فكتب اليه على بن أبي طالب رضي الله عنه :

« أما بعد ، فمثلك نهـ سـعـ الـامـامـ وـالـأـمـةـ ، وـادـىـ الـأـمـانـةـ وـدـلـ عـلـ الحـقـ . وقد كتبت الى صاحبك فيما كتبت الى فيه من امره ولم اعلمك انك كتبت ، فلا تدع اعلما بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للامة صلاح ، فانك بذلك جدير وهو حق واجب عليك والسلام ٠ »

وكتب على ابن عباس في ذلك فكتب اليه ابن عباس :

« أما بعد ، فإن الذي يلتفك باطل وانى لما تحت يدي خابط قائم له وله حافظ ، فلا تصدق الظنون ، والسلام ٠ »

فكتب اليه على :

« أما بعد ، فأعلمك ما أخذت من الجزية ومن أين أخذت ، وفيه وضعت ؟ ٠ »

فكتب اليه ابن عباس يستقيل من العمل :

« أما بعد ، فقد فهمت تعظيمك مرزاً ما بلغك الى رزاته (٢٢) من مال أهـلـ الـبـلـدـ ، فابعـثـ الىـ عـلـمـكـ مـنـ اـحـبـتـ فـانـيـ ظـاعـنـ عـنـهـ والـسـلـامـ ، (٢٣) ٠ »

(٢٢) رزات المال : أسبده .

(٢٣) الطبرى جزء . - مرجع سابق ص ١٤١ ، ١٤٢ .

فَلَمَّا قُتِلَ عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ
بِالَّذِي يُرِيدُ الْمُسْنَنُ أَنْ يَاخْذُهُ لِنَفْسِهِ كَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ يَسَّالُهُ الْأَمَانَ وَيُشَرِّطُ
لِنَفْسِهِ عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي أَصَابَهَا فَشَرَطَ ذَلِكَ لَهُ مَعَاوِيَةُ (٢٤) .

وَمَا سَبَقَ يَبْيَنُ أَنَّ أَبْنَى عَبَّاسَ اسْتَنْكَرَ مَا بَلَغَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ
مِنْ أَخْنَهُ لِلْأَمْوَالِ الْعَامَةِ وَذَكَرَ أَنَّهُ حَفِيظٌ عَلَى الْأَمْوَالِ الْعَامَةِ وَقَاتَمَ عَلَيْهَا
وَضَابَطَ لَهَا وَانَّ مَا يَلْفَهُ هُوَ مِنْ قَبْيلِ الظُّنُونِ ، فَلَمَّا رَاجَعَهُ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُولِي الْكُوفَةَ وَالْيَمَنَ وَزَهَدَ فِي الْإِمَارَةِ ، فَلَمَّا قُتِلَ
عَلَى وَرَأْيِ أَنَّ مَعَارِضَةَ مَعَاوِيَةَ غَيْرُ مُجْدِيَّةٍ ، طَلَبَ الْأَمَانَ لِنَفْسِهِ وَلَا مَعَهُ
مِنْ أَمْوَالٍ ، وَهُوَ صَاحِبُ تَصْبِيبٍ فِي الْأَمْوَالِ الْعَامَةِ بِاعْتِبَارِهِ مِنْ ذُوِّ قُرْبَى
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَنْهُ وَسَلَّمَ فَهُوَ أَبْنَى عَمِّهِ ، خَصْوَصَا وَانَّ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَهَا وَلِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ طَلَبَ مِنْهُ ذُوِّ قُرْبَى الرَّسُولِ
تَصْبِيبَهُمْ فِي الْخَمْسِ تَطْبِيقًا لِلْأَيْةِ فَرَفِضَ اتِّهَادَهُ بِمَا فَعَلَهُ الْخَلْفَاءُ مِنْ قَبْلِهِ .
فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْعَقٍ قَالَ : سَأَلَتْ أَبْنَى جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ فَقَلَّتْ :
عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَهَا وَلِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مَا وَلِيَ كَيْفَ صَنَعَ فِي سَهْمِ
ذُوِّ الْقُرْبَى ؟

قَالَ أَبْوَ جَعْفَرَ : سَلَكَ بِهِ سَبِيلُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمِّهِ .

قَلَّتْ : وَكَيْفَ أَنْتُمْ تَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ ؟

فَقَالَ : مَا كَانَ أَهْلَهُ يَصْدِرُونَ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ .

قَلَّتْ : فَمَا مَنْعِهِ ؟

قَالَ : كَرْهُ وَاللَّهُ أَنْ يَدْعُ عَلَيْهِ خَلْفُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمِّهِ وَقَالَ عَلَى
هُوَ مَا قَدِمْتُ هُنَا لِأَخْلِلِ عَقْدَةَ شَيْدَهَا عَمِّهُ .

وَعَنْ أَبْنَى شَيْرِينَ عَنْ عَبِيَّدَةَ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ :

أَقْضَوْا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ ، غَالَى أَكْرَهُ الْاِخْتِلَافِ ، حَتَّى يَكُونَ لِلنَّاسِ
جَمَاعَةٌ أَوْ أُمُوتُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ أَصْحَابِيْ (٢٥) .

— وَمِنْ أَمْثَالِهِ ذَلِكَ أَيْضًا مَا وَقَعَ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفِيَّانَ وَبَيْنَ
قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ فَقَدْ كَانَ مَعَهُ أَرْبَعُونَ الَّذِي مِنْ أَتَبَاعِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ
أَنْ تَرَكَهُمُ الْمُسْنَنُ ، فَلَمَّا فَرَغَ مَعَاوِيَةَ مِنْ (الْمُسْنَنِ) أُرْسَلَ إِلَى قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ
يَذْكُرُهُ اللَّهُ وَيَقُولُ : عَلَى طَاعَةِ مِنْ تَقَاتِلَ وَقَدْ بَاِيمَنَى الَّذِي أَعْطَيْتَهُ طَاعَتُكَ ؟
فَأَبْنَى قَيْسَ أَنْ يَلْبِسَ لَهُ سَعْدَ أَرْسَلَ لَهُ مَعَاوِيَةَ بِسُجْلٍ قَدْ خَتَمَ عَلَيْهِ فِي
أَسْفَلِهِ فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : أَكْتُبْ فِي هَذَا السُّجْلِ مَا شَاءْتَ فَهُوَ لَكَ .

(٢٤) الْمَرْجُعُ السَّابِقُ ص ١٥٨ .

(٢٥) الْأَمْوَالُ لِأَبِي عَبَّاسٍ ص ٢١٦ .

فَلَمَّا بَعْثَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ بِذَلِكَ السِّجْلِ اشْتَرَطَ قَيْسَ فِيهِ وَلَشِيمَةَ عَلَى
الْأَهَانَ عَلَى مَا أَصَابُوا مِنَ الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَلَمْ يَسْأَلْ مَعَاوِيَةَ فِي سِجْلِهِ ذَلِكَ
مَالًا وَأَعْطَاهُ مَعَاوِيَةَ مَا سَأَلَ ، فَدَخَلَ قَيْسَ وَمَنْ مَعَهُ فِي طَاعَتِهِ (٣٦) .

— وَلَمْ تَكُنِ الْأَمْوَالُ الْعَامَةُ تَعْطَى لِلْمُعَارِضِينَ فَقَطَ بَلْ كَانَتْ تَعْطَى
لِلْقَارِبِيهِمْ أَيْضًا فَقَدْ طَلَبَ هَبِيرَةُ السَّكُونِيَّ مَعَاوِيَةَ أَنْ يَغْفُلْ عَنْ أَبْنَ عَمِهِ
حَبْرَ بْنِ عَدَى الَّذِي كَانَ يَنْاوِي حُكْمَ مَعَاوِيَةَ وَلَكِنْ مَعَاوِيَةَ قَتَلَهُ ، وَأَرْسَلَ
مَعَاوِيَةَ إِلَى أَبْنِ عَمِهِ يَطْلُبُهُ لِيَسْتَرْضِيهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَأْتِ مَعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا كَانَ
اللَّيْلُ بَعْثَ مَعَاوِيَةَ إِلَيْهِ بِمَائَةِ الْفِ درَّهْمٍ وَقَالَ لَهُ :

« أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَشْفَعَكَ فِي أَبْنِ عَمِكَ إِلَّا شَفَقَةً عَلَيْكَ
وَعَلَى أَصْحَابِكَ أَنْ يَعْيَدُوكُمْ حَرْبًا أُخْرَى ، وَإِنْ حَبْرَ بْنَ عَدَى لَوْ قَدْ
يَقْتَلُ خَصْبَيْتَ أَنْ يَكْلُمَكَ وَاسْحَابَكَ الشَّخْرُونَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنَ
الْبَلَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ حَبْرٍ » .

فَقَبْلَهَا مَالِكُ بْنُ هَبِيرَةَ وَطَابَتْ نَفْسُهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مَعَاوِيَةَ مِنْ خَدْمَهُ فِي
جَمْعِ قَوْمِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ وَرَضَى عَنْهُ (٣٧) .

تَلَكَّلَتْ عَامَةُ لِتَالِيفِ الْقَلُوبِ لِلْسُّلْطَةِ وَلِيُسِّ لِلْإِسْلَامِ :

— وَقَدْ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَجَارِيَّةُ بْنِ قَدَامَةَ وَالْجُونُ بْنِ قَتَادَةَ الْقَشْمِيِّ
وَالْحَنَّاتُ بْنُ يَزِيدٍ أَبُو مَنَازِلِ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَّانَ فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ مَائَةَ الْفِ وَاعْطَى الْحَنَّاتَ سَبْعِينَ الْفَالًا ، فَلَمَّا كَانُوا فِي الْطَّرِيقِ سَأَلَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَأَخْبَرُوا بِجَوَازِ زَعْمِهِ فَكَانَ الْحَنَّاتُ أَخْذَ سَبْعِينَ الْفَالًا فَرَجَعَ إِلَى
مَعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةَ : مَا رَدُكَ يَا أَبَا مَنَازِلِ قَالَ الْحَنَّاتُ : فَضَحَّيْتَنِي فِي
بَنِي تَمِيمَ ، أَمَا حَسْبِي بِالصَّحِيحِ ! أَوْ لَسْتَ ذَا سِنَّ ؟ أَوْ لَمْ يَسْتَ مَطَاعِمًا فِي
عَشِيرَتِي ؟

فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : بَلِ .

فَقَالَ الْحَنَّاتُ : فَمَا بِالْكَ خَسِسْتَ بِي دُونَ الْقَوْمِ ؟

فَقَالَ : أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنَ الْقَوْمِ دِينَهُمْ وَوَكَلْتُكَ إِلَى دِينِكَ وَرَأَيْتَ فِي
عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ — وَكَانَ عَمَانِيَا .

فَقَالَ الْحَنَّاتُ : وَأَنَا فَاشْتَرَيْتُ مِنِّي دِينِي .

(٣٦) الطَّبِيرِيُّ جَزْءٌ هـ - مَرْجُعُ سَابِقٍ مِنْ ١٦٤ .

(٣٧) الْمَرْجُعُ السَّابِقُ - مِنْ ٢٧٨ .

فامر له معاوية ب تمام جائزه القوم (٢٨) *

من هذا يبين أن نوعاً من الإنفاق العام وجه نحو تأليف القلوب لحكم معاوية وليس هذا بتأليف القلوب الذي طبقه الرسول صل الله عليه وسلم فقد كان يمنع الأموال لحديثي المهد بالإسلام لتنمية إنسانهم أو لرؤسائه العشائر لرد أذائم عن الإسلام وال المسلمين ، وشنان بين التأليفين ، فتأليف الرسول صل الله عليه وسلم كان للإسلام وتأليف معاوية كان لاستباب ملوكه وتأييده حكمه . والدليل على ذلك ما كان يوصي به إلى عماله عند تعيينهم بالعمل على تعيين سلطانه وشتم على بن أبي طالب وذمه والترجم على عثمان والاستغفار له ، فقد حدث أن ول معاوية بن أبي سفيان المغيرة بن شيبة الكوفة ، فكان مما أوصاه به ما يلي :

« وقد أردت أوصاك بأشياء كثيرة فانا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيتي ويسعد سلطانك ويصلح به رعيتي ، ولست تاركك أوصاك بخصلة : لا تتحم (تتحرر) عن شتم على وذمه والترجم على عثمان والاستغفار له والعجب على أصحاب عل والاقصاء لهم وترك الاستفهام منهم ، وباطرها شيبة عثمان رضوان الله عليه والادناء لهم والاستفهام منهم » (٢٩) .

وتنفيذاً لوصية معاوية كان المغيرة يخطب ويقول :

« اللهم ارسم عثمان بن عفان وتجاوز عنه واجزه بحسن عمله فانه عمل بكتابك واتبع سنة نبيك صل الله عليه وسلم وجمع كلمتنا وحقن دماءنا وقتل هؤلؤما ، اللهم فارسم انصاره وأولئك ومحبيه والطلابين بدمه ، ويسعو على قتله » (٣٠) .

انفاق بعض المال العام على قتال المسلمين :

فجر النزاع بين على و معاوية وأيولة الحكم لمعاوية خلافات في الرأي بين الدولة وبعض طوائف الأمة . وادت تلك الخلافات إلى مجازات استخدمت فيها الدولة الأمريكية بجند الإسلام والسلاح والعتاد لفض تلك المجازات وكان تمويل ذلك من بيت مال المسلمين ، وبذلك استخدم المال العام لقتال وقتل بعض المسلمين بدلاً من أن يوجه لأداء خدمات عامة لهم ومنها استباب أمرهم الداخلي وأمانهم الخارجى .

*(٢٨) الطبرى - جزء ٥ - مرجع سابق من ٢٤٢ .

*(٢٩) المرجع السابق جزء ٥ - من ٢٥٢ .

*(٣٠) للرجوع السابق من ٢٥٤ .

ومن أمثلة ذلك القتال الذي نسب في عهد معاوية بن أبي سفيان بينه وبين الموارج والقتال الذي وقع في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان مع الحسين بن علي وأسفر عن قتله وبعضاً أهل بيته وعدد من شايعه من القبائل ، والقتال في عهد عبد الملك بن مروان الذي أدى لقتل عبد الله بن الزبير وبعضاً أنصاره (٣١) .

اسراف في النفحات العامة خلاصية الولاة والشعراء :

- استلتحق معاوية يزيد ابن سمية بابيه وولاه البصرة ، فكتب خمسينات من أهل البصرة في صاحبته ورثتهم ما بين الثلاثمائة إلى الخمسمائة ونظير ذلك نظم أحدهم فيه تصييدة أشاد به وبحكمه ، منها هذه الأبيات :

ف Prism أخوه الخليفة والأمير
فأنيت أمساك معدلة وقصد
وحرز حسنه تحضرك الأسور
آخرك خليفة الله بن حرب
وأنت وزير نعم الوزير
بأمر الله منصصود معاف
إلا من مبلغ على زيسادا

ويعبر الشاعر عن المعطاء وتسنته ليقول :

يسرا على يديك لما أرادوا من الدلائل لهم حلب غزير
وتقسم بالتسواه فلما غنى لضيم يشتكيك ولا فضير (٣٢)

- مدح الشاعر جرير عبد الملك بن مروان بقصيدة طويلة منها هذا البيت :

الستم خير من ركب المطايا واندى العساملين بطون راح
وبعد أن فرغ من انشاده أمر له بساقية ثاقبة كلها سود الخطأة ١ وكان
بين يديه صحاقف من فضة فقال له جرير : يا أمير المؤمنين تاذن لي بواحدة
منهن *

فقال : خذها (٣٣) .

(٣١) المرجع السابق من ٢٥٤ .

(٣٢) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق من ٢٢٣ .

(٣٣) عبد الملك بن مروان (أعلام العرب ١٠) د. محمد شعراو الدين الرئيس من ٣١٥
من كتاب عمر بن عبد الزبير لسعد عبد السلام من ١٣٣ .

— ويقول الأخطل في قصيدة قصي سنة ينظمها ليمدح عبد الملك :

الخائض الغمر والميمون طائره خليفة الله يستسقى به المطر
في حافتيه وفي أوساطة العشر وما الفرات اذ جاشت حواليه
ولا باجهس منه حسين تساله يوما باجود منه حسين يجتهس

ثم يمدح بنت أمية فيقول :

اذا المت بهم مكرومة صبروا حشده على الحق عيالنوا المخنا اند
شمس العداوة حتى يستقاد لهم واعظم الناس احلاما اذا قدروا (١)
فليما فرغ الأخطل من الشاده طرب عبد الملك وامر له بجفنة كانت
بين يديه فملشت دراهم من بيت المال ومنحها له وانعم عليه بخلع ثمينة .

وهكذا لقاء المال ثالث الشعراء في المدح ، وفي سبيل ذلك أليسوا
الباطل ثوب الحق فاسأموا الى الفضيلة والمثل والقيم ، وصدق قول الله
جل وعلا في بعض الشعراء « والشعراء يتبعهم الشارون » ، الم تر انهم في
كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » (الشعراء / ٢٢٤ - ٢٢٦) .

نماذج للخالفات الادارة المالية وعماهنة الدولة :

من عوامل نجاح السياسة المالية لأى دولة أن تكون ادارتها رشيدة ،
ولذلك نهى القرآن المجيد عن أن يتولى ادارة الاموال السفهاء وهم من
لا يحسنون ادارتها ، ولذلك كان من أهم عناصر نجاح الادارة المالية
اختيار العاملين بالدولة على أساس الكفاية المطلقة .

وفي العهد الأموي وقبل عمر بن عبد العزيز كان من أسباب هبرط
مستوى الاداء المالي العام ، اهتزاز سياسة عمالية الدولة ، فكان الهدف
السياسي الاول كما ذكرنا هو تشبيط دعائم الحكم الأموي ، وفي سبيل
ذلك كان لا يختار لبعض وظائف الدولة الأصلح والأكفاء وإنما أقربهم
مودة وأشدهم حماسا لتأييد السلطة والسلطان ، فتولى المرأج عمال غير
آكفاء أساءوا الى بيت المال والمولين وحاد بعضهم عن الحق في التنفيذ
استجابة لرغبات السياسة وتعبيرها عن الولاء لهم .

وليسا بلي نماذج من الخالفات في تعبيئات عمالية الدولة :

(٣٤) المصدر السابق من ١٣٤ - ١٣٥

الاستجابة لطلابي الولاية :

قدم عبد الرحمن بن زياد وافدا على معاوية .

فقال : يا أمير المؤمنين أما لنا حق .

قال : بلى .

قال : فماذا توليني .

قال : بالكوفة النعسان رشيد وهو رجل من أصحاب النبي صل الله عليه وسلم ، وعييد الله بن زياد على البصرة وخراسان وعباد بن زياد على سجستان ، ولست أرى عملاً يشبهك إلا أن أشركك في عمل أخيك عبيد الله .

قال : أشركني فان عمله واسع يتحمل الشركة .

فولاه معاوية خراسان (٣٥) .

وبهذا استجواب معاوية لطلابي الولاية ، وقد سبق أن سأله الصحابي أبوذر الغفارى النبي صل الله عليه وسلم الامارة .

فقال : أنت ضعيف وهي أمانة وهي يوم القيمة خزي وندامة إلا من أخدتها بحقها وأدلى ما عليه فيها . (٣٦) .

مناورات في تعيين عمال الخراج :

— استعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة ، فاتاه المفيرة بن شعبة وقال لمعاوية : « استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمرًا على مصر فتكون أنت بين لحيين الأسد » فعزل معاوية عبد الله بن عمرو واستعمل المفيرة بن شعبة على الكوفة .

فسخل عمرو على معاوية فقال : استعملت المفيرة على الكوفة ؟

فقال معاوية : نعم .

فقال عمرو : أجملته على الخراج .

فقال معاوية : نعم .

(٣٥) الطبرى - جزء . - مرجع سابق ٣١٥ .

(٣٦) الخراج للقاضى ابن يوسف يعقوب بن ابراهيم - المطبعة - السلفية .

قال عمرو : تستعمل المغيرة على المراج ففيقتل المال ، فيذهب فلا يستطيع أن تأخذ منه شيئاً ، استعمل على المراج من يخافك ويسباك ويتقيك فعزل معاوية المغيرة عن المراج واستعمله على الصلاة .

فلقى المغيرة عمراً فقال : أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت به في عبد الله ؟

قال المغيرة : نعم .

قال عمرو : هذه بتلك (٣٧) .

فمن هذا يبين أن تعيين عمال المراج كان يخضع أحياناً للدس والتزييف والمتاردة .

تعيين لتحقيق المصلحة الشخصية :

— أراد معاوية توجيه عتبة بن أبي سفيان على البصرة ، فكلمه ابن عامر وقال : إن لي بها أموالاً وودائع فان لم توجهني عليها ذهبت لولاه البصرة فقدتها في آخر سنة احدى وأربعين حجرياً (٣٨) . وهذا مثال آخر على أن اختيار الوالي كان أحياناً لتحقيق مصالحه الشخصية .

ولاية للقرابة :

في سنة خمس وخمسين حجرية شكا أهل البصرة إلى معاوية واليها عبد الله بن عمرو بن غيلان فعزله معاوية .

وقال لهم : اختاروا من تحبون أن أول بلدكم .

قالوا : يختار لنا أمير المؤمنين .

فقال : هل لكم من ابن عامر فهو من عرقكم في شرفه وعفافه وطهارة .

قالوا : أمير المؤمنين أعلم .

فجعل معاوية يردد ذلك عليهم ليسبّهم (يختبرهم ويختنهم) .

ثم قال : قد وليت عليكم ابن أخي عبد الله بن زياد (٣٩) .

(٣٧) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق ص ١٦٦ .

(٣٨) المرجع السابق من ١٧١ .

(٣٩) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٣٠٠ .

ولاية للمجاملة :

سئل سعيد بن عثمان بن عفان معاوية أن يستعمله على خراسان وكان يزيد بن معاوية حاضرا .

فقال معاوية : إن بها عبيد الله بن زياد .

فقال : أما لقد أصطعنك ابن ورقاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا يجاري إليه ولا يسامي ، فما شكرت بلاه ولا جازيته بالآية وقدمت على هذا (اشارة إلى ابن معاوية يزيد) وبايمنت له والله لأننا خير منه أبا وأما ونفسا .

فقال معاوية : إنما بلاه أبيك فقد يحق على الجزار به وقد كان من شكري لذلك أني طالبت بذلك حتى تكشف الأمور ولست بلاه نفس قي التشمير . وأما فضل أبيك على أبيه فابوك والله خير مني وأقرب برسول الله صل الله عليه وسلم ، وأما فضل أمك على أمه فما ينكر ، امرأة من قريش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلك عليه فما أحب أن الغوطة (٤٠) دحست (٤١) ليزيد رجالا مثلك .

فقال يزيد لأبيه : يا أمير المؤمنين ابن عسك وأنت أحق من نظر في أمره وقد عتب عليك فاعتبره (٤٢) .

فولاه حرب خراسان وولى اسحق بن طلحة خراجها وكان اسحق ابن خالة معاوية (٤٣) .

آثاره العقد بين العاملين :

لما كان سعيد بن العاص على المدينة كتب إليه معاوية أن اعدم دار مروان فلم يهتم بها فاعاد عليه الكتاب بهدمها فلم يفعل فعزله . وولى مروان فكتب إليه أن اعدم دار سعيد فهم بذلك ، فلما هدم سعيد كتاب معاوية يهدم داره وأنه لم يفعل فلم يهدم دار سعيد (٤٤) .

تعليمات بمخالفات في الادارة المالية :

ـ كتب معاوية إلى وردان مولى عمرو بن العاص أمير مصر أن زد كل أمرى من القبط قيراطا ، فرد عليه وردان قاتلا ـ كيف أزيد عليهم وفى عهدهم لا يزاد عليهم ـ .

(٤٠) الغوطة : مكان واسع يدعى بمنطقة وهي أحدث مدن مراتب الدنيا الأربع .

(٤١) دحست : أي ملئت .

(٤٢) اعتبه : أي أرشد .

(٤٣) الطبرى جزء ٥ مرجع سابق ص ٢٩٤ .

(٤٤) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق ص ٢٩٤ .

ذلك أن معاحدات الصلح بين الدولة الإسلامية والمماليك وما بها من تصووص ومنها النصوص المتعلقة بالمال العام واجبة التنفيذ بين الطرفين .

— يصور أحد الكتاب إدارة المال العام في عهد معاوية فيقول :

« وان الذي يعلن لعن خصمه على بناء المساجد لا يكف عن الحمد لنفسه في كل مكان وبكل لسان ! ولو لم يرد من أخبار تلك الفترة ان معاوية كان يغدق أموال المسلمين على الأعوان ومن يرجى منهم العون . لكن لعن خصمه على المثابر كافيا للابانة عما صنعه لكتسب الثناء عليه ، واسكات القادحين فيه . . . ولكن أخبار الأموال المبذولة لتفجير المقاائق في هذه الفترة يفيض بها كتب المادحين ومن لا يمدحون ولا يقدحون . ولم يعلم أحد بذلك من الوفر والبسامة ، ولكنها معلومة التقدير ، وان لم تعلم بالأحصاء وأرقام المساب ، لأنها استنفدت خزانة الدولة وجرت إلى مضاعفة المكوس والضرائب ومخالفة المهدود لأهل الذمة وحسبان الزكاة من حصة الخزانة التي يستولى عليها ولاة الأمور . . . (٤٥) »

— قدم سليمان بن عبد الملك المدينة فاعطى بها مالا كثيرا وكان بصحبته عمر بن عبد العزيز فقال لعمر بن عبد العزيز : كيف رأيت ما فعلت يا أبا حفص ؟

قال عمر : رأيتك زدت أهل الفسق غنى وتركت أهل الفقر بغيرهم (٤٦) .

« الحالات في عطية بيت المال :

كان العطاء في عهد الخليفة الراشدين من حيثما بعدها بعد آلة الإسلام فاتسم بالمحق والعدل والشمول ، غير أنه ابتداء من عهد معاوية اتجه العطاء اتجاهها سياسيا فارتبط منحة في بعض الحالات بتأييد شخص الخليفة وتدعم سلطاته وفيما يلي نماذج لذلك .

— قال زياد في عهد معاوية بن أبي سفيان على المنبر مهددا أهل البصرة بقطع العطاء عنهم اذا لم يكتفوا بعض المارجين على الولاء لمعاوية وله :

« يا أهل البصرة والله لتسكفن هؤلاء أو لأبدان بكم ، والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهما » .

(٤٥) معاوية بن أبي سفيان في الميزان — طبعة دار الهلال بالقاهرة من ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ عباس العقاد .

(٤٦) سيرة عمر بن عبد العزيز — ابن عبد الحكم — تأليف احمد عبيد — الطبعة الثانية مكتبة وعيه بالقاهرة من ١١٢ .

فثار الناس فقتلواهم (٤٧) .

— كان مما ورد في خطبة عبيد الله بن زياد في عهد يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان حينما أقبل إلى الكوفة ليواجهه المسين بن عل أن طلب من الناس أن يكتبوا له عن أهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاوة وأيما شخص وجد في عراقته أحد منهم صليب على باب داره وألقي عنه العطاء (٤٨) .

— ينوه الفرزدق عن مخالفات العطاء وقد كان معارضًا ل زياد في عهد معاوية وكان إذا نزل زياد البصرة نزل الفرزدق الكوفة وإذا نزل زياد الكوفة نزل الفرزدق البصرة . فتوسط الناس لدى زياد فقال :

« لو أتاني لأمنته واعطيتها » .

فبلغ ذلك الفرزدق فرفض في تصييده طويلة منها هذه الأبيات عن مخالفات العطاء :

دعاي زياد للعطاء ولم أكن
لأني ما ساق ذو حسب وفرا
وعنده زياد لو يريده عطاء
رجال كثير قد يرى بهم فقرا
عود لدى الأبواب طلاب حاجة
غوان من الحاجات أو حاجة بكرا

وقر الفرزدق إلى المدينة حتى هلك زياد (٤٩) .

مظالم في المال الخاص ١

وإذا كان أمراء يبني أمية قد ارتكبوا المخالفات السابقة بالنسبة للمال العام ، فقد وقعت بعض المظالم على المال الخاص ، من ذلك ما رواه الطبرى فقال .

— كان محمد بن يوسف عامل الوليد على اليمين ، فلما سمع حمل هدايا للوليد ، فقالت أم البنين زوجة الوليد : أجعل لي هدية محمد بن يوسف فأمر بصرفها إليها ، فلما أرسلت إلى محمد بن يوسف طالبة الهدية فابن وقال ينظر فيها أمير المؤمنين فبرى رأيه .

فقالت للوليد : يا أمير المؤمنين ألك أمرت بهدايا محمد أن تصرف إلى ولا حاجة لي بها .

(٤٧) الطبرى جزء . مرجع سابق من ٢٢٨ .

(٤٨) المرجع السابق من ٣٥٩ .

(٤٩) الطبرى جزء . مرجع سابق من ٢٩٨ .

قال : ولم .

قالت : بلغنى أنه خصيوا الناس وكلفهم عملها وظلمهم
فلما حمل محمد الهدايا إلى الوليد قال : بلغنى أنك أصبتها غضبا .
قال : معاذ الله .

فأمر الوليد فاستخلف محمد بن يوسف بين الركن والمقام خمسين
يميما بالله ما خضب شيئا منها ولا ظلم أحدا ولا أصابها إلا من طيب
فحلق قبليها الوليد ودفعها إلى أم البنين .

فمات محمد بن يوسف باليمين أصابه داء تقطع منه (٥٠) .
- حسود الله واجبه التطبيق وفي ذلك يقول الله جل علاه :
« تلك حسود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حسوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » (النساء /
١٣ ، ١٤) .

ومع ذلك تصلى سليمان بن عبد الملك العدد عند البحث عن حق
رجل ، فقد كان عمر بن عبد العزيز عنده ذات يوم وعنه ابن سليمان
وهو يومئذ ولـى عهده ، وجاءه رجل يطلب ميراثا من بعض نساء الخليفة .
فقال سليمان : ما أخال النساء يرثن في العقار شيئا .

فقال عمر : سبحان الله وأين كتاب الله .

فنادى سليمان بقلم وقال له . اذهب فاتنى بسجل عبد الملك بن
مروان الذى كتب فيه ذلك .
فقال عمر : لكائك أرسلت إلى المصحف .
فغضب أبوبن سليمان .

وقال عمر : والله ليوشكـنـ الرجل أن يتكلـمـ بمـثـلـ هـذـاـ عندـ أـمـينـ
المؤمنـينـ فـلـاـ يـشـعـرـ حتـىـ يـفـارـقـ رـأـسـهـ .

فقال عمر : اذا أفضى الأمر إليك والى أمثالك كان ما يدخل على
الاسلام أشد مما يخفي عليكم من هذا التول (٥١) .

(٥٠) الطبرى بـزـءـ ٦ـ . مـرـجـعـ سـاـبـقـ مـرـ ٤٩٨ـ .

(٥١) سيرة عمر بن عبد العزيز . لاين عبد المكر . تعليق أبوبن سليمان . طبعة ثانية
من ٢٧ .

مقدمة السياسة المالية للخلفاء الراشدين والأمويين ١

في خصوص ما سبق يمكن المقارنة بين أوضاع السياسة المالية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وعهد الأمويين قبيل عمر بن عبد العزيز على النحو التالي :

— اتفق العهدان بصفة عامة على تطبيق الضرائب العامة الإسلامية وهي الزكاة وخمس الفنائيم والمراج والبزية وعشور التجارة ، وإن كان سيتضاعف فيما بعد أن حكام بنى أمية فرضوا نوعاً من الرسوم لم تكن في عهد الخلفاء الراشدين .

— تم تطبيق هذه الضرائب العامة في عهد الخلفاء الراشدين بالتزام أحكام القرآن المجيد وسنتن الرسول الكريم ، بينما حدثت في عهد بنى أمية تجاوزات ومخالفات في التطبيق .

— حد الالتفاق العام في عهد بنى أمية عن الترشيم الكامل في عهد الخلفاء الراشدين فاقتصر حكم بنى أمية من المال بغير حساب وكان للبعض حاشية نالها تصيب من الأموال العامة وترك لبعض الولاة بعض ما حصلواه من المال العام ، كما أتفق من بيت المال لتأييد الحكم وتشييد السلطة وأغراء المعارضة لتسكت .

— كان تعيين الولاة والعمال في عهد الخلفاء يتم بصفة عامة على أساس الأصلح والأكفاء ، بينما كان يتم في عهد بنى أمية في بعض الحالات على أساس الشقة ، وفي بعض الحالات الأخرى على أساس القرابة والمجاملة مما عكس أثره على كفاءة السياسة المالية للدولة .

— التزمت إدارة المالية العامة في عهد الخلفاء الراشدين بالتقى فشح الحق على التنفيذ وعمت العدالة المالية في تحديد الأوعية الماضعة للفرائض المالية ونفذت النصوص المالية التي تضمنتها عقود الصلح مع أهل الذمة وعمول أهل الذمة بالرفق والرحمة تنفيذاً لتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ، بينما في عهد بنى أمية طرأت تجاوزات ومخالفات في إدارة المالية العامة حادت بها عن خط التقى ومبادئها .

— كان المكل سلطه من عطاء بيت المال في عهد الخلفاء الراشدين ، ولكن في عهد بنى أمية ، اتخد العطاء سلاحاً لتحقيق سياسة الدولة فاغدر على المؤيدين وحرم منه المعارضون .

— تضمنت آثار المخالفات المالية في عهد بنى أمية وقوع مظالم على الناس ولم يكن ذلك يحدث في عهد الخلفاء الراشدين .

الأسس العامة المطلوبة لاصلاح مسار السياسة المالية للدولة :

ينبغي على ما سبق أن اصلاح السياسة المالية للدولة ينبغي أن يقوم على أسس تؤدي إلى ازالة المخالفات التي لحقت بها ، حتى تعود لما كانت عليه أيام الخلفاء الراشدين وتكون هذه الأسس كالتالي :-

ـ ازالة ما اعتري الإيرادات العامة من مخالفات .

ـ ترشيد الإنفاق العام .

ـ التزام الكفارة والمصالحة في تعين ولاة الدولة وعمالها .

ـ التزام إطار التقوى في إدارة السياسة المالية .

ـ حصول كل صاحب حق على حقه من عطاء بيت المال .

ـ رد المظالم التي وقعت في عهد بنى أمية .

نبوة للرسول بالاصلاح تتحقق :

امتدت المخالفات في السياسة المالية حتى عهد الخليفة الأموي سليمان ابن عبد الملك وقد توافق يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسعة وتسعين عجرية (٥٢) .

وبذلك آن أوان نبوة الرسول صل الله عليه وسلم بالاصلاح . طبقاً لمدينه الذي رواه أحمد بن حنبل ومسو « إن الله عن وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يقيمه لها أمر دينها » (٥٣) .

وسترى في الأبواب التالية أن الله عز وجل بعث للأمة الإسلامية عمر بن عبد العزيز ليقيمه لها أمر دينها في المالية العامة الإسلامية .

(٥٢) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق من ٥٤٦ .

(٥٣) الإمام الشافعى - للاستاذ عبد الجليل المحسنى من ٣٨٠ طبعة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

الباب الثاني

خلافة عمر بن عبد العزيز وسياساته المالية

خلافة عمر بن عبد العزيز

نبيلة عن خلافة عمر بن عبد العزيز :

رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات ليلة رؤيا نهض
من نومه على أثرها يصحب ويقول :

« من هذا الذي من ولد عمر يسمى عمر يسمى بسيرة عمر » .
وكان يقول أيضاً :

« إن من نسل رجلاً بوجهه شبح يليل الخلاة ويملا الدنيا عدلاً » .
ولقلل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أبيه تلك النبوة ، فكان
يقول :

« ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر بن الخطاب في وجهه
علامة يملأ الأرض عدلاً » .

وبعدأت أول حلقاته نبوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تتحقق في
حياته فقد خرج ذات ليلة كعادته يتفقد أحوال الرعية في مدينة الرسول
صليل الله عليه وسلم ، فترامى إلى أذنيه حديثاً جرى بين أم وأبنتها وتسرب
من أحد المنازل ، وكان كالتالي ١ -

الأم : إلا تصدقين (أي تخلطين) اللبين بالماء .

البنت : كيف أصدق اللبين يا أماء وقد نهى أمير المؤمنين عن المصدق ؟

الأم : قد مصدق الناس فامصدق ، فما يدرى أمير المؤمنين وهو لا يدرانا .

البنت : إن كان لا يعلم ولا يرانا فما يعلم وهو يرانا ، ما كنت أفعله وقد نهى عنه .

تملك عمر بن الخطاب الاعجاب بصلاح الفتاة وخشيتها الله جل وعلا فلما أصبح الصباح تحري عنها فإذا هي من بنى حلال .

فندى ابنة عاصم وقال له : اذهب يا بني فتزوجها فما أحراما أن تأتى بفارس يسود العرب .

أطاع عاصم أباه وتزوج الفتاة فولدت له ليل المسروفة باسم « أم عاصم » وتزوجها فيما بعد أمير من أمراء العرب وهو عبد العزيز ابن مروان بن الحكم فأنجبت ولداً أسمته باسم جدها عمر فكان عمر ابن عبد العزيز بن مروان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وأمه أم عاصم ليل بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وكان مولده في سنة أحدى وستين هجرية وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي ، وفي طفولته رمحته دابة في وجهه وهو بدمشق فماتت به أمه وضمتها إليها وجعلت تمسيح الدم عن وجهه وهي تبكي .

ودخل عليها أبوه وهي على تلك الحال فأتاحت عليه تعتذله وتلومه فقد ترك رمح الدابة شجاً في وجهه فقال لها : أهذلى أم عاصم . فطوباك إذا كان عمر أشجع بنت أمية فرسيل خلافة الإسلام والمسلمين . وبذات أوصاصات خلافة الطفل تتوالى .

فلما شب ، وبينما كان يتلقى العلم على يدي أحد شيوخه سأله عن سبب الشج في وجهه فشرح له قصة الدابة التي رمحته .

فقال الشيخ : أنت أذن أشج بني مروان ؟ سئل يا بني الخلافة يوماً فتملا الأرض عدلاً ونوراً بعد أن ملئت ظلماً .

وحدث المزاعي عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله صل الله عليه وسلم في روضة خضراء فقال له : إنك سئل أمني فزع (١) عن الدم فان اسمك في الناس عمر بن عبد العزيز وأسمك عند الله جابر (٢) .

ويروى أبو بكر بن أبي الدنيا رواية أخرى عن عمر بن عبد العزيز : أنه رأى رسول الله صل الله عليه وسلم وهو

(١) فزع أي لكت .

(٢) عمر بن عبد العزيز لأبي كثير الترس . - تلديم وتمليق أحمد الشريانى - دار الطباعة والنشر من ٥٧ .

يقول : أدن يا عمر
قد نوت حتى خشيت أن أصيبيه
فقال : إذا وليت فاعمل نحو ما من عمل هذين .
فإذا كهلاً قد اكتنفاه
فقلت : ومن هذان
فقال : هذا أبو بكر وهذا عمر (٣) .

خلافة عمر بن عبد العزيز :-

قصص وزير سليمان بن عبد الملك رجاء بن حبيبة (٤) وكان من علماء
التابعين وفضلاً لهم قصة خلافة عمر بن عبد العزيز فقال :
لما كان يوم الجمعة ليس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراء من خز ،
ونظر في المرأة .

فقال : أنا والله الملك الشاب
فخرج إلى الصلاة فصل بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك
لما تقل (٥) عهد في كتابه كتبه لبعض بنبيه وهو غلام ولم يبلغ .
فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ! الله معاً يحفظ الخليفة في قبره
أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح .

فقال سليمان : أنا استغفر الله وأنظر فيه
فمكث يوماً أو يومين فدعاني

فقال : ما ترى في دارود بن سليمان

فقلت : هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدرى أهى هو أم ميت
فقال لي : فمن ترى

قلت : رأيك يا أمير المؤمنين .
وكنت أريد أنظر من يذكر

(٣) المرجع السابق من ٦٧ .

(٤) هو أبو المقدام - أو أبو نصر - رجاء بن حبيبة بن جندل الكندي الشامي القسطنطيني
العايس الإمام . روى عن كثير من الصحابة وشيوخ من التابعين وروى عنه جمادات من
التابعين وكان شاة عالما فاضلاً (عمر بن عبد العزيز لاين كثير التراث - تقديم وتأسليق
أحمد الشرباص مامش من ٥٩) .

(٥) تقل : أي الشهد مرضه .

قال : كيف ترى في عمر بن عبد العزيز
فقلت : أعلمك والله خيرا فاضلا سلما
قال : هو والله على ذلك .

ثم قال : والله لئن وليتني ولم أول أحدا سواه لكونه فتنه ولا
يتركتونه أبدا يبل عليهم إلا أن يجعل أحدهم يعده ، فيزيد ابن عبد الملك
أجعله يعده فان ذلك مما يسكنهم ويرضون به . (٦)

قلت : رأيك

فكتب سليمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم »
« هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز .
أني قد وليتك الخلافة من بعدي ومن بعدي يزيد بن عبد الملك . فاسمعوا له
واطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمس فيكم » .

وختم الكتاب .

وارسل سليمان في طلب صاحب الشرطة فلما حضر

قال : من أهل بيتي فليجتمعوا
فأرسل صاحب الشرطة إليهم أن يجتمعوا فاجتمعوا

ثم قال سليمان لوزيره رجاء بعد اجتماعهم : اذهب بكتابي هذا
إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي وأمرهم فليجتمعوا من وليت فيه ، ففعل
رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا : ندخل فنسلم على أمير المؤمنين .

قال : نعم

ندخلوا

فقال لهم سليمان : في هذا الكتاب - وهو يشير لهم وهم ينظرون
إليه في يد الوزير - عهدي ، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سمعت في هذا
الكتاب .

فبايعوا رجالا رجالا

(٦) تذكر بعض الروايات أن سليمان بن عبد الملك قال أيضا متى إلى استخلافه
لعمر بن عبد العزيز « لا عقلن علمن لا يكون للشيطان فيه تصيب » .
الظر سيدة عمر بن عبد العزيز لابن عبد المكتم ، تصليق أسد عبيد - طبعة ثانية

ص ٢٩ .

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون قد أسلنه إلى شيئاً من هذا الأمر ، فما شدك الله وحرمتني وموتي إلا أعلمته أن كان حتى أستعفية الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة .

قال رجاء : لا والله ما أنا بمخبرك حرفًا .

فلذهب عمر غضبان

قال رجاء : لقيتني هشام به عبد الملك — وكان آخر الخليفة سليمان وكان يتطلع إلى المنصب .

فقال : يا رجاء إن لي بك حمرة ومرة قديمة ، وعندي شكر ، فاعلمتني هذا الأمر . فأن كان إلى علمت ، وإن كان إلى غيري تكلمت ، فليس مثل قصر به ، فاعلمتني ذلك الله على إلا ذكر من ذلك شيئاً أبداً . فابي رجاء وقال : والله لا أخبرك حرفًا واحدًا مما أسر إلى .

فانصرف هشام وهو قد ينس

ودخل رجاء على سليمان فإذا هو يعاني سكريات الموت .

وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
ومات فسجاه رجاء بقطيعة خضرا .

وارسلت زوجة سليمان إلى رجاء تقول : كيف أصبح ؟
فأجاب رجاء : نائم وقد تقطى .

قال رجاء : وأجلسست على الباب من أثني وأوصيته إلا يبرح حتى آتاه ، فلما يدخل على الخليفة أحد ، فخرجت وارسلت إلى صاحب الشرطة فجمع أهل بيت أمير المؤمنين فاجتمعوا في مسجد دانق .

قللت ١ بایسوا

فقالوا : قد بایسنا برة وتبایع أخرى .

قلت : هذا عهد أمير المؤمنين فبایعوا على ما أمر به ومن سعى في هذا الكتاب المختوم فبایعوا الثانية رجالاً ورجالاً .

فلما بایسوا بعد موت سليمان رأيت إلى أحكمت الأمر

قلت : قوموا إلى صاحبكم فله ما ت

قاتلوا : أنا الله و أنا اليه راجعون .
 و قرأت الكتاب عليهم فلما انتهيت الى ذكر عمر بن عبد العزيز
 نادى هشام بن عبد الملك : لا نبايه أبدا
 قلت : أضرب والله عنقك ، تم فبایع
 فقام يجر رجلية
 وأخذت بعمر بن عبد العزيز فاجلسنته على المنبر
 . وقال عمر بن عبد العزيز « أنا الله و أنا اليه راجعون ، لكرهته
 تقوى الخلافة » (٧) .
 وقال هشام بن عبد الملك « أنا الله و أنا اليه راجعون ، لأنه نهى
 عنها » (٨) .
 و تم ذلك في سنة تسع وتسعين هجرية .
 وأراد عمر أن يتأكد من بيعة الناس له فخطب الناس وقال :
 « أيها الناس ، أني قد ابتنى بهذا الأمر من غير رأى كان مني فيه
 ولا طلبت له ولا مشورة على المسلمين . وأني قد خلعت ما في عنقكم
 من يبعتن ، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون » .
 فصالح المسلمون صيحة واحدة : « بل اياك تختار ، يا أمير
 المؤمنين » (٩) .

روى منامية عن خلافة « عمر بن عبد العزيز » :
 وقد أحاطت بالبيعة لعمر بن عبد العزيز روى منامية مختلفة
 او رد لها بعض المؤلفين :
 فكان عمران بن شرجيل بن حسنة يقول ان رجلا رأى في النسم
 ليلة في عمر بن عبد العزيز الخلافة ان مناديا بين السماء والأرض ينادي

(٧) « فلم يكن في الخلافة مطاع ، فسلفياً بن عبد الملك كان له أولاده ومن عادة
 خلفاء بنى أمية ايغار أولادهم بالاستخلاف ، فعل ذلك معاوية الثاني ثم فعله مروان حين
 استخلف ولده عبد الملك وأراده عبد الملك حين أراد تعيين أخيه عبد العزيز وأخذ البيعة
 لولده الرشيد » .

(٨) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٥٢ .

(٩) معجزة الإسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد سعيد خالد - من ٩٠ - طبعة دار
 المعارف .

اتأكم اللذين والذين واظهار العمل الصالح في المسلمين فقال : ومن هو ؟
فنزل فكتب في الأرض : « عمر » (١٠) .

وعن وهيب بن الورد قال : بينما نحن خلف المقام اذ رأيت كان
داخلا من باب بني شيبة :

وهو يقول : يا ايها الناس ولی عليکم كتاب الله

فقلت : من

فأشار إلى ظفره فإذا مكتوب عليه : « عمر » ، فجاءت بيته
عمر بن عبد العزيز » (١١) ، (١٢) .

تحققت اذن نبوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتولى خلافة الاسلام
وال المسلمين من ولدهم رجل بوجهه شيج .

مواصفات عمر تؤهله للإصلاح المالي :

حيثما ولی عمر بن عبد العزيز امارة الدولة الاسلامية كانت صفاتة
تنبع بالله سيقود بنجاح الاصلاح العام ومنه الاصلاح المالي – فقد

- التزم طريق التقوى .
- نهل من منابع العلم .
- أخذ بالشوري .
- أقام العدل .

ونوضح ذلك فيما يلى :

تقوى الأمير تصلح مسار المال العام :

عن تقوى عمر بن عبد العزيز قبل

ـ فاجأته أمه ذات يوم وهو طفل في حجرته وحده يبكي وينتحب ،
والمقت نفسها عليه متسائلة عما دعاه .

فكان جوابه « لا شيء يا أماه – إنما ذكرت الموت » (١٣)

(١٠) عمر بن عبد العزيز – لابن كثير القرشي – تقديم وتعليق أسد الشرباصي
ص ٤١ – دار التوزيع والطباعة والنشر .

(١١) المرجع السابق – مامش ص ٤١ .

(١٢) رأينا ذكر الرؤى الناتمة لمجرد الاحاطة والعلم .

(١٣) سيرة الاسلام عمر بن عبد العزيز – خالد محمد خالد – طبعة ثالثة ص ٢٨ .

— قال أنس بن مالك : ما صلیت وراء امام اشتبه بصلة رسول الله
صلی الله عليه وسلم من هذا الفتى — يعني عمر بن عبد العزیز — حين كان
على المدينة . فكان يتم الرکوع والسجود . ويخفف القيام والقعود (١٤)

— قال عبد الله بن طاوس ق رأیت أبي تواقف هو وعمر بن
عبد العزیز من بعد صلاة العشاء ، حتى أصبحت فلما افترقا
قلت : يا أبا من هذا الرجل ؟

قال : هذا عمر بن عبد العزیز وهو من صالحى هذا البيت — يعني
بني أمیة (١٥) .

— قال عبد الله بن كثير :
قلت لعمر بن عبد العزیز : ما كان به انباتك ؟
قال : أردت ضرب غلام لى قال لى : اذکر لیسلاة صبیحتها يوم
القيمة (١٦) .

— وجاء رجل الى سعید بن المسیب
فقال : من المهدی
قال سعید : أدخلت دار مروان ؟
قال : لا

قال : فادخل دار مروان ترى المهدی
فأتى الرجل دار مروان فرأى الامیر عمر بن عبد العزیز والناس
مجتمعین .

فعاد الى سعید بن المسیب وقال : يا أبا محمد دخلت دار مروان
فلم اد احذا ، اقول هذا المهدی .

فقال سعید : هل رأیت الاشیج عمر بن عبد العزیز القاعد على
السریر ؟

(١٤) عمر بن عبد العزیز . . . ابن كثير الترشی — تعلیق احمد الشیریاس من ٤٩ .

(١٥) للرجیع السابق من ٥٠ . — عبد الله بن طاوس لما فاضل عابد وابره من كبار
الدماء والقروا علی بجلالته وعلمه وحظه وسلامه .

(١٦) للرجیع السابق من ٥١ . — وعبد الله بن كثير هو احد القراء السبعة كان ثقة
وله احادیث صالحة .

قال : نعم

قال : فهو المهدى (١٧)

— لما خرج عمر بن عبد العزيز سنة ثمان وثمانين ومه جماعة من قريش ، فلما كان بالتنعيم لقيهم نفر من قريش فأخبروه أن مكة قليلة الماء وأنهم يخافون على الحجيج العطش وذلك أن المطر قل .

فقال عمر : فالطلب ما هنا بين ، تعالوا ندع الله .

فدعوا الله ودعا بهم مالحوا في الدعاء ، فلما كان الليل سكبت السماء ومطرت عرفة ومنى وجم ونبتت مكة تلك السنة للمحصب (١٨)

— وقال رياح بن عبيدة اليساعي الكوفي وكان من خواص عمر بن عبد العزيز ومن جلسائه — خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكئ على يده .

فقلت في نفسي : إن هذا الشيئ جاف ؟

فلما صل ودخل لحقه فقلت : أصلح الله الأمير ، من هذا الشيئ الذي أتكلمه يدك ؟

فقال : يا رياح أرأيتك ؟

قلت : نعم

قال : ما أحسبك يا رياح إلا رجلا صالحا ، ذلك أخى العضر .
أتائى فاعلمنى أنى سأى أمر هذه الأمة وأتى ساعدل فيها (١٩) .

— أبان ولايته للمدينة أطاع عمر بن عبد العزيز أمر الوليد فجلد خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطا وصب على رأسه قربة من ماء في يوم شات ووقفه على باب المسجد فمكث يوما ثم مات . وكان الوليد بناء على كتابه في المجاج يظن أن خبيب يعد للمثار لأبيه وللثواب على الملك .

تدم عمر على ما فعل ندما شديدا وأغلق على نفسه باب داره سبعين يوما ، ولما عزل عن المدينة في سنة ثلاث وتسعين وخرج منها التفت إليها وبكي .

(١٧) سعيد بن المسيب من المشتملين بعلوم الحديث والفقه الذين كانوا يعرفون باسم أهل الحديث أو التابعين . وقد سبق التنبؤ به .

(١٨) تاريخ الطبرى جزء ٦ مرجع سابق من ٤٣٨ .

(١٩) عمر بن عبد العزيز لابن كثير الفرضى مرجع سابق من ٥٧ ، ٥٨ وقد وردت في أكثر من مرجع . — رياح بن عبيدة الكوفي — سكن المجاز وهو ثقة وكان من العباد .

وقال مولاه : يا مزاحم تخنى أن تكون من نفت المدينة (٢٠) .

وكان في قوله يستند إلى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم « ان المدينة كالثير تخرج الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد » . رواه مسلم (٢١) .

وكتيرا وهو خليفة ما كان يذكر ذلك الحادث فيبكي بالرغم من أنه دفع دية خبيب إلى أوليائه لما استخلف .

فيقول له حواريه المقربون .

فيم بكافك وقد وفقك الله لعمل أهل الجنة ؟

فتزداد دموعه ويقول : كيف بخبيب ؟ كيف بخبيب ؟ ان نجرت من خبيب فانا بخير (٢٢) .

ـ احاط عمر بن عبد العزيز حكمه بتفصي الله وعبر عن ذلك تعبيرا واضحا بالكثير من كلماته وخطبه وفيما يلي نموذج لأحد خطبه :

ـ لقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه من بعده سنتنا الأخذ بها اعتقاد بكتاب الله وقوته ل الدين الله ليس لأحد تبديلها ولا الركون لأمر خالقها ، من اهتدى بها فهو المهتدى .

ومن استنصر بها فهو المنصور .

ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساعت مصيرها .

أيها الناس :

انه ليس بعد نبيكم نبي وليس بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب ،

فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيمة ،

الا وانى لست بقاض واما أنا منفذ ، ولست بمبتدع انا ان متبع .

ولست بخيركم انا منكم غير انى اتكلكم حمل ، (٢٣) .

(٢٠) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٤٨٢ .

(٢١) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير الترش - مرجع سابق ص ٤٦ .

(٢٢) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١٠٢ ، ١٠٠ وسيرة عمر لابن الجوزى ص ٣٣ - ٣٥ - عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٤٣ .

(٢٣) معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١٨ .

— أصبحت تقواء في عهده سمة عامة يتحادث بها الناس ويقتدون بها ، فيقول الطبرى « كان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع ، وكان الناس يلتقطون في زمانه ، فاتما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع — فول سليمان فكان صاحب تناح وطعم — فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجوارى . »

فلما ول عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقطون فيقول الرجل للرجل ما وررك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ومتى تختتم ومتى ختمت ؟ وما تصوم من الشهر ؟ ، (٤٤) .

فعمر بن عبد العزيز اذن كان من الاتقاء ، والتقوى في المالية العامة الإسلامية ضرورية لتنظيم ايراداتها ونفقاتها وادارتها فتجعلها تتبع من مصادرها الأصلية وهي القرآن المجيد والسنن النبوية وتعصم مسارها من احواه الحكم ونزاعات العمال وتقومه بالاصلاح ان حاد عن الجادة ونكص عن الاستقامة .

علم الرئيس يشع على المالية العامة : —

علم رؤساء الدول ميزة كبيرة تمكّنهم من مناقشة وتوجيهه واعتماد سياسات الدولة ومنها السياسية المالية ، ويصبح علم الرئيس ضرورة قصوى اذا كان يدير سياسات الدولة ادارة مباشرة ، كما كان شأن في عهود الاسلام الأولى ، فاشرافه المباشر على سياسة المالية العامة وتنفيذها يتطلب منه ان يتأكد من سلامة السياسة الموضوعة وان تفيدها يسير في المسار السليم وأن الأموال العامة تدار ادارة رشيدة ولا يتحقق ذلك الا بالعلم والخبرة . وفي المالية العامة الاسلامية يتسع علم الرئيس ليشمل علوم القرآن واحكام السنن وسائل العلوم المتصلة بها .

وهذا ما تتوفر في « عمر بن عبد العزيز » قبل ولادته خلاة المسلمين .

— فقد جمع القرآن وهو صغير ، وبان حرصه على العلم من صغره ، فيقول الزبير وابن بكار ان أول ما استثنى عن رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب ، ان اباه ولـى مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه ، فاراد ابوه اخراجه معه الى مصر من الشام .

فقال له : يا ابا او غير ذلك لعله يكون افعى لي ولـك ؟

(٤٤) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق من ٤٩٧ .

قال : وما هو .

قال : ترحلتى الى المدينة فاقعد الى فقهائها وأتادب بآدابهم (٢٥) .
فأرسله أبوه الى المدينة فقد مع مشايخ قريش وتلقى العلم عنهم
وأقبل على العربية وأدابها وشعرها فاستوعب محسولاً وفيراً .

ـ وقد تحدث هو فيما بعد عن علمه في طفولته .

فقال : « لقد رأيتني بالمدية غلاماً مع الغلامان ثم تاقت نفسي للعلم
فاصبت منه حاجتي » (٢٦) .

ـ والشهادات بعلمه كثيرة

كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤذبه ، فلما حجج أبوه
اجتاز به في المدينة فسأله عنه .

فقال الضحاك بن عثمان : ما خبرت أحداً أعلم في صدره من
هذا الغلام (٢٧) .

ومن ميمون بن مهران : أتينا عمر بن عبد العزيز فقلنا له يحتاج
إلينا فإذا لحقناه تلاميذه (٢٨) .

وقال سفيان : كانت العلامة مع عمر بن عبد العزيز تلاميذه (٢٩) .
ومن مجاهد : أتينا عمر فما برحتنا حتى تعلمنا منه (٣٠) .

وقال ابن وهب : حدثني الليث عن أبي النصر المديني ٩

قال : رأيت سليمان بن يسار خارجاً من عند عمر بن عبد العزيز
فقلت له : من عند عمر خرجت ؟

قال : نعم

قلت : تعلموه

(٢٤) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشي تعلق أسد الشرباصي من ٤٥ .

(٢٥) مسجدة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد من ٤٦ .

(٢٦) المربيع السابق ص ٤٩ - صالح بن كيسان هو أبو محمد صالح بن كيسان
المولى ثقة ثبت فقيه مات بعد سنة ثلاثين و مائة هجرية .

(٢٧) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير القرشي تعلق أسد الشرباصي (٢٥) .

(٢٨) ، (٣٠) المربيع السابق ص ٥٠ - ومجاهد هو مجاهد بن جبيه كان من الأئمة
المعدودين .

قال : نعم

فقلت : هو والله أعلمكم (٣١) *

وقال الليث : حدثني رجل كان صحب ابن عمر وابن عباس وكان عمر بن عبد العزيز يستعمل الرجل على الجزيرة فقال :

« ما التمسنا علم شئ الا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز الا تلامذة » (٣٢) *

وقال ابن وهب أيضاً : حدثني الليث ، حدثني قادم البربرى انه ذاكر ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً شيئاً من قصصيأ عمر بن عبد العزيز - اذ كان بالمدينة .

فقال ربيعة : كانك تقول : اخطأ والذى نفسى بيشه ما اخطأ
قط (٣٣) *

- وما يتصل بعلمه *

أن عمر بن عبد العزيز قضى فترة تدريب على الحكم قبل المخلافة .
فلما مات أبوه وكان أمير مصر أخذه عمه عبد الملك بن مروان وكان على
رأس الدولة الإسلامية فخلطه بولده وزوجه بابنته فاطمة وكان قد ورث
عن أبيه الكثير من الأموال والممتع والدواب . ولما مات عبد الملك وولى ابنه
الوليد بن عبد الملك ولاه المدينة والطائف من سنة ست وثمانين هجرية إلى
سنة ثلاثة وتسعين فتبرس على شئون الحكم وتدرب على ادارة شئون
الدولة وقرب العلماء وأخذ عنهم وسچ بالناس وساهم في بناء مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم ووسعه بأمر من الوليد بن عبد الملك فادخل
فيه قبر النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه عزل عن المدينة في سنة ثلاثة
وتسعين (٣٤) *

بالشودى يشتراك الحاكم والرعيية في السياسة المالية :

اظهرت ولاية عمر بن عبد العزيز للمدينة أنه يدير ولايته بالشودى ،
فقد كون مدة ولايته مجلساً للشودى من عشرة فقهاء وكان لا يقطع أمراً
بدونهم أو من حضر منهم وهم :

(٣١) المرجع السابق ص ٤٩ - سليمان بن يسار الهلالى المدى أحد الفقهاء السبعة .
سمع الكثير من الصحابة والتابعين وروى عنه الكثير من التابعين - كان ثقة عالماً فقيهاً عابداً
كثيراً للعلم *

(٣٢) المرجع السابق ص ٥٠ *

(٣٣) المرجع السابق ص ٤٩ *

(٣٤) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٤٢ وما يليها .

- عروة بن الزبير
 - عبيدة الله بن عتبة
 - أبو بكر عبد الرحمن الحارث بن حشام
 - أبو بكر سليمان بن أبي خيشمة
 - سليمان بن يسار
 - القاسم بن محمد
 - سالم بن عبد الله بن عمر
 - عبد الله بن عبد الله بن عمر
 - عبد الله بن عامر بن ربيعة
 - خارجة بن زيد
 وحدد اختصاصهم فقال لهم :

« أتى إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعنوانا على الحق ، وما أريد أن أقطع إنما إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فان رأيتم أحداً يتعدى أو يلتفت عن عامل لـ ظلامه ، فاناشدكم بالله على من بلغه ذلك إلا بلشني - فخرجوا يجزونه خيرا » (٣٥) .

كما كان يستشير سعيد بن المسيب ولا يخرج عن قوله ، وقد كان سعيد بن المسيب لا يأتي أحداً من الخلفاء ولكنه كان يأتي إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة (٣٦) .

والحاكم حينما يطبق الشورى يطيع أمر الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم بالأخذ بالشورى ، فقد قال سبحانه وتعالى « فاغف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » (آل عمران/من ١٥٩) .
 ويطبق مبدأه عاماً وهو أن المؤمنين أمرهم شورى بينهم .

فقال جل وعلا « وأمرهم شورى بينهم » (الشورى/من ٣٨) .

والشورى لازمة في سياسة المال العام شأنها شأن باقي السياسات العامة للدولة وإذا كانت الماليات العامة الحالية تتضمن بشأنها دسائير الدول أحكاماً توجب المشورة باستطلاع رأى مثل الشعب في مسائل المالية العامة ، فتقضى بأن لا تفرض ضريبة ولا يملى منها إلا بقائمة وبيان

(٣٥) الطبرى ج ١ ص ٤٢٧ - مرجع سابق .

(٣٦) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير تلديم الشرباصى - مرجع سابق ص ٤٨ .

تعرض على المجالس التنابية الموازنة العامة للدولة وحساباتها الختامية
للمناقشة والاعتماد .

وإذا كان من حق مثلى الشعب الآن أن يناقشوا مسائل المالية العامة
للدولة في أي وقت فما ذلك كله الا ابتكا من مبدأ الشورى الذي قرره
الإسلام من مئات السنين .

العدالة المالية أحد دعائم السلطان :

ظهرت سمة العدل كمنصر من عناصر شخصية عمر بن عبد العزيز
حينما كان واليا على المدينة ، فقد رأى أن ينفي هاشم في المدينة ومكة
لا ينالون حظهم من عطاء بيت المال بينما الآخرون يرثون في التعيين من
الأموال العامة ، فطلب من الوليد أن يعطي ينفي هاشم وأل البيت أسمهم
من الفنادم والنفي ، والعطاء ، وتلك حقوقهم ، فأبى الوليد .

كما تعود عمر إذا جاءه أحد من آل البيت أن يأذن له بالدخول مهما
كانت مشاغله ويقول له أمام الجميع :

« أني لاستحق من الله أن تقف بيأبي ولا يؤذن لك » (٣٧) .

قالت فاطمة بنت على بن أبي طالب وهي عجوز :

« دخلت على عمر بن عبد العزيز أمير المدينة فانخرج المدرس والناس
ثم قال لي يا ابنة على واه ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلی منكم .
ولأتم أحب إلی من أهل بيتي » (٣٨) .

كما أوضح عمر بن عبد العزيز لل الخليفة حينما كان واليا على المدينة
مظالم المجاج الثقفي التي كان يرتكبها في الكوفة بكل من يخالف رأيه
واسرافه في الأموال العامة على كل من يريد أن يصطفيه ويشترى رأيه
وقتله بالظن الآلاف من المسلمين بغير بينة أو دليل ، وما زال يبلغ الخليفة
باعماله حتى كتب الخليفة للمجاج يوجهه لامتناع عن ذلك .

ولكن المجاج رد بأنه أباه قتل أهل المصيصة وأثاب بالأموال أهل
الطاعة وبذلك دعم ملك الخليفة ولا يعد ذلك تبديلا ، وأخبر المجاج الوليد
بأن أهل العراق وأهل الشقاق قد جلو عن العراق وبلغوا إلى المدينة

(٣٧) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ١٥٠ .

(٣٨) خامس الراشدين - عبد الرحمن الشرقاوى . سلسلة مقالات عن عمر بن
عبد العزيز بجريدة الأهرام - عدد ٢٦/٦/١٩٨٥ .

ومكة وأن عمر بن عبد العزيز يختضنهم وأن ذلك مما يوهن ملكه ويضعف سلطانه ، فعزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة (٣٩) .

وتمسك عمر بالعدل يتبع من طاعته لأمر الله جل وعلا بالعدل في كثير من الآيات منها قوله سبحانه وتعالى :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعماً يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً » (النساء / ٥٨) .

وأمر الله جل وعلا بالعدل بين أهل الكتاب في آية :

« وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين » (المائدة / من ٤٢) فالعدل إذا يعتبر أساساً من أساس الولاية الصالحة وهو سمة لازمة لسياسات المالية العامة بل أساساً من أساسها ، فرعاة العدالة تؤدي إلى توزيع الأعباء العامة على المواطنين حسب مقدرة كل منهم ، كما أنها تؤدي إلى أن ينال كل ذي حق حقه من بيت المال من خدمات أو عطاء على قدم المساواة دون انجحاف أو تمييز .

وهكذا فإن تقوى عمر بن عبد العزيز وعلمه وأخذه بالمشورة وعدله كانت كلها تبني حينما ول أمر المسلمين بأنه سيقود مسار المالية العامة للدولة الإسلامية قيادة ناجحة ، وهو ما سنتبينه في الأبواب التالية .

(٣٩) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق من ٤٨٣ - ٤٨٤ .

الفصل الثاني

أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز

سياسة عمر بن عبد العزيز المالية من خطبه واقواله :

تتضمن أسس السياسة المالية لسر بن عبد العزيز ما اعلنه في بعض الخطب والكلمات العامة التالية :

ـ غادة تولى عمر بن عبد العزيز امارة الدولة الاسلامية القى خطاب
ال التالي :

« اوصيكم بتقوى الله فان تقوى الله خلف من كل شيء وليس من
تقوى الله خلف ، واكثروا من ذكر الموت فانه هادم اللذات وأحسنوا
الاستعداد له قبل نزوله وأن هذه الأمة لم تختلف في ربهما ولا في كتبها
ولا في نبها وإنما في الدينار والدرهم وانى والله لا أعطي احدا باطلا
ولا أمنع أحدا حقه » .

ثم رفع صوته فقال :

« أيها الناس من اطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له ،
اطبئونى ما أطعى الله فما إذا عصيت فلا طاعة لي عليككم » (١) .

ـ وبعد تولى الخليفة :

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر : أكتب لي سيرة
عمر حتى أعمل بها (٢) .

(١) عمر بن عبد العزيز لابن كثير الفرضي - تقديم وتعليق احمد الشريانى من ١٠٧

(٢) المرجع السابق من ٦٧ .

ـ وقال لعمته وقد جاءته تبلغ شكوى عائلة المليئة من منع المطام
المميز عنهم ومن مساواتهم بسائر الأفراد واستمرداد عمر لما كان قد تقرر
من أحوال لبني عبد الملك وأولادهم وردها إلى بيت المال وإلى أربابها :

فرفض وقال :

« يا عمة أعلمك أن النبي صلى الله عليه وسلم مات وترك الناس على
نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده فلم يستقض منه شيئاً حتى مات ثم
في ذلك النهر رجل آخر فكرى منه ساقيه ثم لم ينزل الناس بعده يكررون
السوق حتى تركوه يابساً لا قطرة فيه ، وأيم الله لئن أبقاني الله لأرده
إلى مجرأه الأول ، فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط وإذا كان
الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالي والولي لا يزيل الظلم فكيف
يستطيع أن يزيل ما هو ناه في غيرهم » (٣) .

ـ وعن أهمية سياسة العالة واتصالها بالسياسة المالية قال :

ـ ان للسلطان أركانان لا يثبت الا بها فالوايي وكن والقاضي وكن
وساحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا » (٤) .

وبتحليل الأقوال السابقة يتبيّن ان سياسة المالية العامة لسر بن
عبد العزيز قامت على الأسس التالية :

ـ قرر وجود تجاوزات في تنفيذ السياسة المالية العامة لمن سبقة من
امراء بنى أمية ، ويستدل على ذلك بقوله :

ـ ان هذه الأمة لم تختلف في ربيها ولا في كتبها ولا في نبيها وإنما
في الدينار والدرهم » .

ـ أعلن عزمه على تطبيق الفراغن المالية والسياسة المالية عموماً
التي كانت مطبقة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدين من
بعده ، ويتبين ذلك من تأكيده « بالله ان أبقاء الله ليزد النهر المورود
الذى تركه الرسول صلى الله عليه وسلم الى مجرأه الأول » .

ويتبين ذلك أيضاً من طلبه سيرة عمر بن الخطاب ليعمل بها ، ومنها
العمل بسيرته في السياسة المالية .

ـ ومن سيرة عمر بن الخطاب في السياسة المالية ما يلي :

(٣) الربيع السابق من ١٠٦ .

(٤) الطبرى جزء ١ - مرجع سابق من ٦٦ .

أعلن غداة توليه الخلافة اختصاصه بمال العام بجانب شئون الخلافة
قال :

« من أراد أن يسأل عن المال فليأتني . فإن الله تبارك وتعالى جعلني
له خازنا وقاسما » .

وأعلن سياسته المالية بشأن الإيرادات العامة والنفقات العامة قال :

« أيها الناس إن لم يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية وإن
لا أجد هذا المال » يقصد المال العام « يصلحه إلا خلال ثلاث أن يؤخذ
بالمق ويُعطى في الحق ويُمنع من الباطل » وحدد ما يأخذه من المال العام
قال :

« إنما أنا ومالكم كولي اليتيم إن استغثت استغثت وإن افتقرت
أكلت بالمعروف » .

وعن الادارة بالعدل في الجباية قال :

« لكم على إلا أجبتني شيئاً من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم إلا من
وجهه » .

وعن الادارة بترشيد الإنفاق العام قال :

« ولكن على إذا وقع في يدي (أي المال العام) إلا يخرج مني
الابحثة » .

وعن سياسة العطاء قال :

« ولكن على أن أزيد أعطياتكم وأرضاكم إن شاء الله واسد ثوركم » .

وعن منع الظلم ورد المظالم قال :

« ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يعتدى عليه حتى أضع خده على
الارض وأضع قدمي على الحد الآخر حتى يذعن للحق » (٥) .

— ومن أقوال عمر بن عبد العزيز في البند السابق يستنتج أيضاً
أنه قرر أن يزيل ما اعتدى السياسة المالية من مخالفات ما دام قد عزم
على تطبيق ما كان يطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين
من بعده وأن عزمه ورد مطلقاً فيشمل تنقية الإيرادات العامة والنفقات
العامة والادارة المالية من المخالفات المالية .

— كما يستنتج أيضاً أنه عزم على ترشيد الإنفاق العام :

— ويؤيد ذلك قوله « لا أعطي أحداً باطلًا » .

(٥) النظر كتابها السياسة المالية لعمر بن الخطاب من ٤٣

نافذ على الملاك العام سيكون خالياً من الباطل ملتزماً بالعدل لا سرف فيه ولا تبديه.

— وعزم على التزام الكفامة والصلاحية في تعين ولاة الدولة وعمنها خصوصا من يزاولون أمور المال العام حينما اعتبر أن صاحب بيت المال ركنا من أركان أربعة لثبيت السلطان .

- ونوى عمر بن عبد العزيز أن يحيط إدارة السياسة المالية بطار من المبادئ التي تنبثق من التقوى حينما دعا الناس إلى التمسك بها .

— وقرر كذلك أن تقوم السياسة المالية على أساس حصول كل صاحب حق على حقه من بيت المال أي إزالة مخالفات العطاء ويدعم ذلك قوله « ولا أمنع أحدا حقا » .

— وصمم على تطبيق سياسة يرد بها المظالم . حينما أعلن تصميمه على رد المظالم بادئاً يأقليه وبطانته .

وما سبق يتضمن أن السياسة المالية لسمير بن عبد العزيز قامت على أساس من الاصلاح المالي وهي نفس اوجه الاصلاح التي طلبتها ازالة المخالفات المالية التي شابت عهد امراء بنى أمية قبله والتي توهنا عنها في ختام الفصل السابق .

سياسة الاصلاح الاقتصادي مع الاصلاح المالي :

ارتبطت سياسة الاصلاح المالي في عهد عمر بن عبد العزيز بسياسته لاصلاح المسار الاقتصادي وقامت على تحرير اقتصاد الدولة الإسلامية من القيود واطلاق حريته ، فاذاع تعليمات واقوال عامة لتحقيق المبادئ التالية :

- فتح باب الهجرة للمجتمع .
- اطلاق حرية التجارة والمعايير .
- حرية العمل والعمال والغاء السخرة .
- المزارع للمجتمع .
- عدم التدخل في الاسعار .

ونحلل فيما يلى تعليماته وأقواله بشأن المسائل الاقتصادية السابقة :

فتح باب الهجرة

كتب عمر بن عبد العزيز لولاته قائلاً « افتحوا للمسلمين باب الهجرة » (١) .

وبذلك أصبح حق الهجرة متاحاً لمن ي يريد ، والناس يهاجرون عادة لتحسين أحوالهم الاقتصادية والمدنية أو لطلب العلم ، كما أن الهجرة تؤدي إلى تحقيق استثمار الأراضي الجديدة وامكانية تعمير المدن الجديدة ، وقد أمر الله جل وعلا الناس بالسمى والهجرة .

فقال سبحانه وتعالى « ومن يهاجر في سبيل الله يجده في الأرض مراجعاً كثيراً وسعة » (النساء من / ١٠٠) .

وقال جل وعلا : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » (الملك من / ١٥) .

وكانت الهجرة من مكة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم أحد وسائل نشر الدين الإسلامي وأعلاه رايته .

حرية التجارة والعيش أولى من الضرائب والتكوس :

قال عمر بن عبد العزيز « إن البر والبحر الله جمعهما سخرهما لعباده بيستغون فيهما من فضله فكيف تحول بين عباد الله وبين معايشهم » ففتح طريق البحر للتجارة الحرة ومنع الضرائب المتصلاة بها (٢) . وكان يستشهد بقول الله جل وعلا :

« الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتفوا من فضله » (الجاثية / من ١٢) .

فحديثات عمر بن عبد العزيز فيما ذهب إليه قد ينبع على أساس ديني وهو أن الله سبحانه وتعالى سخر البر والبحر للناس ، نهاية قيود - ولو كانت تؤدي إلى جباهية أموال عامة لبيت المال تحد من هذا التسخير وتقيد انطلاق معايش العباد فيتبغضي ازالتها .

حرية العمل :

حرية العمل هي حق الإنسان أن يتغيير من العمل ما يشاء وأن يزاوله كما يشاء فلا يجوز للدولة ولا لغيرها أن تسخر العامل للعمل إذا كان لا ي يريد وإذا أدى العامل عملاً لا يد أن ينال عنه الأجر المناسب وقد

(١) مسيرة الإسلام : عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد ، من ١٧٥ .

(٢) مسيرة الإسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد ، من ١٧٥ .

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق أحمد عبيد طبعة ثانية من ٨٢ .

اعتقد عمر بن عبد العزيز هذه السياسة والزم بها عماله فارسل لهم التعليمات التالية :

• ليكن لكل عمل أجره فنضعوا السخرة عن الناس (٨) ،
المزادع للجمعية :

ويقول عمر بن عبد العزيز لولاته :

« إنما جعلت المزارع لأرزاق المسلمين كافة ٠٠ فردوها لما جعلت له (٩) ٠

وبذلك يحرر الأرض الزراعية من آية قيود تحول دون زراعتها وتمتع الناس كافة بمتاجها كاحتياط الدولة لها أو استيلاء طائفة من الناس على متاجها وتكون طبقة من الاقطاعيين يتحكمون في مثاراتها ، هذا وقد تبني الفيز قراطيلون في القرون الوسطى بعد عمر بن عبد العزيز مبدأ حرية العمر وحرية التجارة وكان شعارهم تلك الجملة :

• أتركه ي العمل أتركه يمر » *Laisser faire laisser passer*

وهم بذلك دعوا إلى حرية العمل أي يكون الناس أحراراً في أن يستخدموا جهودهم كيفما يشاءون وترك الناس أحراراً يزاولون حرية الاستبدال والاتجاه في داخل البلاد وخارجها (١٠) ٠

عدم التدخل في الأسعار :

وحدث أن ارتفعت الأسعار في عهد عمر بن عبد العزيز فطالب البعض بتحديد الأسعار فأبى تمسكاً بسياسة الحرية الاقتصادية ٠

فمن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه قال :

قلت لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ما بال الأسعار غالبة في زمانك وكانت في زمان من قبلك رخيصة ؟

قال عمر بن عبد العزيز : إن الذين كانوا قبلى كانوا يتكلفون أهل النمة فوق طاقتهم . فلم يكونوا يجدون بدا من أن يبيعوا ويكسد ما في أيديهم وأنا لا أكلف أحداً إلا طاقته ، فباع الرجل كيف شاء ٠

فقلت : لو أنك سمعت :

(٨) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٦٨ ٠

(٩) المربع السابق ص ٨٣ ٠

(١٠) الاقتصاد السياسي - الجزء الأول - طبعة ثالثة - د. أحسيد محمد إبراهيم
ص ٦٠ ٠

قال : ليس علينا من ذلك شيء إنما السعر الله (١١) .

ما سبق يتضح أيضاً أن عمر بن عبد العزيز كان لا يكلف أهل الذمة فوق طاقتهم كما كان يفعل من سبقة من الولاية الذين كانوا يظلمونهم فأدت زيادة العبء عليهم وتعجيز إدائه إلى اضطرارهم لبيع سلعهم بخسارة ليسدوا التكاليف الباهظة التي فرضت عليهم والا تفرضوا للأذى وللتعذيب ، ولذلك كانت الأسعار رخيصة بسبب زيادة عرض السلع زيادة غير طبيعية ، أما في زمن عمر بن عبد العزيز حيث لم يحمل أهل الذمة إلا بما يستحق عليهم بالعدل فتمكنوا من تنظيم عرض سلعهم في ظل العوامل الطبيعية للسوق واستحقوا عنها الشمن العادل وإن كان مرتفعاً في عهد عمر بالمقارنة بهم من كانوا قبله .

معنى عمر المساواة بين الأغنياء والفقيراء :

يبين مما سبق أن عمر بن عبد العزيز كان يأخذ بالنظام الإسلامي في السياسة الاقتصادية وهي حرية الأفراد في مزاولة الأنشطة الاقتصادية على أن يتزموا في مزاولتها بأحكام الإسلام ويرذون من ثرواتهم ما عليهم من التزامات ومنها حقوق الفقراء .

غير أن مما يؤثر عن عمر بن عبد العزيز ويحصل بالسياسة المالية والاقتصادية قوله « وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوها على فقراهم حتى يستوى الكل » (١٢) .

وقد خلص البعض أنه بذلك أعلن الاشتراكية .

والواقع أن عمر بن عبد العزيز لم يعلن الاشتراكية بالمعنى الذي تقصده المذاهب الاشتراكية التي ظهر أثيلها في القرن التاسع عشر بعد عهد عمر بسبعينات القرن والتى تشارك بتنوعها المختلفة في ثلاثة أمور تميزها عن المذاهب الأخرى وهي :

- الغاء الملكية الخاصة الشاء كلياً وجزئياً .
- تنظيم الاتجاه والتوزيع بواسطة المجموع .
- وذلك لتحقيق نوع من المساواة الفعلية (١٣) .

(١١) المراج لابن يوسف من ١٣٢ .

(١٢) عمر بن عبد العزيز ، سعد عبد السلام حبيب من ٨١ تقللاً عن الموسوعة التاريخية لعمر أبو الصقر من ١٠٦ .

(١٣) الاقتصاد السياسي - جزء أول طبعة ثلاثة - د. أحمد محمد إبراهيم من ٧١ .

فلم يقصد عمر بن عبد العزيز أن يأخذ بالفاء الملكية الخاصة الفاء كلها أو جزئيا واستبدلها بملكية المجموع ليصبح أمرها بين يدي الدولة باعتبارها ممثلة للجماعة ، ولم يرد أن يستبدل ملكية القطاع الخاسن للمشروعات الاقتصادية في عهده لتمتلكها الدولة أو هيئاتها العامة ، وذلك لأن الإسلام الذي يحكم به يقر الملكية الخاصة .

ولم يرد عمر بن عبد العزيز تنظيم الانتاج والتوزيع تنظيماً إدارياً عاماً فتحل مسؤولية المجموع محل مسؤولية الفرد الذي يندو مجرد موظف يتضمن ما يملي عليه .

وإذا كان عمر بن عبد العزيز قد تمنى تحقيق المساواة بين الكل فإن بواعث هذه المساواة تختلف عن بواعث مساواة الاشتراكيات التي نشأت في القرن التاسع عشر ، فترى تلك الاشتراكيات أن عدم المساواة ظلم وأن الأغنياء مختصبون بحقوق الفقراء وأن الله جعل هذا الاختصار مسكنها هو نظام الملكية الخاصة ولهذا نادوا بالقضاء عليها قبل كل شيء .

محور بواعث المساواة عند الاشتراكيين هو الملكية الخاصة فيعتبرونها مختصبة ويرتبون على هذا الاختصار الفاء الملكية الخاصة وهو ما يتعارض مع تعاليم الإسلام الذي يقر حق التملك والملكية الخاصة للأموال باعتبار أن المال العام أصلاً مال الله وأن ملكية المسلم للأموال باعتباره خليفة الله وعليه أن يقوم على مسؤوليات هذه الخلافة قياماً أميناً واعياً بأداء التكاليف التي كلفه الله بها والامتناع عما نهاه عنه في إدارته وتنميته وتربيته (١٤) .

ويؤيد ذلك قوله تعالى :

« وَآتُوهُم مِّنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَنْتُمْ كُمْ » ، النور/من ٣٣) .

وقوله جل وعلا :

« أَمْنُوا بِآتِهِ وَرَسُولِهِ وَانفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ أَمْنُوا مِنْكُمْ وَانفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ » (الحديـد/من ٧) .

المساواة عمر لم تخرج عن دائرة التمني ولو أراد تنفيذها لجعل الدولة تتدخل وتشهد الإجراءات والوسائل التي تضع هذا التمني موضع التحقيق ، ومن هذه الوسائل تطبيق سياسة مالية تقوم على تحقيق المساواة بين الأغنياء والقراء .

(١٤) للتفصيل يمكن الرجوع لكتابنا - الإطار الإلـاـثـاـيـلـيـاـلـيـةـ الـسـلـمـ - طـبـةـ الـبـيـنـةـ المـصـرـيـةـ الـعـامـةـ لـلـكـتابـ منـ ٣٥ـ ، ٣٦ـ ، ٢٧ـ .

وكل ما تمناه عمر هو أن يقترب من المساواة أما عن طريق توسيع الاغنياء بالتطوع بالأموال للفقراء بعد أداء حقوقهم المشروعة كالزكاة المفروضة والكفارات ، ودائرة التطوع بالأموال في الإسلام دائرة واسعة تؤيدها آيات عديدة من القرآن المجيد .

فمن آيات الله جل وعلا التي تحض على البذل والعطاء :

« من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعله له أضعافاً كثيرة وآله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » (البقرة / ٢٤٥) .

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » (الحشر / من ٩) .

« ويطعرون الطعام على حبه مسكيناً **يتيماً وأسيراً** ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً . إنما تخاف من ربنا يوماً عبوساً **قمعريراً** » (الإنسان / ٨ - ١٠) .

« فلاقتهم العقبة ، وما أدرك ما العقبة ، فك رقبة **●** أو أطعام في يوم ذي مسغبة **●** يتيمًا ذا مقربة **●** أو مسكيناً ذا مترفة » (البلد / ١١ - ١٦) .

تفاصيل المذهب الاقتصادي في عهد عمر بن عبد العزيز :

ما سبق وفي ضوء تعاليم الدين الإسلامي يمكن استنتاج أن المبدأ الذي طبّقه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه هو مبدأ الحرية الاقتصادية وعدم التدخل إلا في الحالات التي يشير بها الإسلام .

وقد تبلور هذا المبدأ على أساس أن الله جل وعلا قد أوجد نظاماً طبيعياً تخضع له القواهر الاقتصادية وهو أفضل من كل النظم التي تتخض عنها القوانين الوضعية وأقدرها على توفير السعادة والرخاء للأفراد والجماعات في الدنيا والآخرة وأنه إذا ترك لـ كل فرد حريته الشخصية دون تدخل من الدولة في شئونه الاقتصادية فإنه يحصل مصالحة على أفضل وجه وهو في نفس الوقت يخدم مصلحة المجتمع كما أن للفرد أن يمتلك ما يشاء من الثروات ويتم ذلك كلّه في إطار من تعاليم الدين الإسلامي فلا يظلم البائع المشتري ولا يبخس المشتري البائع . كما أن يخس الكيل والميزان والفنش والربا والإكثار والاحتكارات من المحظورات في الإسلام ، فتعاليم الدين الإسلامي إذا طبقت بالكامل كفيلة أن تحقق التمن العادل للسلع ، ولا خوف من أن يضار أصحاب الدخول المحدودة من ارتفاع الأسعار لأن نظام الزكاة في الإسلام يفرض لهم حقوقاً في أموال

الاغتياء ، ولا تقتصر هذه المقوى على الزكاة المفروضة ، بل ان فى اموال الامميات حقوقا فوق الزكاة اذا كانت الزكاة المفروضة لا تكفيهم ، فتدخل الدولة فى الاسعار لا يكون الا اذا خولفت احكام الاسلام كان يكون ارتفاعها نتيجة عش او احتكار او تجارة فى محرم او بخس كيل او تطبيق ميزان ، وغير ذلك من المحرمات والمحظيات .

نطاق تنفيذ اصلاح السياسة المالية :

يسرى اصلاح السياسة المالية على جميع عناصرها وهي الابرادات العامة والنفقات العامة وادارة المالية العامة ، ويترتب على ذلك انه فى المالية العامة الاسلامية ، يطبق الاصلاح على :

- ابرادات الزكاة ونفقاتها المخصصة او موازنة الزكاة .
- ابرادات خمس الفنائيم ونفقاتها المخصصة او موازنة خمس الفنائيم .
- ابرادات الجزية والخراج وعشور التجارة ونفقاتها العامة او موازنة الجزية والخراج وعشور التجارة .
- ادارة المالية العامة .
- نظام العطاء .
- ازالة اية مظالم مالية .

ونوضح فى الابواب التالية ما قام به عمر بن عبد العزيز من اصلاح بادئين بموازنة الزكاة .

الباب الثالث

الاصلاح المالي للموازنة العامة للزكاة وموازنة العامة لخمس الفنائيم

الفصل الأول

الاصلاح المالي للموازنة العامة للزكاة

الاصلاح المالي لغير ايرادات الموازنة العامة للزكاة

المنهج العام لاصلاح موازنة الزكاة :

شملت اصلاحات موازنة الزكاة في عهد عمر بن عبد العزيز ايراداتها ومصارفها العامة ، وقامت هذه الاصلاحات على أساس ارجاع حكماتها إلى الكتاب والسنة وتطبيقات الخلفاء الراشدين ، مع مراعاة ذلك فيما صدر من فتاوى وفيما اذيع من تعليمات وفيما تم من تنفيذ ، وبذلك اتجه عمر بن عبد العزيز إلى تنقية أمور الزكاة العامة مما كان قد علق بها من شوائب وما ألم بها من تجاوزات وما اعتبرها من مخالفات ، وهو اتجاه اقام أمر الدين في أمور الزكاة .

وفيما يلي تفاصيل ما تم من اصلاحات في جانب غير ايرادات العامة لموازنة الزكاة تم يليها ما تم من اصلاحات في جانب النفقات العامة لها :

طلب كتاب الرسول في الصدقات :

حين أستخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى المدينة يلتئم س كتاب النبي صل الله عليه وسلم في الصدقات فوجده عند آل عمر و بن حزام (١) . وكان رسول الله صل الله عليه وسلم قد كتب الصدقة ولم يخرجها إلى عمالة حتى توفى فاخرجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه من بعده فعمل بها حتى توفى ثم أخرجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده فعمل بها ، ولشدة عناء عمر بن الخطاب بأمر الصدقة والمحافظة على العمل بما نقل عن رسول الله صل الله عليه وسلم قرئ كتاب الصدقة

(١) السيل البرار المتدق على حدائق الأزمار - لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني من ٢١ - طبعة المجلس الأعلى للقضاء الإسلامي .

والعمل بما فيه بوصيته . ويجزم ابن شهاب الزهري بأن نسخة كتاب الصدقة للنبي صل الله عليه وسلم كانت عند آل عمر وأخرجها سالم بن عبد الله بن عمر للزهري فقرأها ووعاها على حقيقتها دون شك ، وانفسخ عمر بن عبد العزيز لنسخة منها وهو خليفة للعمل بما فيها ، والذى قدمها عبد الله وأخوه سالم أبا عبد الله بن عمر .

وأوضح سالم بن عبد الله بن عمر تفلا عن أبيه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما موضوع الكتاب فقال :

كتب رسول الله صل الله عليه وسلم كتاب الصدقة فلم يخرجه إلى عماله حتى قبض فقرئه بسوغه فعمل به أبو يكرب حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض لكان فيه :

في خمس من الأيل شاة ، وفي عشر شاتان ، وفي خمس عشرة ثلات شياه ، وفي عشرين أربع شياه ، وفي خمس وعشرين أبنة مخاض (٢) إلى خمس وثلاثين فإذا زادت واحدة ففيها بنتا ليون (٣) إلى خمس وأربعين ، فإذا زادت واحدة ففيها بنتا ليون إلى تسعين فإذا زادت واحدة ففيها حقتان (٤) إلى عشرين ومائة ، فإن كانت الأيل أكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين أبنة ليون .

وفي الشنم كل أربعين شاة شاة إلى عشرين ومائة ، فإذا زادت واحدة فشاتان إلى مائتين ، فإذا زادت على المائتين ففيها ثلات شياه إلى ثلاثمائة ، فإذا كانت الشنم أكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة — وليس فيها شيء حتى تبلغ المائة .

ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة ، وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بالسوية ولا تؤخذ في الصدقة حرمة ولا ذات عيب » .

أخرجه البيهقي في سننه الكبرى .

ثم قال : قال الزهري : إذا جاء المصدق قسمت الشاة أثلاثا : ثلثا شرار وثلثا خيار وثلثا وسط فباخذ المصدق من الوسط .

ثم قال : ولم يذكر الزهري البقر

(٢) أبنة المخاض : هي التي اتت عليها المول ودخلت في الثاني .

(٣) أبنة ليون : هي التي دخلت السنة الثالثة وصارت أما ليون بوضع الحال .

(٤) المقة : يكسر الماء وهي التي اتت عليها ثلث سنوات ودخلت في الرابعة .

تم زاد في رواية أخرى عن سفيان بن حسين بأسناده ومعناه قال :
« فان لم تكن بنت مخاض فابن لبون » (٥) .

وتحري عمر بن عبد العزيز عن هذا الكتاب وحصوله عليه أو على نسخة منه يوضح مدى تمسكه بتطبيق قواعد الزكاة بدقة كما سنتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين رغبته في التيقن مقدماً من تفاصيلها حتى إذا أذاعها على الناس سار هو والأمة على المنهج السليم .

عمر بن عبد العزيز يؤكّد سنوية زكاة أرباح التجارة :
عن قطن بن فلان قال : مررت بواسط زمن عمر بن عبد العزيز
فقالوا :

« قرئ علينا كتاب أمير المؤمنين » أن لا تأخذوا من أرباح التجارة
 شيئاً حتى يحول عليها المول » (٦) .

وحدثنا معاذ عن ابن عوف قال أتيت المسجد وقد قرئ الكتاب فقال
صاحب لي « لو شهدت كتاب عمر بن عبد العزيز في أرباح التجارة أن لا
يعرض حتى يحول عليها المول » (٧) .

وباصدار عمر بن عبد العزيز لهذا الكتاب يكون قد طبق حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قرر مبدأ سنوية الزكاة فقال « لا
زكاة في مال حتى يحول عليها المول » .

وحكمة تحدide السنة أن الزكاة لا تؤخذ إلا من النماء وهذا يتطلب
وقتاً جرت العادة بتحديده بسنة . ويستثنى من ذلك الخارج من الأرض
لأن النماء يمكن أن يتحقق في أقل من سنة .

هذا وبثير التطبيق العمل لمبدأ سنوية زكاة التجارة في العصر
الحديث المسائل التالية :

— يمسك التجار حديثاً حسابات منتظمة توضح في نهاية كل سنة
مالية نتيجة مزاولة نشاطهم فهل تستحق الزكاة في نهاية السنة نفسها
أم في نهاية السنة التالية لها ؟

الرأي أن الزكاة تستحق في نهاية السنة نفسها لأن الأرباح تتحقق
على مدار السنة ابتداءً من أولها حتى آخرها ، فان كانت هناك أرباح قد

(٥) المتنبّع من السنة . — للجلد السادس من ١٧٧ - ١٨٢ . — طبعة المجلس الأعلى
لنشرور الإسلامية .

(٦) (٧) الأموال لأبي عبد . — مرجع سابق من ٥٠٩ .

تحققت في نهاية السنة فقد تحققت أيضا بعض الأرباح في بدء السنة ، وقد يكون ما تحقق في الفترة الأخيرة من السنة خسائر أكلت جزءا من أرباح أول السنة فيخضع الصافي للزكاة . وتأخير استحقاق الزكاة على الأرباح لسنة تالية يؤدى إلى مرور أكثر من عام على بعض الأرباح وهي التي تتحقق في أوائل العام الذي يخضع صافي ربحه للزكاة .

ـ إذا توقف التاجر عن عمله كليا أو جزئيا سرت الزكاة على الأرباح التي تتحقق حتى تاريخ التوقف وتستحق في نهاية العام الذي حدث فيه التوقف الكل أو الجزئي ، لأن شرط مرور الحول واجب التطبيق استناداً لحديث الرسول صل الله عليه وسلم الذي قضى بمرور الحول .

على أنه إذا رأى المسلم أن يبادر بآداء الزكاة تقبلاً لله سبحانه وتعالى خوفاً من أن يهلك المال قبل استحقاق الزكاة فلا يجد ما يؤدى به حق الله ، فان ذلك أفضل .

ـ والمقصود بالربح هو الربح الصافي بعد خصم جميع التكاليف وتحميل كل سنة بما يخصها من المصارييف ، ولا تخصم احتياطيات لقابلة آية خسائر محتملة لأن المسائر المستقبلة غير متيقنة . ويكتفى أن يكون الربح قد تحقق فعلاً حتى تسرى عليه الزكاة وليس من الضروري أن يكون هذا الربح قد قبض فعلاً .

ـ وإذا كان كتاب عمر بن عبد العزيز قد أوضح خصوص أرباح التجارة للزكاة فإنه مما تشمله الزكاة أيضاً آية أموال أخرى غير مستغلة في التجارة .

أخضاع عمر بن عبد العزيز السمك للزكاة :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله في عمان

ـ أن لا يأخذ من السمك شيئاً حتى يبلغ مائتين .

ـ أو قال « فإذا بلغ مائتين درهم فخذ منه الزكاة » (٨) .

ومما يدعم أخضاع الشطة وأموال السمك للزكاة حديثاً أنه تستثمر فيها رؤوس أموال ذات شأن في زراعته واقامة صناعاته والتجارة فيه .

(٨) الأموال لأبي عبيدة - من ٤٣٤ .

زكاة الحمض والعلس :

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن أن يأخذ الصدقة من الحنطة والشعير والتخيل والعلس .

ويبيدو أن البعض اعتبر ما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل المثال وليس على سبيل المحرر فزادوا في الأنواع التي تؤخذ منها الزكاة .

ومن زادوا ابن عباس .

فمن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال : « الصدقة في الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسلت (٩) والزيتون » .

ومنهم من التزم النص كابن عمر .

فمن صدقة التamar والزرع قال : « ما كان من تخيل أو عنب أو حنطة أو شعير » .

وكان عمر بن عبد العزيز من الذين زادوا .

فكتب أن يؤخذ من الحمض والعلس الزكاة . وكان في سجله « ويؤخذ من القطانى » (١٠) على نحو مما يؤخذ من الحمض والعلس الزكاة (١١) .

ونرى الأئمة يرأى من زادوا ، لأن الزراعة تتتطور وتظهر أنواع جديدة من المحاصيل لم تكن موجودة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا ما ثبت أن المقلاء الراشدية نهوا عن خضوعه للزكاة ، لقول عمر وعلى وعائشة « ليس في الخضروات زكاة » (١٢) .

رأى عمر بن عبد العزيز في زكاة العسل :

يورد أبو عبيدة في كتابه الأموال رأيين مختلفين لعمر بن عبد العزيز في زكاة العسل فقال « حدثنا مروان بن شباج عن خصيف أن عمر بن عبد العزيز رأى في العسل العسر » (١٣) .

وقال أيضا « حدثنا ابن بكر عن مالك عن أنس عن عبد الله بن أبي بكر قال :

« جاء كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبيه أن لا تأخذ من الخيول ولا من العسل صدقة » (١٤) .

(٩) السلت : نوع من الشعير أبيض لا تشر له .

(١٠) القطانى : كل العدس والمسمن واللوبيا والأرز وشیرم .

(١١) الأموال لأبيه - ص ٥٧٠ - مرجع سابق .

(١٢) المرجع السابق - حاملي ص ٥٦٩ .

(١٣) المرجع السابق من ٥٦٩ ، ٦٠٠ .

ولعله من التوفيق بين الرأيين نقول أنه إذا كان العسل في أرض الخراج فلا صدقة فيه لأن العشر والخراج لا يجتمعان على أرض ، ذلك لأن الخراج يدفعه الفحى إذا كان على أرض آلت للسلطة الإسلامية ورثى ابقاؤه عليها وليس عليه زكاة لأنها على المسلمين ، أما إذا كان العسل في أرض سلم فيدفع عن العسل والمحاصيل الزكوة إذا توفرت شروطها ويؤيد ذلك أن عمر بن الخطاب قال في زكاة العسل :

« ما كان في السهل ففيه العشر وما كان منه في الجبل ففيه نصف العشر » (١٥) .

خضوع الأبل إلى تعلم بالريف لزكاة :

كتب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة - أن تؤخذ الصدقة من الأبل التي تعلم في الريف (١٦) ويرى البعض عدم الخضوع .

فعن هشام عن المسن قال « ليس في الأبل العوامل والبقر العوامل صدقة » ولربما كان عدم الخضوع بسبب أنها عاملة فتعتبر أداة من أدوات انتاج المحاصيل .

ليس في الخيل السائمة زكاة :

عن معمر عن سماك بن الأفضل عن عمر بن عبد العزيز قال « ليس في الخيل السائمة زكاة » (١٧) وبذلك يطبق عمر بن عبد العزيز سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فقد حدث بن عبيته عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عفونا لكم عن صدقة الخيل والرقبيق » ويرى أبو عبيد أن الزكاة تجب في الخيل إذا كانت للمجارة وتسقط عن السائمة (١٨) .

ليس في الأوقاصل صدقة :

الأوقاصل جمع وقص وهو ما بين النصابين ، فمن المعروف مثلاً أن صدقة البقر من كل ثلاثين تبيعاً ومن كل أربعين مسنة ومن الستين تبيعاً ومن السبعين مسنة وتبيعاً ومن الثمانين مسنتين ومن التسعين ثلاثة أتابيع ومن المائة مسنة وتبيعاً ومن العشرين ومائة ثلاثة مسنات أو أربعة أتابيع .

(١٥) المرجع السابق من ٥٩٩ - ٦٠٠ .

(١٦) المرجع السابق من ٤٦٦ .

(١٧ - ١٨) المرجع السابق من ٥٩٥ - ٥٩٦ .

وقد يحدث أن يملك المسلم عدداً من البقر ما بين النصابين أي
أزيد من النصاب السابق وأقل من النصاب اللاحق . فيكون لديه مثلاً
واحد وثلاثون بقرة أو اثنان وثلاثون وهكذا حتى تسع وثلاثون .

فهل تستحق الزكاة على ما زاد عن الثلاثين وقل عن الأربعين ؟

أجاب على ذلك عمر بن عبد العزيز فكتب : « إن ليس في الأوقاص
شيء » (١٩) .

وهو في ذلك يطبق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد
قال معاذ بن جبل حينما كان باليمن « لست بأحد من أوقاص البقر شيئاً
حتى آتني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان رسول الله لم يأمرني
فيها بشيء » (٢٠) .

ومن يحيى بن الحكم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« إن الأوقاص لا صدقة فيها » .

ومن أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم وطبقه عمر بن عبد العزيز
تفادى صعوبات عملية في تطبيق زكاة الأنعام وما كان يشيره من خلاف
بين المصدقين والمتصدقين .

أخذ عمر بن عبد العزيز الصدقة من المعادن :

عن عبد الله بن أبي بكر أن عمر بن عبد العزيز كتب « أن تأخذ من
المعادن الصدقة ولا تأخذ منها الحمس » (٢١) .

ونرى أن المعادن تخضع لزكاة إذا تملكتها المسلم ومضى عليها الحول
وتوفرت فيها سائر شروط الاضطلاع ، ويؤخذ منها الحمس إذا كان المعدن
ركازاً والركاز هو المعدن الذي يوجد مدهوناً في الأرض فيستحق عليه
لبيت المال الحمس وقت العثور عليه في باطن الأرض باعتباره غنمة
ويستند في ذلك لحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« في الركاز الحمس » والركاز في ذلك يختلف عن المقطعة .

فمن عمر بن شعيب أن المزني سأله رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن المقطعة توجد في الطريق العام فقال : عرفها سنة فان جاء
 صاحبها والا فهو لك .

(١٩) (٢٠) الأول لأبي عبد - مرجع سابق ص ٤٧٢ - ٤٧٥ .

(٢١) المرجع السابق ص ٤٢٤ .

قال : يا رسول الله فما يوجد في المغرب العادى .

قال : فيه وفي الركاز الحمس (٢٢) .

جز الزكاة من النبع :

من طرق تحصيل الضرائب حديثاً حجزها من النبع فتؤخذ من الإيراد قبل أن يؤول لصاحبه ويحصل على الإيراد الصافي بعد خصم الضرائب المستحقة عليه . وميزة هذه الطريقة في التحصيل أنها تضمن للدولة تحصيل مستحقاتها كاملة بسهولة ويسر .

وقد طبق عمر بن عبد العزيز طريقة المجز من النبع في تحصيل الزكاة .

قال يزيد : كان عمر بن عبد العزيز إذا أعطى الرجل عمالته « أى أجره » أخذ منها الزكاة وإذا رد المظالم أخذ منها الزكاة وكان يأخذ الزكاة من الأعطيه إذا خربت لصاحبها (٢٣) .

وعن ميمون بن مهران قال :

« كتب إلى عمر بن عبد العزيز في مال رده على رجل فامرني أن أخذ منه زكاة ما مضى من السنين » (٢٤) .

تحصيل الصدقة بالعدل :

حدث عبد الله بن صالح عن الثيث عن يحيى بن سعيد فقال :

أن ما كان عمال عمر بن عبد العزيز يصيغون بالمدينة في أخذ الصدقة ، أن يفرق المال ثلاث فرق ثم يختار صاحبها ثلثا ثم يأخذ صاحب الصدقة حاجته من الثالث الثاني (٢٥) .

وعمال عمر بن عبد العزيز بهذا الأسلوب في أخذ الصدقة إنما يطبقون نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليماته لعمال الصدقات بالعدل في تحديد قيمة الصدقة .

فيقول حصل الله عليه وسلم « المعتدى في الصدقة كما أنها » (٢٦) .

(٢٣) المرجع السابق من ٤٢١ .

(٢٤) الأموال لأبي عبد الله مرجع سابق من ٥٢٩ .

(٢٥) المرجع السابق من ٤٩٤ .

وما قاله عليه الصلاة والسلام لعازد حين بعثه للبيزن .. فاعلمهم
صدقة أموالهم فان أقرروا بذلك فخذ منهم واتق كرامهم أموالهم واياك
ودعوة المظلوم فانه ليس لها دون الله حجاب ..

ويشير عمر بن عبد العزيز في ذلك أيضاً بسيرة عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما ، فقد قال لصادقيه « اذا مررت بصاحب المال فلا تنسوا
المسنة ولا تنسوها صاحبها ، وفرقوا المال ثلاث فرق فخيروا صاحب
المال ثلثا ثم اخترعوا من أحد التلتين .. » (٢٧) .

تحصيل الصدقة في مكان المصدق

حدث أبو معاوية عن عبد الله بن فلان أبي بكر بن عمر وبن حزم
عن أبيه قال :

كتب عمر بن عبد العزيز « أن صبتو الناس على مياهم وباقتيهم »
ويعنى ذلك أن ممثل بيت المال الذى يأخذ الصدقة لا يجوز له أن يطلب
من أرباب الأقنان أن يأتونه بها إلى حيث يقيم ليقدرها ويحدد الصدقة
الواجبة ، بل عليه أن ينتقل إلى مكان وجود هذه الأقنان لدى أربابها ويأخذ
الصدقة ، لأنه إن فعل خلاف ذلك أرمق الأنعام واربابها ، وقد يضر
ذلك الأنعام وأربابها ولا ضرر ولا شرار في الإسلام ، فضلاً عن أن تحديد
قيمة الزكاة الواجبة في مكان الأنعام يجعل المصدق على يقين من عددها
فيحدد بيقين أيضاً قيمة الصدقة الواجبة .

وعمر بن عبد العزيز بذلك يطبق تعليمات رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال يوم فتح مكة « لا جلب ولا جنب ولا شغاف في
الإسلام ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا على مياهم وباقتيهم » فالرسول
صلى الله عليه وسلم يوضح أنه لا ينبعى للصدق أن يقيم بوضيع ثم
يرسل إلى أهل المياء ليجلبوا إليه مواشيهم فيصدقها ولكن ليأتينهم على
مياهم حتى يصدقها هناك » (٢٨) .

(٢٧) المراج لابن يوسف من ٨١ .

(٢٨) الربع السابق من ٤٩٧ .

الاصلاح المالي لنفقات موازنة الزكاة الاصلاح المالي وموازنة خمس الفنائيم

أولاً : الاصلاح المالي لنفقات موازنة الزكاة

مقدمة مصارف الزكاة :

أذاع عمر بن عبد العزيز مصارف الزكاة في بعض كتبه فقال :

« ثم فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة على أمر الله في العين والمرث والماشية وبين مواضع ذلك فقال .

« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمولدة للوبيهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل . »

حتى استقامت سنتها في الأخذ حين تؤخذ وفي القسمة حين تقسم ، فيحصل بها المسلمون في جزيرة العرب حتى علموها أو كل ذي عقل منهم » (١) .

وقال أيضاً .

« وأما الصدقات فان الله تبارك وتعالى فرضها وسمى اهلها حين طعن فيها أناس وبلغوا فيها تهمة تباهي لهم فقال : (ومنهم من يلحرك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - تعلق أسد عبيد - طبعة ثانية من ٦٠ ، ٦١ .

قال الله يبارك وتعالى عند ذلك : (إنما الصدقات للقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والفارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليهم حكيم) فيبين رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الأموال : الحrust والمواشي والذهب والورق فتؤخذ الصدقات كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض لا يظلمون ولا ينطوى عليهم ، ولا يتعابون بها قريب ، ولا يمنعها أهلها ثم تجعل إلى مرضيئين من أهل الإسلام ، فيجعلونها حيث أمرهم الله يحصلهم الإمام من ذلك على ما حمل ، وينزه نفسه من ذلك من أمور قد أكثر فيها على الأئمة ، (٢) .

وأمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب بكتابة السنة في مواضع الصدقة فكتب ما يلي :

هذه منازل الزكاة ومواضعها إن شاء الله وهي تالية أسمهم فسهم القراء وسهم للمساكين وسهم للعاملين عليها وسهم للمؤلفة قلوبهم وسهم في الرقاب وسهم للفارمين وسهم في سبيل الله وسهم لابن السبيل .

فسهم للقراء ، نصفه لمن غزا منهم في سبيل الله أول غزوة حين يفرض لهم من الأصداد وأول عطا ، يأخذونه ثم تقطع عنهم بعد ذلك الصدقة . ويكون سبعمهم في عظم الفقير ، والنصف الباقى للقراء من الزمنى (يعني ذوى العاهمات) والمكتى الذين يأخذون العطاء إن شاء الله .

وسهم المساكين نصفه لكل مسكون به عامة لا يستطيع حيلة ولا تقلب في الأرض والنصف الباقى للمساكين الذين يسألون ويستطيعون ومن في السجون من أهل الإسلام من ليس له أحد إن شاء الله .

وسهم العاملين عليها ينظر فيمن سعى على الصدقات بامانة واعفاف اعطى على قدر ما ولى وجمع من الصدقة وأعطى عماله الذين سعوا معه على قدر ولايتهم وجوهم . ولصل ذلك أن يبلغ قريبا من ربع هذا السبعم بعد الذى يعطى عماله ثلاثة أرباع فيرد ما يبقى على من يغزو من الأنداد (جموع مد وهم الجند الذين يمسون الجيش المحارب) والمشترطة إن شاء الله .

وسهم المؤلفة قلوبهم لمن يفترض له من أدد الناس أول عطا يسيطر عليه ومن يغزو مشترطا لا عطا له ، وهم فقراء ، ومن يحضر المساجد من المساكين الذين لا عطا لهم ولا سهم ولا يسألون الناس إن شاء الله .

وسهم الرقاب نصفان : نصف لكل مكاتب يدعى الإسلام وهم على اصناف شتى ، فلتفهماتهم في الإسلام فضيلة ولمن سواهم منهم منزلة

(٢) المرجع السابق - ص ٨٠

آخرى على قدر ما أدى كل رجل منهم وما يبقى عليه أن شاء الله ، والنصف الباقى تشتري به رقاب من صل وصام وقدم فى الاسلام من ذكر وانش فىعتقدون أن شاء الله .

وسهم الغارمين على ثلاثة أصناف : منهم صنف لم يصطب فى سبيل الله فى ماله وظهره (اسم ما يركب) ورقيقة وعليه دين لا يوجد ما يقضى ولا ما يستنقى الا بدين ، ومنه صنفان لم يمكث ولا ينزو وهو غارم وله أصابعه فقر ، وعليه دين لم يكن شهادة منه فى مقصبة الله ولا ينتمى لـ دينه - او قال فى دينه أن شاء الله .

وسهم فى سبيل الله فمه لم فرض له ربىع هذا السهم ومنه المشترط (الفقير ربىعه) . ومنه لم تصيب الحاجة فى ثغره وهو غاز فى سبيل الله أن شاء الله .

وسهم ابن السبيل يقسم ذلك لكل طريق على قدر من يسلكها . ويمر بها من الناس ، لكل رجل رجل من ابن السبيل ليس له مأوى ، ولا أهل يأوى اليهم ، فيطمع حتى يوجد مهلا أو يقضى حاجته ، ويحصل فى منازل معلومة على أيدي أمناء لا يمر بهم ابن السبيل له حاجة الا آزووه وأطعموه وعلفوا دابته ، حتى يتفقد ما بآيديهم أن شاء الله .

ومن الكتاب السابق يمكن ابراز النقاط التالية :

- من الأوضاع المحمودة فى المال العام أن تصدر تعليمات عامة توضح تطبيق أحكامه لأن ذلك يمنع التلاف فى التطبيق ويقلل من الاستفسارات والاستفسارات التي تنشأ خلال التنفيذ .

- أن الكتاب اتسم بشمول جميع مصارف الزكاة وبذلك غطى جميع حاجات المحتجزين وحقق جميع أهداف مصارف الزكاة .

- قسم الكتاب كل مصرف من مصارف الزكاة إلى فئتين أو أكثر وبذلك اتسم بالوضوح واليقين والوضوح واليقين من العناصر التي تضفي على الفرائض المالية صحة الاتقان والجودة .

- علق أحد علماء على هذا الكتاب بقوله : لا شك أن هذا الكتاب العظيم فى قسم الصدقات يعتبر دستوراً كاملاً فى هذا الباب ، فإنه لم يدع ذا حاجة من المسلمين الا سد حاجته فرحم الله بن شهاب ، (٣) .

وبالرغم من شمول الكتاب السابق ووضوحه ، فإن تعليمات أخرى كانت تصدر من عمر بن عبد العزيز تعالج حالات التطبيق ، كما يتضح مما يلى :

(٣) الأموال لأبي عبد - ص ٦٩١ - ٦٩٣ - مرجع سابق .

تحديد الحد الأدنى ل الحاجات كل مسلم من بيت المال :

أرسل عمر بن عبد العزيز تعليمات إلى ولاته محدداً ضرورات كل مسلم من بيت مال المسلمين فقال :

« لا بد لكل مسلم من مسكن يأوي إليه ... و خادم يكفيه مهنته ... و فرس يجاهد عليه عدوه ... و أناث في بيته ... فوفروا ذلك كلّه ... ومن كان غارماً فاقضوا عنه دينه » (٤) .

فيبيت المال أذن بناء على تعليمات عمر بن عبد العزيز يتكلّف لكل مسلم غير قادر بما يلزمه .

ـ مسكن مؤثث وخادم : وذلك باعتبار أن المسكن ضرورة من ضرورات الحياة يقيم فيه المسلم وتسكن فيه نفسه و باعتبار أن الآثار من مستلزمات المسكن وكذلك الخادم في حالة عجز المسلم ، وينتهي القرآن الكريم عن المسكن فيقول جل وعلا :

« وأوسمينا إلى موسى و أخيه أن نبوا لقومكم بما يبصرون واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » (يونس / ٨٧) .

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً :

« والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم طعنكم و يوم اقامتم و من أصواتها وأوبارها و أشعارها أناها و متعها إلى حين » (النحل / ٨٠) .

وفي الأثرية الحديثة تكفل بعض الدول إنشاء مساكن لمحبودي المدخل لظير إيجار مخفض أو تملّكها لهم مقابلة الشمن على آجال طويلة ، كما تكفل للمتّكّبين من تعرّضوا ل葵ارات فتقديراً فيها مساكنهم مساكن أخرى لا يوانهم ، كما تنشىء الملاجئ لابواه وسكن ينامى الفقراء وامثالهم .

ـ فرس للجهاد : وهو ضروري لل المسلم باعتبار أن الجهاد فرض عين على المسلم اذا صجم العدو على بلده من بلاد المسلمين وتسري هذه الحالة بالغير العام يقتضي معه خروج جميع المسلمين الطيبيين للقتال . و اذا عجز أهل تلك البلدة عن مقاومة العدو فرض القتال على الأقرب من المسلمين حتى تقع الكفایة فاذا وقعت الكفایة لم يجب القتال على غيرهم .

(٤) سيرة عمر - ابن عبد المکن ص ٣٦ .

وقد ورد في القرآن الكريم أكثر من آية تحض على الجهاد منها :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » (المائدة / ٣٥) .

« انفروا خفافاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (التوبه / ٤١) .

– تضمنت تعليمات عمر بن عبد العزيز كذلك قضاء دين الغارمين من أموال الزكاة ومن المعروف ان مصرف الفساريين هو احمد مصارف الزكاة ، والغارمون هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم فيأخذون من مال الزكاة يشرط ان لا يكون المدين قد استدان في سفامة او صرف الدين في مقصية . ومن الغرماء من يتحمل حماله لمنع قيام فتنة ونزاع فيصلح بين المتخاضين ويتحمل في سبيل ذلك دية يدفعها من ماله الخاص ويعود ويسترد لها من بيت المال فيؤديها له بيت المال من أموال الزكاة .

وأداء دين الغرماء الذي تضمنته تعليمات عمر بن عبد العزيز يؤدى الى اطمئنان الدائنين وسيلة التسويل بين الدائنين والمدينين فلا يكفي الاقتصاد العام بسبب نقص السبيل ولا يقل تدفق الانتاج نتيجة لذلك .

انفاق على سهم المؤلفة قلوبهم :

من بين وجوه انفاق الزكاة الانفاق لتأليف القلوب للإسلام . وقد ثبت أن الرسول صل الله عليه وسلم كان يعطي من الزكاة لتأليف قلوب رؤساء القبائل لكف الأذى عن الإسلام وتفوية اسلام من دخلوه حديثا ، ونهى أبو بكر الصديق نهج الرسول . غير أن عمر بن الخطاب أوقف الانفاق على المؤلفة قلوبهم لأن الدولة الإسلامية قوية ولأن الإسلام قوي . وتدعم في النفوس فزالت بذلك حكمة الانفاق على التأليف .

وفي عهده عمر بن عبد العزيز أعطى من بيت المال بطريقها ألف دينار لتأليفة وبذلك اجتهد وبرهن على مردودية التشريع الإسلامي وفتح الباب للابتكار الذي يؤدي لمصلحة الأمة ولا يخالف نصا من القرآن والحديث (٥) .

انفاق على فداء الأسرى :

عن صالح بن جيبر أن عمر بن عبد العزيز أعطى رجلاً مالا يخرج به

(٥) الإمام الشافعى – تأليف الاستاذ عبد الحليم الجندي من ٣٦٨ – اصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

لقد، الاسارى فقال الرجل : يا أمير المؤمنين أنا ستجدد ناسا سافروا الى
المدح طوعاً - أفنجد لهم ؟

قال : نعم

قال : وعندنا فروا واما :

• فقال : الفتوحـم .

ولم يذكر له صنف من الناس من جند المسلمين لا أمر بقدائهم (٦) .
وبلغ من اهتمام عمر بن عبد العزيز بأسرى المسلمين أنه كان يكتابتهم
ويطمئنهم بأن بيت المال ينفق على أهليهم ويشرهم بأنه بعث إليهم من
قادتهم جميعاً .

فقد قال بكر بن خنيس : كتب عمر إلى الأساري بالقسطنطينية :

اما بعد فانكم تعلون افسكم اسرارى معاذ الله بل انتم المحسنة فى
سبيل الله ، واعلموا انى لست انتس شيتا فى رعيتى الا خصصت اهليكم
باوفر نصيب واطبيه ، ولو لا انى خشيت ان زدتكم ان يحبسكم طاغية الروم
عنكم لزدتكم . وقد بعثت اليكم فلان بين فلان يقادى صغيركم وكبيركم ،
وذكركم واثناتكم . وحركم وملوككم بما سئل به ، فابشروا ثم ابشروا
والسلام عليكم (٧) .

وهو في ذلك ينهى نهجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

فقد قال : لأن استنقذ رجلا من المسلمين من أيدي الكفار أحب إلى
من جزيرة العرب .

وقال ابن عباس : قال ابن الخطاب رضي الله عنه « كل أسير كان في أيدي المسلمين ففكواه من بيت مال المسلمين » (٨) .

الاتفاق على مصرف « ابن السبيل » :

كتب عمر الى سليمان بن ابي السرى عامله على سيرقند ، أن اعمل
خانات في بلادك فمن عر بك من المسلمين فاقررهم يوماً وليلة وتمهدو
دواجهم ، فمن كانت به علة فاقررها يومين وليليتين ، فإن كان منقطعاً به
نقوره بما يصل ليلاً (١) .

*) الأموال لابن عبد الله من ١٦٨ - ١٧٩ .

(V) سيرة سير بن عبد العزيز - لابن عبد المعلم - تعليق أسد عبيد - طبعة ثانية

مراجع سابق من ١٤٠ *

(٤) الخراج لأبي يوسف - مرجع سابق من ١٩٦ .

١١) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق من ٥٦٧ :

فمن هذا الكتاب يبين أن عمر عم نظام بيوت الضيافة لاستضيف الغرباء من المسلمين أثناء مرورهم ببلاد غير بلادهم . وكان النظام يقضى بضيافة من يمر يوماً وليله وتعهد ذاته ، فإذا كان من يمر مرضاً ضواعفت مدة الضيافة ، فان كان متقطعاً عنه المال فيم بسا يمكنه من الوصول لبلده ، وتمويل هذه الضيافة كان من أموال الزكاة باعتبار أن «صرف ابن السبيل ، أحد مصارفها الثمانية» .

بيت المال ينفق على سارق محتاج :

أتوا إلى عمر بن عبد العزيز يوماً بسارق ، فشكوا إليه الحاجة والفاقة .. فعذر له وأمر له بتحو عشرة دراهم .

وبهذا غلب عمر بن عبد العزيز حاجة المسلم على سرقته ، لأن الحاجة كانت سبباً للسرقة فلولاها لما سرق ولو كان بيت المال قام بواجبه بكفالة المحتاجين لما فعل فعلته ، وعمر بن عبد العزيز في ذلك قد أقتدى بما سبق أن فعله عمر بن الخطاب .

فقد سرق غلامان لخاطب ناقة لرجل من مزينة فانتحرحا ، فرفع ذلك إلى عمر فأمر عمر بقطع أيديهم ثم أوقف تنفيذ الحكم .

وقال لخاطب : أراك تجيئهم (أى لا يشبع غلامان فسرقا) والله لا يغرمنك غرماً يشق عليك .

ثم قال لصاحب الناقة : كم ثمن ناقتك .

فقال : كنت والله أمنها من أربعين درهماً .

فقال عمر لخاطب : اعده تماناً درهماً .

فقطع يد السارق عقاب للجاني إذا لم تضطر الحاجة .

وفي عام المجاعة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى عن قطع يد السارق طبقاً لقول الله جل وعلا «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» (١٠) .

ويرى الإمام أحمد بن حنبل أنه لا يجوز قطع يد السارق في عام المجاعة ويحمل الدولة وبيت المال توفير الطعام للمحتاجين ويحمل المياسir مسؤولية الأخذ بيد المحررمين ، وبالقاء مسؤولية اطعام الجائعين على الدولة وبيت مالها في عام المجاعة يمتنع اقامة المحدود بسنته شرعاً فلا يختل نظام

(١٠) الإمام الشافعى ناصر السنة ووضع الأصول - تاليف الأستاذ عبد الملجم الجيدى طبعة المسن الأهل للشئون الإسلامية .

الدولة بعدم تطبيق الحدود اذا لم يكن عدم التطبيق مستندا الى التشريع .
كما أن تحويل المبادرات مسؤولية الأخذ بيد المحسرومين يقيهم نهبة
أموالهم .

بل يوجب الامام أحمد دية القاتل على الذين لا يقتلون لكنهم يمتنعون
عن اطعام الجوعى فسيتوون من جوعهم وهي درجة في ايلاف المساعدة لم
تبليغها اي شريعة ... الا المنيفية السمحاء (١١) .

اتساع الانفاق العام على التكافل الاجتماعي :

في عهد عمر بن عبد العزيز اتسعت انشطة الدولة للتكافل الاجتماعي
فشملت أنواعاً جديدة من الرعاية وذلك على النحو التالي :

- ـ يدا بحسر المستحقين للتـكافل الاجتماعي من أرباب العائدات
والعجزة ، فكتب الى الامصار أن يرفعوا اليه بيان بكل أعمى أو مقدم أو
من به فالج ومن به عجز يحول بينه وبين القيام للصلة .
- ـ أمر لكل أعمى يقاتله يقوده ويقضى له حاجياته .
- ـ عين خادماً لكل اثنين من العجزة من غير العياب .
- ـ عين للمرضى من يسهر على خدمتهم ورعايتهم .
- ـ أطعم الطعام ففتح دور الطعام فأمر بأن يخصص طعاماً للمساكين
والقراء وأبناء السبيل .
- ـ أنشأ المخانات في البلاد وأمر عماله بأن يقرى من مر بهم (١٢) .

صرف الزكاة في مكان المتصدق :

الزكاة تؤخذ من أغنياء البلد وترد على فقرائها وذلك استناداً لحديث
الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أرسل معاذة للبيزن ، فطلب منه أن
يدعو الناس للإسلام ومن أركانه الزكاة ويقول لهم « إن الله فرض عليكم
صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم » ، وهذا هو ما أكدته
عمر بن عبد العزيز فكتب الى عماله :

- ـ أن ضعوا شطر الصدقة وابعثوا الى بشطريها ، ثم كتب في العام
المقبل « أن ضعوا كلها » وحدث على بن ثابت عن مسفيان بن سعيد
ـ أن زكاة حملت من الري الى الكوفة فردها عمر بن عبد العزيز الى الري » .

(١١) أحمد بن حنبل - امام اهل السنة - الاستاذ عبد الحليم المنشى من ٣١٨ -
طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(١٢) سيرة عمر لابن عبد المطلب من ٤٨ ، ٥٧ .

وعلى ذلك فان جهل المصدق فحمل الصدقة من بلد الى بلد آخر
سواء وبأهلها فقر اليها . ردها الامام اليهم كما فعل عمر بن عبد العزيز .

وفي ذلك يقول أبو عبيدة « والعلماء اليوم مجتمعون على أن أهل كل
بلد من البلدان أو ما من الملايين أحق بصدقتهم ما دام منهم ذوى الحاجة
واحد فما فوق ذلك ، وان أتى ذلك على جميع صدقتها حتى يرجع الساعي
ولا شيء منه منها (١٣) . »

وقد سبق أن طبق عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفس المبدأ ، ففي
عهد أماد معاذ بن جبل إلى اليمن فبعث إليه معاذ بثنتين صدقة الناس .
فأنكر عمر بن الخطاب ذلك .

وقال معاذ : لم أبعثك بجبايا ولا أخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من
أثنياء الناس فتردها على فقراءهم .

فقال معاذ : ما بعثت إليك بشيء ، وأنا أجد أحداً يأخذ منه مني .
فلما كان العام الثاني بعث إليه شطر الصدقة فترابجاً بمثل ما راجعه
من قبل .

فقال معاذ : ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئاً (١٤) .

(١٣) الاموال لأبي عبيدة من ٧١٠ ٧١٠ مرجع سابق .

(١٤) الرجع السابق من ٧٠٩ وكابانا السياسة المالية لعمر بن الخطاب من ١٠١ .

الاصلاح المالي موازنة خمس الفنائيم

موازنة خمس الفنائيم :

أوضحنا أن موازنة خمس الفنائيم تتكون مواردها من خمس ما يؤول من خنائم تسفر عنها فتوحات الاسلام وأن نفقاتها الله ولرسول ولذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل تنفيذا لقوله جل وعلا :

« واعلموا إنما غنمتم من شئ فأن الله خمسه ولرسول ولذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل » (الانفال / ٤١)

ونناقش فيما يلى الإيرادات هذه الموازنة ونفقاتها فى عهد عمر بن عبد العزيز .

إيرادات خمس الفنائيم :

لم تعب الدولة فى عهد عمر بن عبد العزيز الجيوش للمجهاد ما عدا مناوشات صغيرة مع الترك والخوارج (١٥) فقد استعاض عن زحف الجيوش بكتبه التى كان يرسلها الى ملوك الهند وحكام مقاطعاتها يدعوهم الى الاسلام فأسلم أكثرهم متأثرين بما كان قد تراو من اليهم من أباه ورעה وذهب وتقواه . كذلك كتب الى البربر فى افريقيا يدعوهم الى الاسلام فدخلوا فيه أفواجا وكتب الى ملوك ما وراء النهر فأسلم أكثرهم ورفعوا راية الاسلام (١٦) .

(١٥) الفصل السادس من الباب السادس أوضحنا فيه هذه المناوشات .

(١٦) سبعة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - دار المعارف - طبعة ثالثة - ص ٩٦٧ خالد محمد خالد .

وكان عمر غداة نوليه الخلافة قد أمر بسحب جيش الدولة الذى كان يحاصر القسطنطينية (عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية) وكان على رأسه مسلمة بن عبد الملك وكاد المصار قبل عهد عمر أن يُؤْتَى أكله ويُفتح أبواب العاصمة لولا خدعة ورط فيها القائد الروماني (اليون) مسلمة بن عبد الملك فردى القوة عجزاً والنصر حزينة فتُفْشى المرض والمجاعة في جيش المسلمين وانقطعت خطوط تموينه .

وعلى ذلك يمكن القول بصفة عامة أنه لم تتحقق موارد عامة تذكر من خمس الفنائيم في عهد عمر بن عبد العزيز ، وأن ما قد يكون هناك من موارد من هذا المصدر ببيت المال هو من غنائم فتوحات سبقت عهده .

نفقات خمس الفنائيم :

يذكر أبو يوسف : أن عمر بن عبد العزيز بعث بسمهم الرسول وذوى القربي إلى بنى هاشم ^(١٧) .

ويعتبر هذا الاجراء من اجراءات الاصلاح المالى لعمر بن عبد العزيز لأن إلأمراء السابعين من بنى أمية كانوا قد حرمونهم ، ليس من نصيبهم في الخمس فقط بل من عطائهم العام الذي كانوا يستحقونه من بيت مال المسلمين شأنهم شأن باقى المسلمين . فعل هذا بالرغم من معارضته بنى أمية وتلکؤ والى المدينة في التنفيذ خشية سطوة امراء بنى أمية .

فقد استقر رأى عمر بعد مدارسة الفقهاء أن لهم حق أول القربي وهم أولو قربى الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الحق يعطىهم خمس خمس الفنائيم الذى يقول ببيت المال وحسب المختصون قدر المال الذى حرموا منه منذ عهد معاوية موجوده آلافاً مئلاً وكان بنو هاشم أيضاً قد بلغ تعدادهم عشرات الآلاف ، انتشروا في الأنصار فامر عمر بمحصرهم وایتالهم حقوقهم حيث كانوا .

وكتب عمر إلى محمد بن حزم عامله على المدينة بان يقسم في ولد على بن أبي طالب عشرة آلاف دينار .

فتكلماً أمير المدينة فلما علم عمر بذلك أرسل إليه يستحثه .

فرد أمير المدينة : إن علياً قد ولد له في عدة قبائل من قريش ، ففي أي ولد نقسم عشرة آلاف دينار .

(١٧) المراجع لأبي يوسف مرجع سابق ص ٢١ .

فكتب اليه عمر ساخرا : لو كتبت اليك في شاة تدبها لكتبت الى اسوداء او بيضاء ، اذا اتاك كتابي هذا فاقسم في ولد على من فاطمة عشرة آلاف دينار فطالما تحطتهم حقوقهم .

هذا وموارد الحمس المتبقية من الفتوحات السابقة على عهد عمر بن عبد العزيز قد ساهمت في الانفاق على اليتامى والمساكين وابن السبيل بجانب موارد الزكاة ، ولليتامى والمساكين وأبناء السبيل فيها تنصيب .

ضم الحمس للفي، والتوزيع منها مما :

رأى عمر بن عبد العزيز ضم موارد الحمس والفي ، ثم التوزيع منها مما على الأمة بما فيهم اليتامى والمساكين وابن السبيل استنادا الى أن الانفاق على الرسبيول وذى القربي وعليهم ورد في آية « الفي » والخمس . واقتداء بما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكتب بذلك إلى عماله فقال :

واما الحمس فان من مضى من الآئمة اختلفوا في موضعه . فطعن في ذلك طاعن من الناس واكثر فيه ، ووضع مواضع شتى ، فننظر ما فادا هو على سهام الفي في كتاب الله . لم تختلف واحدة من الافتئتين الأخرى فادا عمر بن الخطاب رحمه الله قد قضى في الفي قضاء قد رضى به المسلمين . فرض للناس اعطيه وأرزاقا جارية لهم . ورأى أن لن يبلغ بتلك الأبواب ما جمع من ذلك . ورأى أن فيه لليتيم والمسكين وابن السبيل . فرأى أن يلحق الحمس بالفي ، وأن يوضع مواضعه التي سمع الله وفرض ، ولم يفعل ذلك ليقتنه منه . وخيبة التوهم فيه ، فاقتدوا بامام عادل ، فان الآيتين متفقان آية الفي ، وآية الحمس . فان الله قال : « ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى فله ولرسبيول ولذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل » (١٨) (الحضر / ٧) .

وكذلك فرض الله الحمس ، فترى أن يجمعوا جميعا فيجعلوا فيما المسلمين ولا يستائز عليهم ولا يكون دولة بين الأغنياء منهم » (١٩) .

(١٨) خامس الراشدين - عبد الرحمن الترمذى - عدد الاهرام ١٩٨٥/٨/١٤ .

(١٩) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم تعليق احمد عبيد - الطبعة الثانية - مرجع سابق من ٨٠ ، ٨١ .

الباب الرابع

الاصلاح المالي لايرادات موازنة الجزية والخراج وعشور التجارة

الفصل الأول

الاصلاح المالي لايرادات الجزية

الاسس العامة لاصلاح الجزية

قامت اصلاحات عمر بن عبد العزيز لريضة الجزية على الاسس التالية :

- توسيع الفاضن من حالات الاخضاع للجزية .
- تنظيم عقد معاهدات صلح الجزية وتنفيذها .
- تحديد مدى التزام الورثة بجزية مورثهم .
- ابداء الرأى في بعض تصرفات أهل الكتاب .
- تأكيد العاملة الطيبة لأهل الكتاب .

وجلاء غموض الفرائض المالية وتبسيط وتنفيذ أحكام تعاقداتهما واتفاقياتهما ومعاملة مولديها معاملة طيبة يرسو اسس العدالة المالية مع أهل الكتاب فالعدل شيمة من شيم الاسلام والمسلمين ، وبذلك يكون عمر ابن عبد العزيز قد اقام في شثونها أمر الدين .

وفيما يلى تفاصيل حالات الاصلاح :

كتاب يوضح اسس الجزية :

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله عدى بن ارطاء :

« أما بعد فان الله سبحانه وتعالى امر ان تؤخذ الجزية من يرغلب عن الاسلام واختار الكفر عتيا وخسراانا عبيينا ، فلضع الجزية على من اطاق حملها وخل بينهم وبين عمارة الأرض . فان في ذلك صلاحها لعائش

ال المسلمين وقوه على عدوهم ، وانظر من قبلك من أهل النهمة قد كبرت سنة وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فاجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه . فلو أن رجلا من المسلمين كان له ملوكا كبرت سنة وضعفت قوته وولت عنه المكاسب كان من المقص عليه أن يقوته حتى يفرق بينهما موت أو عتق . وذلك أنه بلغنى أن أمير المؤمنين عمر من بشيغ من أهل النهمة يسأل أبواب الناس .

فقال : ما أصنفناك أن كنا أخذنا منك الجزية في شبتك ثم خيمناك في كبرك ثم أجرى عليه من المال ما يصلحه (١) .

وبتحليل الكتاب السابق يتضح أنه تضمن المبادئ التالية :

– تفرض الجزية طبقا لطاقة تحمل أهل الكتاب ، وبذلك تكون قد قامت على العدالة .

– يترك من كان منهم يزرع الأرض ويصرها في عمله وبذلك يزيد الانتاج ويعود خيره على الدولة الإسلامية .

– يجري على شيوخ أهل الكتاب والمرضى ومن عجز منهم عن الكسب الأرزاق من بيت المال ، وفي ذلك تعليم للرعاية الوارفة من الدولة لتشمل أهل الكتاب مما يؤكده السماحة التي تنسن بها المالية العامة الإسلامية .

أخذ الجزية من المجروس

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أربطة كتسابا يطلب منه أن يسأل الحسن بن أبي الحسن عن معاملة المجروس .

فقال عدي الحسن ، فأخبره أن رسول الله قد قبل من مجروس أهل البحرين الجزية وأقرهم على مجوسيتهم ثم أقرهم بعده أبو بكر ثم أقرهم عمر بعد أبي بكر وأقرهم عثمان بعد عمر (٢) .

ويتضح من ذلك أن عمر بن عبد العزيز تحرى ما كان يعامل به الرسول صلى الله عليه وسلم المجروس وطبق سنته .

ليس على مسلم جزية :

أوضحنا أن المجاج الثقفي كان يفرض الجزية على من أسلم من أهل الكتاب وأقره على ذلك خلفاء بنى أمية ، وما تولى عمر بن عبد العزيز

(١) الأموال لأبي عبيدة – مرجع سابق من ٥٧ .

(٢) الخراج لأبي يوسف من ١٣٠ ، ١٣١ .

اصدر تعليماته برفع المبزية عن أسلم . وأكد ذلك أكثر من مرة لعمال
الخارج . ومن ذلك ما كتبه إلى حيان بن شريح عامله على مصر فقال له :
« ضع المبزية عن أسلم من أهل السنة فان الله تبارك وتعالى قال :
« فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور
رحيم » (التوبة / من ٥) .

كما قال سبحانه وتعالى :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ولا يدينون دين من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا
المبزية من يد وهم صاغرون (٣) (التوبة / ٢٩) .

حكم أرض من كان يعطي الجزية ثم أسلم :

عن الليث بن سعد أن عمر بن عبد العزيز قال :
« أيما قوم صولحوا على جزية يعطونها ، فمن أسلم منهم كانت
أرضه لبقيتهم » (٤) .

أى أن أرض الكتابين الذي كان يدفع الجزية وأسلم لا ترد اليه
الأرض وتعامل معاملة أرض باقي قومه فيكون حكمها حكم أرض من لم
يسسلم منهم أى تعتبر من في المسلمين ، وقول عمر بن عبد العزيز السابق
يستند إلى ما تم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعن ابن ذئب الزهرى قال :

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس البحرين ،
فمن أسلم منهم قبل اسلامه فاحرز اسلامه لفسه وما له ، الا الأرض فانها
في المسلمين من قبل الله لم يسلم أول الأمر وهو في منعه .

ولعل اعتبار الأرض من في المسلمين يستند إلى أن نصر المسلمين
وفتحهم للبلاد جعل الأرض جميعها عنيبة للمسلمين وفيها لهم وبذلك
اصبحت ملكاً لجماعة المسلمين . فاسلام المجوس بعد ذلك لا يغير من
وضع الأرض لأنها لم يكن مالكا لها قبل اسلامه .

(٣) لشرح سر وأخبارها - تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم
ابن أبين القرشي المصري - تحقيق محمد سعيد من ١٠٧ .

(٤) الأموال لأبي عبيدة - مرجع سابق من ٢٠٤ .

٤٣١ . قرار صلح الجزية من جميع من يدفعونها :

اذا تم صلح بين دولة الاسلام ودولة اخرى لم تستحب للامسلام
وآثرت ان تدفع الجزية . فان دفع الجزية يقع عبءه على كل فرد من اهل
الكتاب في الدولة التي لم تسلم الا من كان محفيا منها لشیخوخته او
لرضه او كان من النساء او من الاطفال او غير ذلك من الحالات المفاهيم .
ولذلك كان عمر بن عبد العزيز لا يكتفى باقرار الرؤساء للصلح نيابة عن
جميع الرعايا من اهل الكتاب بل كان يوجب موافقة جميع من يقع عليهم
دفع الجزية على عقد الصلح . ولعل حكمة ذلك ان رفض الاسلام وقبول
دفع الجزية من اهل الكتاب أمر متعلق بالعقيدة الشخصية لكل فرد ، فرأى
عمر بن عبد العزيز ضرورة صدور الرأى من الأشخاص الفاسهم ما دام
متعلقا بعقيدة كل منهم .

وان كان يكفي لذلك ان تعلن الدولة المتصالحة مع الدولة الاسلامية
بين رعاياها عن عزمها على عدم ترك دينها الى الاسلام ودفعها الجزية وفي
نفس الوقت تمنع المريءة من اراد ترك دينه ليدخل في الاسلام .

وقد نقل رأى عمر بن عبد العزيز صنفوان بن عمر فقال :

« كان الله الجيوش من المسلمين قبل عمر بن عبد العزيز يصالح
الامام رؤوس اهل الحسن وقادتهم على ما تراضوا عليه دون علم بقية من
أهل الحسن من الرذم ، فنهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك ، وأمر امراء
جيوشة أن لا يعلموا به ولا يقبلوا منه من عرضه عليهم حتى يكتبوا كتابا
ويوجهوا به رسولًا وشهودا على جماعة اهل الحسن (٥) . »

ويعلق أبو عبيد في كتابه الاموال على ذلك فيقول :

« وهذا هو الوجه ، لأنهم ليسوا بمساليلك ، فيجوز حكمهم عليهم ،
الا أن يكون الاتباع غير مخالفين للرؤساء ، وعلى هذا يحمل ما كان من
النبي صل الله عليه وسلم من عقد وصالح من رؤساء اهل مجران وغيرهم .
ان ذلك كان على ملاهـ منهم ، وان الاتباع غير خسارـين لهم من رأى ولا
مستـرين عليه ، » (٦) . »

٤٣٢ . قرار عقود الصلح السابقة :

وكان عمر بن عبد العزيز يقر عقود الصلح السابقة على عهده بعد
أن يستوثق من صحتها .

٥ - (١) الاموال لابن عبيد - مرجع سابق ص ٣٢٢ .

فعن العلاء بن عائشة انه قال :

كتب الى عمر بن عبد العزيز ان سل اهل الرها ، حصل عندهم صلح ، فسألتهم فأثناي أستفهم بدرج او حق فيه كتاب ، فاذا في الكتاب :
و هذا كتاب من عياض بن غنيم ومن معه من المسلمين لأهل الرها :
انى آمنتهم على دمائهم وأموالهم ، وذارياتهم ، ونسائهم ، وعديتهم .
وطواحيتهم ، اذا أدوا الحق الذي عليهم شهد الله وملائكته .
فاجازه لهم عمر بن عبد العزيز (7) .

جزية الأموات ومدى استحقاقها على ورثتهم :
يموت الذي وعليه الجزية ، فهل تحصل من ورثته ؟
روى عن عمر بن عبد العزيز رأيان :

الرأي الأول : رواه عبد الرحمن بن جنادة كاتبه حيان بن سريج الذي
بعثه الى عمر بن عبد العزيز وعنه كتاب يستفتية ي يجعل جزية موتى القبط
على أحياءهم ١ فكتب عمر الى حيان أن يجعل جزية الأموات على الأحياء .

الرأي الثاني : رواه عن معاذ بن عبد الله عن عمر بن عبد العزيز انه
ليس على من مات او من أبق جزية فلا تؤخذ من ورثته ولا يجعلها بمنزلة
الدين لأنهم لم يكونوا ضامنين لذلك (8) .

وإذا اختلف وجهان النظر ، نرى أن الجزية ضريبة سنوية شخصية
تقع على الذي في حياته ، فإذا مات ولم تكن قد استحقت عليه جزية في
حياته فلا تستحق بعد وفاته حتى ولو ترك مالاً لورثته ، أما إذا استحقت
عليه جزية قبل وفاته ولم يردها وترك أموالاً فتستأدي الجزية من ورثته
لأن بيت المال دائم بقدر ما شانها في ذلك شأن ديون الغير التي تستحق
على التركة وتتعلق بها ، اذ لا ترثة الا بعد سداد الديون ، أما إذا لم
يختلف ترثة فلا تؤخذ من الأموال الخاصة بالورثة أنفسهم لأنهم كما قال
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لم يكونوا ضامنين لاداء الجزية .

تحديد أهل الجزية من النعيم وحقوقهم :

وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله محدداً أهل الجزية فقال :

(7) المرجع السابق ص ٢٦٧

(8) المرجع السابق ص ٦١ .

« وإنما أهل الجزية ثلاثة نفر : صاحب أرض يعطي جزيته منها وصانع يخرج جزيته من كسبه ، وتأجر يتصرف يعطي جزيته من ذلك ، وإنما سنتهم واحدة » (٩) .

ويبدو أن الحالات التي ذكرها عمر بن عبد العزيز هي الحالات التي كانت سائدة في عهده ، لأنه توجد في المجتمع مهن أخرى ينتهيها أهل الكتاب ، كأرباب المهن الحرة ، وعلى ذلك يمكن القول أن ما ورد في قول عمر بن عبد العزيز هو على سبيل المثال وليس على سبيل المحصر . وقد ذكر عمر بن عبد العزيز أن سنتهم واحدة ، ولعله قصد بذلك أن تكون معاملتهم واحدة ، من ناحية فرض الجزية واستحقاقها ومواعيدها ، واعتبار من يدفع الجزية في ذمة الدولة الإسلامية وإذا أسلم رفعت عنه الجزية ، وهذا هو ما أوضحته فقرة أخرى من كتابه سالف الذكر فقال :

« فمن أسلم من نصارى أو يهودى من أهل الجزية فخالفت عم (عموم) المسلمين في دارهم ، وفارق داره التي كان بها ، فان له ما للMuslimين وعليه ما عليهم ، وعليهم أن يخالطوه وأن يواصوه » (١٠) .

وأكذ ذلك في رده على عامله في الكوفة كما يبين من الفقرة التالية :

حقوق من أسلم من أهل الكتاب :

أرسل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن (عاملة على الكوفة) الكتاب التالي :

كتبهت إلى تسللى عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة وستاذنى أخذ الجزية منهم ، وإن الله جل شأنه ثناوه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا إلى الإسلام ولم يبعثه جابيا ، فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه وميراثه للذوى رحمة إذا كان منهم يتوارثون كما يتوارث أهل الإسلام ، وإن لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بين المسلمين ، وما أحدث من حدث فعن مال الله الذى يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه . والسلام (١١) .

ومن الكتاب السابق يمكن استخلاص المبادىء التالية التي أمر عمر ابن عبد العزيز بتطبيقاتها :

(٩) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم تسلقى أحمد عبيه من ٨٣ .

(١٠) المرجع السابق من ٧٩ .

(١١) المرجع لأبي يوسف - مرجع سابق من ١٣١ ، ١٣٢ .

- ليس على اليهود والنصارى بعد اسلامهم جزية مهما كانت حصيلتها قبل اسلامهم .
- يعامل المجرم معاملة أهل الكتاب فليس عليهم جزية ان أسلموا .
- بعث الله جل وعلا محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جاييا .
- بعد اسلام اليهود والنصارى والمجوس يؤدون الصدقة على اموالهم اذا بلغت نصابا وفى حالة وفاتهم بعد اسلامهم تطبق على اموالهم التي ترثى لورثتهم احكام المواريث فى الشريعة الاسلامية .
- اذا لم يكن لهم ورثة وتركوا اموالا عند وفاتهم ترثى لبيت مال المسلمين باعتبار ان بيت مال المسلمين وارث من لا وارث له .
- يتمتع من اسلم بما يتمتع به سائر المسلمين من عطاء بيت المال .

جواز بيع أهل اللغة ممتلكاتهم لأداء الجزية :

كتب عمر بن عبد العزيز الى يحيى بن سعيد :

- « ان ما باع القبيط فى جزيرتهم وما يؤخذون به من الحق الذى عليهم من عبد او ولدته او بغير او بقره او دابة فان ذلك جائز عليهم جائز لمن ابتعاه منهم غير مردود اليهم ان ايسروا (١٢) »

ومما سبق نستخلص المبادئ التالية :

- اذا استحق على ذمى جزية وأصبح مدينا بها يجوز له بيع بعض ممتلكاته لأداء الجزية اذا كان معسرا .
- ومن ابتعاث منه هذه الممتلكات ان يتمسك بصحة عقد البيع ولا يردها الى من باعها اذا ايسر بعد عشر ورثب فى استرداد ما باعه .
- لا تسرى هذه القاعدة على الارض التى تحيط ايدي اهل الذمة لان البلد اذا فتحت عنوة كانت ارضها فيها للمسلمين (١٣) . ولا يجوز لاهل الكتاب التصرف فيها اذا كانوا يزورونها .

(١٢) ، (١٣) لشرح سر واخبارها - تأليف ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد المكر بن ايمان الترشى - تقديم وتحقيق محمد صبيح س ١٠٦ .

جواز كراء أهل القرية للأرضهم :

يستكمل عمر بن عبد العزيز كتابه السابق فيقول :

وَمَا أَكْرَوْا مِنْ أَرْضِهِمْ فَجَاءُهُ كَرَاءً إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَضْرِرُ بِالْجُزِيَّةِ الَّتِي
عَلَيْهِمْ • فَلَعْلَ الْأَرْضِ أَنْ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَنْ أَضْرَرُ بِجُزِيَّتِهِمْ • وَإِنْ كَانَ فَضْلًا
بَعْدَ الْجُزِيَّةِ فَإِنَّا نَرِي كَرَاءَهَا جَائِزًا لِمَنْ تَكَارَاهَا مِنْهُمْ •

وما سبق يمكن استخلاص المبادئ التالية :

– الأرض في البلاد التي فتحت عنوة في المسلمين وملك لهم .

– يجوز إبقاء التمرين على الأرض لاستغلالها وأداء المراج عنها كما فعل عمر بن الخطاب .

– وفي رأي عمر بن عبد العزيز يجوز لهم كراء الأرض .

– إذا كان الكراء يضر بالجزية كان كانت قيمة الكراء أقل من عائد استغلال الأرض وكان ذلك مما يقلل من أموال الذممي فلا يستطيع أداء الجزية المستحقة عليه ، فلا يجوز كراء الأرض .

– إذا كان الذممي قد أدى الجزية فلا اعتراض على الكراء .

طريقة تحديد الجزية بمصر في عهد عمر بن عبد العزيز :

يتبيّن مما سبق أن هناك ثمة علاقة بين الجزية والأرض ، مع أنه ليس على الأرض جزية وإنما عليها المراج والجزية على الرؤوس . ويبدو أنه بمصر كانت الجزية على الرؤوس طبقاً للمبدأ العام ولكن كانت تتحمّل بطريقتين جزء منها منصص على رؤوس الرجال وجزء عام يكون على رؤوس أهل القرية ، وتكون أرض أهل القرية ضامنة لالجزية التي عليهم .

فيقول يحيى بن سعيد :

• **الجزية جزيتان :** فجزية على رؤوس الرجال ، وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذ بها أهل القرية فمن هنّك من أهل القرية التي عليهم جزية مسمّة على القرية ليست على رؤوس الرجال ، فانا نرى أن من هنّك من أهل القرية من لا ولد ولا وارث أن أرضه ترجع إلى قريته في جملة ما عليهم من الجزية ومن هنّك ممّن جزئه على رؤوس الرجال ولم يدع وارثاً فان أرضه لل المسلمين ، (١٤) •

(١٤) الربيع السابق من ١٠٦ .

إذاء الجزية لا يبيع للنسى الاتجذار في المهر :

إذاء الجزية يجعل أهل الكتاب في ذمة الدولة الإسلامية فيكون لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ، إلا إذا كان من بين هذه الأموال خمور فيمتنع ضررها عن المسلمين وقد فعل عمر بن عبد العزيز ذلك فامر بتحويتها إلى خل وعدم اهداها لأنها مال من أموال أهل السنة فينبغي عدم اهداها وفاء من المسلمين بهم بحماية أموال أهل السنة .

فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن – وهو عامله على الكوفة – أن لا تحمل المهر من رستاق إلى رستاق (١٥) وما وجدت منه في السفن فصيده خلا (١٦) .

فكتب عبد الحميد إلى عامله بواسطة محمد بن المنشد بذلك ، فأتى السفن فصب في كل راقد (١٧) ماه وملحا فصيده خلا (١٨) .

(١٥) من مجر لتجز أو من بلد خ .

(١٦) الأموال لأبي عبد – مرجع سابق ص ١٣٤ .

(١٧) الراقد : دن كبير يطل داخله بالثار .

(١٨) الأموال لأبي عبد – مرجع سابق – ص ١٣٤ .

الفصل الثاني

الاصلاح المالي خراج الأرض وعشور التجارة

الاصلاح المالي خراج الأرض

الأسس العامة لاصلاح خراج الأرض :

قام اصلاح عمر بن عبد العزيز خراج الأرض على الأسس التالية :

- وضع قواعد مفصلة لتحديد خراج الأرض .
- توضيح حكم المعاملات في أرض الخراج .
- التأكيد على عدم تعديه أرباب الخراج .
- توضيح بعض حالات أحياء الأرض .
- تحقيق المساواة في الارتفاع بأرض الممى .

واهتمام عمر بن عبد العزيز باصلاح الخراج يؤدى الى اصلاح الأرض وانتاجها ، وهذا الاهتمام يقيم أمر الاسلام ، الذي اهتم اهتماما بالغا بالارض وخصوصيتها فقد تعرض القرآن الكريم للأرض في مواضع عددة حتى بلغ ما ورد ذكره معرفا بالآلف واللام أربعمائة وخمسين موضعا، كما ربط الاسلام بين خصوصية الأرض وانتاجيتها وقسمها طبقا لندرة خصوصيتها فيقول الله سبحانه وتعالى :

« والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون » (الأعراف/ ٥٨) (١) .

(١) للمزيد في هذا الشأن يرجى لكتابنا ... الاطار الاسلامي مالية المسلم من وما يحيى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وفيما يلى تفصيل حالات الاصلاح المالي التي قام بها عمر بن عبد العزيز :

تحديد قواعد خراج الأرض :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بشأن خراج الأرض ما يلى (٢) :

« انظر الأرض ولا تحمل خراباً على عامر ولا عامر على خراب »
وأنظر المثواب فان أطاق شيئاً فخذ فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر ،
ولا تأخذ من عامر لا يحمل شيئاً ، وما أجدب من العامر من المزاج فخذنه
في رفق وتسكين لأهل الأرض وأمرك أن لا تأخذ في المزاج إلا وزن سبعة
ليس فيها تبر ولا أجور الفراين ولا اذابة الفضة ولا هدية التبر ور
والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفيوج (٣) ولا أجور البيوت ولا
دراسن النكاح ، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض » .

ومن الكتاب السابق يمكن استخلاص المبادئ التالية بشأن خراج الأرض في عهد عمر بن عبد العزيز :

— بدأ عمر بن عبد العزيز كتابه بطلب نظر الأرض ، أي دراسة
أحوالها وموقتها ودرجة خصوبتها للوصول إلى احتمالها للخروج ، حتى
يتسم ما يؤخذ منها من خراج بالعدل ، فلا تحمل الأرض ما لا تطيق ،
وهذا هو المبدأ الذي وضعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حينما رفض
تقسيم ما غنم المقاتلون من أرض بيتهما وأثر أن يعيثوا ملكاً للدولة ويفرض
عليها المزاج وقال لمن أرسلهما ليحددا المزاج على أرض العراق بعد
فتحها :

« لملكتها حملتا الأرض ما لا تطيق ، فقال أحدهما وهو عثمان بن
حنيف « حملت الأرض أمراً هي له مطيبة » . وقال الآخر هو حديثة بن
اليمان « وضعت على الأرض أمراً هي له محتملة وما فيها كثير فضل » .

— تضمن الكتاب تهياً عن تحويل أرض خراب على أرض عامر ولا
تحويل أرض عامر على خراب ، لأن تحويل أنواع الأرض على بعضها ،
الراب منها على العامر والعامر منها على الراب ، يؤدي إلى النظر إلى

(٢) الكتاب من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه ورد في كتاب المزاج
لابن يوسف من ٨٦ .

(٣) الفيوج : جمع (ليم) وهو رسم البريد .

الأرض كلها عند تحديد خراجها نظرة شاملة فلا يتسم تحديد الخراج بالدقة التي تتحقق اذا تم تحديد الخراج بالنسبة لكل ارض على حدة ، والنظرة الشاملة تؤدى الى غبن صاحب الأرض اذا حدد الخراج بأعلى مما تطيق الأرض او غبن بيت المال اذا هبط الخراج بما تطيق .

ـ حدد الكتاب طريقة استثناء الخراج من كل نوع على حدة ، فلا يؤخذ من الخراب الا القليل الذى يطيقه ان كان يطيق شيئا ، وعلى المختصين أن يبحثوا اسباب خراب الأرض ويعصروها ، لأن التعمير يزيد الانتاج العام ويرفع النخل القويم ويساهم في التموين الغذائي للشعب وينسى خراج الدولة .

كما أن العامر من الأرض قد لا يؤتى في سنة ما محاصيل كافية لاستثناء الخراج منها بسبب أحوال جوية أو آفات زراعية أو بسبب هبوط درجة خصوبية الأرض نفسها ، فإذا أدت هذه العوامل الى توقف الأرض عن الانتاج فلا يؤخذ منها خراج وإذا انتجه شيئا يسيرا فيؤخذ منها الخراج في رفق بما يتناسب مع اليسير الذي انتجه حتى لا يهجر الزارعون أراضيهم اذا التهم الخراج غير العادل معظم التاجها .

وربط عمر بن عبد العزيز خراج الأرض بدرجة جودتها يؤيده ما يذهب إليه الفنانون حديثا من وجود علاقة بين نوعية الأرض والمحاصيل التي تنجح زراعتها بها ، فيقسمونها من حيث علاقتها بعض خواصها وانتاجية المحاصيل وتکاليف هذه الانتاجية على النحو التالي : (٤)

نوع الأرض وما تنتجه					
الظروف	المواحة	الصرف	الرى	الجودة	الحالة
جيدة	جيدة	جيدة	جيدة	أرض تتواءل فيها جميع المحاصيل وتعطي أكبر انتاج بأقل تكاليف .	جيدة
متوسط	متوسط	متوسط	جيدة	أرض تنجح أطلب المحاصيل غير المحمولة المواحة وتعطي أكبر انتاج بتكاليف للبيمة نفسها .	متوسط
متوسط	عالية	رديء	متوسط	أرض لا تجود بها معظم المحاصيل الجيدة وتعطي محصولا متوسطا بتكاليف متوسطة .	عالية
عالية	عالية	رديء	متوسط	أرض محدودة الإنتاج تحتاج إلى مصاريف ملحة زراعية متوسطة أو عالية طبقا لحالة الإنتاج .	عالية

(٤) من بحث المذكور / احمد محمود بدوى - بمقدمة بحوث الأرض - مجلس الارشاد الزراعي - عده مايو و يونيو ١٩٨٠ - من ٣٧ .
قد ورد بكتابنا الإطار الأخلاقي للبيمة المسلم - من ١٠٢ .

— حدد الكتاب قيمة الخراج بوزن سبعة وحدات من وحدات الوزن
التي كانت سارية في ذلك العهد .

نقطات معينة حددتها الكتاب :

هذا ويتضمن كتاب عمر بن عبد العزيز في ختامه قاعدة هامة وهي أنه لا خراج على من أسلم من أهل الأرض ، لأنه إن أسلم صاحب الأرض ولم تكن أرضه قد ألت لل المسلمين كفنيمة بعد فتحهم للبلاد ، فلا تعتبر فيها لل المسلمين ، وبإسلامه تجب عليه الزكاة على محصولات أرضه .

وقد يحدث أن يكون تحت يد شخص من أهل الكتاب أرض ألت لل المسلمين بسبب الفتح للبلاد أو نتيجة صلح وتضمنت شروط الصلح أيلولة الأرض لل المسلمين ، وهذه الأرض يستحق عليها الخراج ، فإذا أسلم هذا الشخص فهل يدفع الزكاة على محصولاته وهي ركن من أركان الإسلام ؟ أم يدفع الخراج عن الأرض باعتبارها ملكا لل المسلمين ؟ أم يدفع الاثنين معا . يرى عمر بن عبد العزيز أنه يدفع الاثنين معا .

فقد قال عمرو بن ميمون بن مهران :

سألت عمر بن عبد العزيز : المسلم تكون في يده أرض خراج
فيطلب منه العشر (أى الزكاة) فيقول (أى المسلم) أنت على الخراج .

فقال عمر بن عبد العزيز : الخراج على الأرض والعشر على
الحب⁽⁵⁾ . الواقع أن هذا الحكم يؤدي إلى ازدواج المبة على الزارع
لأنه يقع عليه عبئان في وقت واحد وهو خراج الأرض وزكاة الزرع .

وضع خاص لأهل مكة :

لا يفرض حراج على أرض مكة ، لأن أرضها حرام حرمها الله ، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن مكة حرام حرمها الله لا يحل بيع رباءها ولا أجور بيوتها .

وكان عمر بن الخطاب ينهى أن تطلق دور مكة دون الحاج ويسكن
الحجاج في الدور الخالية . وطبق عمر بن عبد العزيز حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فكتب إلى أمير مكة كتاباً أمره :

(5) الأموال لأبي عبد الله ص ١١٤ .

« ان لا يدع أهل مكة يدخلون على بيوت مكة ابرا فانه لا يحل لهم » (٦) .

الأرض في المسلمين فلا يجوز للمسلمين بيعها :

اذا افتتح المسلمين بلدا اعتبرت ارضها من الشانم وتصبح ملكا للمسلمين عامة ، فاذا ابقيت الدولة الاسلامية ملاكمها السابقين عليها لرعايتها فلا يجوز لهم التصرف فيها بالبيع ، لأنهم بذلك يكونون قد باعوا مالا يملكون . وبذلك كتب عمر بن عبد العزيز الى عماله فقال : « اما بعد فحل بين اهل الأرض وبين بيع ما في ايديهم فانهم انما يبيعون في المسلمين » (٧) .

عدم بيع الالات الزراعية :

يحدث ان يطالب عمال الخراج القائمين على ارض الخراج من اهل الكتاب بالخرج المستحق عليهم ، فلا يؤدون ما عليهم من الخراج فيلتجأ عمال الخراج الى بيع بعض ممتلكاتهم لاداء الخراج المستحق لبيت المال .

وقد نهى عمر بن عبد العزيز ان تباع الالات اهل الذمة استنادا للخرج المستحق عليهم لأن ذلك يعطى الاتاج العام ويؤدي الى تناقص الخراج ، فقد كتب لعماله « ان لا يباع لأهل الذمة آلة » (٨) .

مبادئ عامة للعاملين بالخارج :

كان ميمون بن مهران قاضي الجزيرة وعلى خراجهما في عهد عمر بن عبد العزيز فكتب اليه يشكو شدة الحكم والعباية ، فكتب اليه عمر :

« انى لم اكلفك ما يعنيك ، اجتنب الطيب والقبي بما استبان لك من الحق ، فاذا التبس عليك أمر فارفعه الى ، فلو أن الناس اذا نقل عليهم أمر تركوه ما قام دين ولا دنيا » (٩) .

فما كتب عمر يمكن استخلاص المبادئ التالية ببيان واجبات القائمين على الخارج :

(٦) المرجع السابق من ٨٤ ، ٨٥ .

(٧) المرجع السابق من ١٢٢ .

(٨) المرجع السابق من ١٢٢ .

(٩) المرجع لا يرى يوسف من ١١٤ - مرجع سابق .

— لا يكلف عمال الخراج بأعمال و اختصامات وأعباء فوق ما يستطيعون لأن في ذلك عناء لهم وعدم اتقان لأعمال الخراج .

— لا يجب عمال الخراج الا الطيب من الأموال ، فيعدل في الجباية ويحسن في المعاملة ويبعد عن الجور والظلم .

وكان عمر بن الخطاب اذا أتاهم خراج العراق يخرج اليه عشرة من اهل الكوفة وعشرة من اهل البصرة يشهدون أربع شهادات انه من طيب ، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد (١٠) .

— اذا صادف عامل الخراج صعوبة في التطبيق بسبب غموض النص والتباس التفسير ، يطلب رأى المشرفين عليه من اختصوا بالتفسير والافتاء .

— لا ينبغي ان يتصف عامل الخراج بالسلبية فيعالج الحالات السهلة ويترك تلك التي تتطلب جهدا .

عدم تعذيب أهل الخراج :

كتب عذر بن ارطأة وهو أحد عمال عمر بن عبد العزيز اليه ما يلى :

« أما بعد فان اناسا قبلنا لا يردون ما عليهم حتى يمسهم شيء من العذاب » فكتب اليه عمر بن عبد العزيز ما يلى :

« أما بعد فالعجب كل العجب من استثنائك ايها في عذاب البشر كأني جنة لله من عذاب الله وكان رضائى ينجيك من سخط الله ، اذا اتاك كتابى هذا فمن اعطاك ما قبله عفوا والا فاحلفه ، فوالله لان يلقو الله بجنتياتهم أحب الى من ان القاء بعذابهم ، والسلام » .

وعمر بن عبد العزيز ينهيه عن تعذيب أهل الذمة في الخراج (انما يطبق نهى رسول الله عن تعذيب الناس ، فقد حدث هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد انه مر على قوم قد أقيموا في الشمس في بعض ارض الشام ، فقال : ما شأن هؤلاء ؟

فقيل له : أقيموا في الشمس في الجزيرة ، فكره ذلك ودخل على أميرهم .

وقال : انى سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول « من عذب الناس عذبه الله » (١١) .

(١٠) المرجع السابق ص ١٢٥ .

(١١) المرجع السابق ص ١٢٥ .

احياء الارض :

طبقاً لحديث الرسول صل الله عليه وسلم من يقوم باحياء ارض غير مملوكة لآحد وكانت هذه الارض ميتة تؤول اليه ملكيتها .

فقد قال صل الله عليه وسلم « من احيا ارضاً ميتة فهو له ، وما اكلت العافية منها فهو له صدقة » .

وسائل الخلفاء الراشدون على تطبيق سنة الرسول ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب على المنبر ويقول « يا ايها الناس من احيا ارضاً ميتة فهو له » .

وطبق عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه نفس المبدأ العام .
فعن حكيم بن رزيق قال :

« قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز الى أبي
« أن من احيا ارضاً ميتة ببيان او حرش مالم تكون من اموال قوم
ابناعوها من اموالهم او احيوا بعضها وتركوا بعضاً فاجز لقوم احياءهم
الذى احيوا ببيان او حرش (١١) .

وعن يحيى بن حمزة عن سليمان بن داود المولاني :

« أن عمر بن عبد العزيز كان يقضى في الرجل اذا أخذ الارض
فسرها واصلحتها ثم جاء صاحبها يطلبها : انه يقول لصاحب الارض :
ادفع الى هذا ما اصلح فيها فانما عمل لك » (١٢) .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول ايضاً :

« من غلب الماء على شئ فهو له » (١٣) .

فتكون سياسة عمر بن عبد العزيز بشأن احياء الارض قامت على
الاسس التالية :

ـ من احيا ارضاً ميتة ليست ملكاً لآحد فهو له .

ـ الاحياء يكون بكافة الطرق بالزراعة او باتمام المباني بعد تمهيد
الارض او حسر الماء عنها كان كانت مستنقعاً فجعلتها حتى صارت صالحة .

(١١) الاموال لابن عبيده - مرجع سابق من ٣٦٦ .

(١٢) المرجع السابق من ٣٦٧ .

(١٣) المرجع السابق من ٣٦١ ، ٣٦٢ .

ـ اذا احيا شخص ارضا مملوكة للغير ، يمكن لصاحبها ان يستردعا بعد ان يدفع تكاليف احياء الارض لمن احياتها ، او يدفع من احياتها للمالك ثمن ارضه وتقول اليه :

حالة تطبيقية :

يورد ابو عبيدة في كتابه الاموال حالة عملية أصدر فيها عمر بن عبد العزيز حكمه فكان رسول الله قد سلم بلالا ارضا ، فباعها بتو بلال الى الدولة في عهد عمر بن عبد العزيز ، فلما استئمرتها الدولة استخرجت منها معادن فطالب بتو بلال بزيادة في الثمن قائلين انهم باعوا الارض على أنها ارضا زراعية ولم يبيعوا ما استخرج منها من معادن .

فرد اليهم عمر بن عبد العزيز ما استخرج من معادن بعد ان خصم منها قيمة ما اتفق في استخراجها (١٤) .

سياسة حمى الأرض :

من بين اراض الدولة الاسلامية نوع من الارض يثبت فيها الكلاب بما طباعها بغير حرث او غرس او سقى من احد ، فتحببها الدولة للناس جميعا ليرعوا فيها انعامهم ولا يجوز لأحد أن يحمي هذه الأرض أى يحيطها بسور يمنعها عن الناس ، الا أنه يجوز للدولة أن تحمي هذه الأرض في سبيل الله ، فقد حماها رسول الله صل الله عليه وسلم لا يروا التحيل الفازية في سبيل الله وحماها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده للتحيل الفازية في في سبيل الله ولا يروا أئم الصلوة بعد أخذها من المتصدقين تمهيدا لتوزيعها على مستحقها من الفقراء والمساكين .

وقد قامت سياسة عمر بن عبد العزيز بشأن حمى الأرض على أن يطبق ما سنه الرسول صل الله عليه وسلم « وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده وأباح للجميع بدون استثناء الاتصال بها ولا يفضل في ذلك صاحب سطوة أو جاه أو سلطان على غيره من المسلمين ، فاذاع على ولاته وعماله تعليمات تقول :

« ونرى أن الحمى يباح لل المسلمين عامة ، وقد كانت تحمى فتجعل فيها تقام الصدقات ، فيكون في ذلك ثورة ونفع لأهل فرائض الصدقات . وإنما الإمام كرجل من المسلمين ، إنما هو النبي ينزله الله لعباده فهم فيه سواء » (١٥) .

(١٤) المرجع السابق من ٤٤٢ - ٤٤٤ .

(١٥) ابن الحكم وسيرة عمر بن عبد العزيز - تعليق : احمد عبيد - الطبعة الثانية - مكتبة وعبدة بالقاهرة - من ٨١ :

الاصلاح المالي لعشور التجارة

أسس الاصلاح :

قام اصلاح عمر بن عبد العزيز لضريبة عشور التجارة على الأسس التالية :

- ـ توضييع مبادئها .
- ـ الغاء ضرائب متداخلة معها .
- ـ الافتاء في ضريبة العشور على الخبر .

وهو اصلاح ينبع من تعاليم الدين خصوصا في الضريبة على الخمر لأن الله تعالى يقول : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأذالم رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (المائدة/من ٩٠) .

وفيما يلي تفاصيل أسس الاصلاح :

توضييع مبادئ عشور التجارة :

عشور التجارة هي الضرائب على أموال التجارة الصادرة من البلاد الإسلامية والواردة لها . وقد أوضحتنا أن أول من وضعها في الدولة الإسلامية عمر بن الخطاب ، فقد كتب إليه أبو موسى الأشعري يذكر له أن تجار المسلمين إذا أتوا أرض العرب يأخذون منهم العشور ، فكتب إليه عمر أن يأخذ من الحربيين إذا مرروا ببلاد الإسلام كما يأخذون من تجار المسلمين . ومن أهل النمة نصف العشور ومن المسلمين عن كل أربعين درهماً درهماً أي ربع العشور وليس فيما دون المائتين من الدراهم شيء ، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد بحسبه .

وتعتبر البلاد بلاد حرب اذا كانت الأحكام الظاهرية غير إسلامية
وتعتبر دار اسلام اذا كانت الأحكام المنفذة اسلامية (١٦) .

ويبدو أنه بمرور الوقت بعد عمر بن الخطاب وفي أيام خلفاء بنى
أميمه قبل عمر بن عبد العزيز لم يكن الأمر واضحا في التطبيق فاصدر
بشأن هذه الفضيحة عدة تعليمات وهي :

حدث يحيى بن سعيد عن ذريق بن حيان - وكان على مكس مصر -
لذكر أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب ما يلى :

« انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم العين
ومما ظهر من التجارات من كل أربعين ، دينارا ، وما نقص فيحساب ذلك
حتى يبلغ عشرين دينارا ، فإن نقصت تلك الدنانير فدعها ولا تأخذ منها
 شيئا ، وإذا مر عليك أهل النمة فخذ مما يديرون من تجاراتهم من كل
عشرين دينارا فما نقص فيحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم
دعها ولا تأخذ منها شيئا واتكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم إلى مثلها
من الحول » .

ويتضح من الكتابين السابقين أن عمر بن عبد العزيز طبق نفس
القواعد التي كان يطبقها عمر بن الخطاب على تجار المسلمين باعتبار أن
ما يحصل منهم زكوة وطبق كذلك نفس القواعد على تجار النميين ، وأمر
بأن يعطوا إيصالا بما دفعوه .

ولم توضح تعليمات عمر بن عبد العزيز فوائد من يمر من التجار
غير المسلمين وغير أهل النمة وهم تجار البلاد التي لا تطبق الشريعة
الإسلامية ، ويبدو أن الأمر بشأنهم كان واضحا لم يتطلب مسودة
تعليمات .

الله ضرائب متداخلة مع عشور التجارة :

يبدو أن خلفاء بنى أميمه قبل عمر بن عبد العزيز فرضوا ضرائب
اضافية تحت أسماء مختلفة ، فأمر عمر بن عبد العزيز بفرضها عن الناس
وقد أشار كتابه إلى تلك الضرائب وهي القدية والمأدة والمكس .
فمن يعقوب بن عبد الرحمن القاري عن أبيه قال :

(١٦) النظر كتابنا النظم النائية في الإسلام - طبعة الثالثة من ١٠٩ وما يليها .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن ارطاة : « أن ضع عن الناس الفدية وضع عن الناس المائدة وضع عن الناس المكس ، وليس بالكس ولكنه البخس الذي قال الله تعالى فيه - ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تمنعوا في الأرض مفسدين - فمن جاءكم بصدقه فاقبلها منه ، ومن لم يأتكم ف الله حسيبه » .

ويعتبر ما أجزاء عمر بشان رفع ما كان يجيء من الناس بغير حق من الاصلاحات الهامة للنظام المالي في عهده ، لأن تلك الفرائض تجعل كامل الناس وتخل بالعدالة المالية وتولد السخط على الحكم والحكام .

نصف بيت المكس :

لم يكتف عمر بن عبد العزيز بالغاء الضرائب الإضافية التي فرضت على الناس بغير حق ، بل أمر بنسف دار الدولة التي كانت تحصلها من الناس . فقد كتب إلى عبد الله بن عوف التارى :

« أن اركب إلى البيت الذي يرفع الذي يقال له « بيت المكس » فاحدهم ثم احمله إلى البور فانسفه فيه نسفا »

ويعرف المكس بأنه ما يأخذه أهوان الدولة على أشياء معينة عند بيعها أو عند ادخالها المدن وجمفه مكس والملاكس والملاكس من يأخذ المكس ويقال له أيضا صاحب المكس .

وعن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله صل الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » - رواه الإمام أحمد وأبو داود وصححه على شرط مسلم .

ويبدو أن سبب تحريم رسول الله صل الله عليه وسلم للمكس أنها تعتبر من الضرائب غير المباشرة وهي تقسم عادة بالظلم لأنها لا تقع على الدخل أو الشروط المباشرة لدافعها ، بل تفرض على السلع فترفع أسعارها . فلا يستطيع أصحاب الملاكس الحصول عليها ، وإذا حصلوا عليها تكلفوا نظير ما يدفعونه كثمن لها ما لا يطيقون .

ليس على الخور عشود :

يقول الرسول صل الله عليه وسلم « إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه » ، فيحدث أن يمر على الموارى الإسلامية تجار من أهل الذمة يحملون خمراً ، وبناء على ذلك لا يحل في الماليـة العامة الإسلامية أن

يؤخذ عنها عشرة التجزئة لأنها لما كان ثمنها أو قيمتها محرمة أصلًا فاستقطاع جزء من قيمتها كعشور يعتبر بالباقي محرماً لأنها إذا كان مصدر العشور محرماً كانت العشور نفسها محرمة وذلك هو ما أشار به عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

فقد كتب إلى عدى بن ادطة : أن أبعث إلى ينفصل الأموال التي قبلك من أين دخلت ؟ فكتب إليه بذلك وصيغة له : فكان مما كتب إليه « من عشر الخمر أربعة آلاف درهم » .

فكتب إليه عمر بن عبد العزيز : إنك كتبت إلى تذكر من عشرة الخمر أربعة آلاف درهم . وإن الخمر لا يشرها مسلم ولا يشرها ولا يبيعها . فإذا أتاك كتابي هذا فاطلب الرجل فاردها عليه فهو أولى بما كان فيها (١٧) .

فطلب عدى الرجل ورد عليه الأربعة ألف درهم وقال أستغفر الله أني لم أعلم ، وعمر بن عبد العزيز يقتدى في ذلك بعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فقد بعث عمر بن فرقان إلى عمر بن الخطاب باربعة ألف درهم صدقة الخمر ، فكتب إليه عمر : « بعثت إلى بصدقة الخمر ، وأنت أحق بها من المهاجرين وأخبر بذلك الناس » (وفي هذا تقرير من عمر بن الخطاب لعامله لأنها أولى بهذا المال الخبيث من المهاجرين الذين يتغفرون عن أكل المال الخبيث) (١٨) .

ويشير ذلك نقاشاً في تطبيق ذلك في العصر الحديث حيث تجربى الدولة ضرائب على انتاج الخمور وتجارتها تقتدى بها مواردها العامة . فهل تعفيها من الضرائب مع أن هذا الاعفاء يؤدي إلى زيادة أرباح صناع الخمور وتجارتها ؟ وللرد على ذلك نقول إن في الدول الإسلامية التي تطبق أحكام الشريعة الإسلامية ينبغي أن يمنع انتاج الخمور فلا ترخيص . بانتفاء مصانعها وتصادر ما يقام بها من مصانع الخمر لأنها تقيمت بغير ترخيص من الدولة وتمنع كذلك تجارتها لأن انتاج الخمر وبيعها وشربها يخالف حكم الإسلام الذي اتخذته الدولة الإسلامية دستوراً لها .

(١٧ - ١٨) الأدوار لأبي عبد - مرجع سابق من ٦٤ .

الباب الخامس

اصلاح الانفاق العام ونماذج منه

الفصل الأول

اصلاح الانفاق العام

الأسس للنقطة لاصلاح الانفاق العام :

الانفاق من الابيرادات العامة للجزية والخراج وعشور التجارة انفاق على غير مخصص لوجوه معينة كالانفاق من ايرادات الزكاة وخمس الشناكم . وعلى ذلك فهو انفاق عام يوجه لجميع أوجه الانفاق التي يتطلبها نشاط الحكومة ومصالح الرعية . كمخصصات رئيس الدولة واجور السامعين بها ومرتباتهم ونفقات ادارة الموارين والمصالح الحكومية ومستلزماتها وتكليف الخدمات العامة للشعب من امن داخل وخارجي وتعليم وصحة واقامة العدل بين الناس كما يمتد هذا النوع من الانفاق العام ليشمل اية مشروعات عامة تقييمها الدولة كتمهيد الطرق وشق القنوات واقامة دور العبادة او مد خطوط النقل والمواصلات وغيرها .

وقد قام اصلاح عمر بن عبد العزيز لانفاق العام على الاسس التالية :

- قمع رئيس الدولة وعائلته في الاموال العامة .
- رفع رئيس الدولة الهدايا وتحريمه على عمال الدولة .
- املاك اق الاموال العامة اموال الشعب .
- ترشيد الانفاق العام وترقيبه طبقاً لأولويات تحقق المصلحة العامة .
- الاستمرار في أنواع الانفاق المشروعة الالزمة للدولة .

والأسس السابقة لاصلاح نبعت من مشكاة الدين الاسلامي ، وبذلك يتحقق عمر بن عبد العزيز قد اقام أمر الدين في دائرة الانفاق

العام . فزهنه فى المال العام كان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم قبوله الهدايا وهو رئيس دولة كافر لأنها تتعصب لى حكم الإسلام غلول ومن غل أتى بما غل يوم القيمة وانسسه الأخرى لاصلاح الانفاق العام تحركت فى دائرة آيات القرآن المجيد التى طالبت المؤمنين بالانفاق من طيبات ما كسبوا وأن يكون انفاقهم مرشدا حاليا من الاسراف والاقتار وأنه كما يكون انفاقهم علينا يكون سريا وكما يكون فى السراء يكون فى الضراء الى غير ذلك من الأحكام التى تناولت الانفاق جنسة عامة بحيث تسرى على الانفاق الخاسن والعام (١) .

وفيما يلي تفاصيل اصلاح الانفاق العام في عهد خسر بن عبد العزيز :

ذكـر رئـيس الـدوـلة وعـاقـبـه

شمول زهد غير من عبد العزى

كان زهد عمر بن عبد العزيز عن الأموال فله شاعرًا كاملاً ، وفن
ذلك قال مالك بن دينار : « يقولون مالك زائد ، لئن زهد عندي - إنما
الزائد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا فاغرها فلما فتر كها جملة » .
وتناظر أبو سليمان الورداني وأبو سفيان في عمر بن عبد العزيز
وأويس القرني .

فقال أبو سليمان : كان عمر بن عبد العزى أزهد من أويس -

فتاوى أبو صفوان : ولم ؟

قال أبو سليمان : لأن عمر ملك الدنيا فزمه فيما .

فقال أبو صفوان : وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر .

فقال أبو سليمان : لا تجمل من جرب كمن لا يجرب ، ان من جرب
الدنيا على يديه ليس لها في قلبه موقع أفضل من لم تجر على يديه وان
لم يكن لها في قلبه موضع (٢) .

(١) لمزيد انظر كتابنا « التعلم المالي في الإسلام » طبعة ثلاثة من ١٤٣٥ - ١٤٤٢
اصدرناها لنفسنا في المطبعة اليابانية للكتاب :

(٢) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير القرشي - تعلق قائد الشرياس «رجح سابق

نهاذج من ذهنه :

— رد عمر بن عبد العزيز فدك الى بيت المال . فجمع رؤوس الناس وخطبهم فقال :

« ان فدك كانت بيده رسول الله صل الله عليه وسلم يضعها حيث اراد الله ثم ولديها أبو يكر وعمر كذلك » — قال الأصمى : وما ادرى ماذا قال في عثمان — قال : تم ان مروان اقطعها ، فحصلت لي منها نصيبي . وووهب لي الوليد سليمان نصيبيهما ، ولم يكن من مالي شئ » اردت اغلى منها وقد رددتها في بيت المال ، على ما كانت عليه في زمان رسول الله صل الله عليه وسلم » .

وكانت فدك قرية بخمير . وكانت فيها لرسول الله صل الله عليه وسلم . فكانت لابن السبيل فسألته ابنته اياماً فابي الرسول ، فولى ابو يكر فسلك مسلك النبى ثم عمر ثم عثمان كذلك ، فلما ول معاوية طلبها منه مروان فاعطاه اياماً . فكان يبيع ثرها كل سنة بعشرة آلاف درهم . ثم نزعها من يده فكانت بيده وكيله بالمدينة ثم ول مروان المكم فأللت اليه فاعطى ابنته عبد الملك نصفها فوهب عبد العزيز حقه لولده عمر ولما توفي عبد الملك طلب عمر الى الوليد حقه فوهبه له . وطلب الى سليمان حقه فوهبه له ثم ووهب له الباقون حقوقهم . فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وأعلن الشناذل عنها لبيت المال ، كتب الى ابن حزم يقول :

« اني نظرت في أمر فدك فادا هو لا يصلح . فرأيت ان اردتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صل الله عليه وسلم وأبى يكر وعمر وعثمان فاقبضها وولها رجلاً يقوم فيها بالحق والسلام عليك » (٣) .

— وتخلع عمر بن عبد العزيز ايضاً عن كل ما كان بيده من قطائع غير فدك وهي المكيدس وجبل الورس بالبيمن وقطائع أخرى باليمامة (٤) .

— ويدرك المؤرخون أنه كان يعيش على قطعة ارض صغيرة بالسويداء كان اشتراها يكره . فكانت تأتيه غلتها كل سنة بما ترى دينار وقيل بمائة وخمسين أو أكثر قليلاً (٥) وتخلع عن مخصصاته من بيت المال .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز — ابن الجوزي من ١٠٩ . عمر بن عبد العزيز —

سعد عبد السلام حبيب من ١٠٦ .

(٤) سيرة عمر — لابن الجوزي من ١١٠ . عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام

حبيب من ١٠٦ .

(٥) المربيع السابق من ١١١ .

ولما قيل لعمر بن عبد العزيز أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَأْخُذُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِالْمُلْقِ وَأَنَّهُ حَدَّ نَصِيبَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بَعْدَ أَنْ اسْتَشَارَ الصَّحَابَةَ ، أَجَابَ يَأْنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمْ يَكُنْ لَّهُ مَالٌ وَأَنَا مَالٌ يَضْيَئُنِي عَنْ بَيْتِ الْمَالِ ، وَرَاحَ يَرْدَدُ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا :

« تَلِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهُمَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْنِينَ » (القصص / ٨٣) .

— كان دخله كل سنة — قيل أن يل الخلافة .. أربعين ألف دينار
فترك ذلك كله لبيت المال (١) .

— رد فضيحة سخاتم في يده إلى بيت المال وقال :
« أَعْطَانِي الْوَلِيدُ مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ » (٧) .

— كان قبل الخلافة يؤتى له بالقميص الرفيع اللين جداً .

فيقول : ما أحسنته لولا خشونة فيه ، فلما ولى الخلافة كان يلبس
القميص الغليظ المرقوع ويقول : ما أحسنته لولا لينه (٨) .

— وقد زهد عمر بعد الخلافة وكان قبلها مفرطاً في التعميم فقد قيل :
« كان عمر بن عبد العزيز أعلم أموي ترفها وتملكاً . غنى بالملك
ونقasa فيه ، لا يعرف إلا وهو تتصف ريحه فتتوجد رائحته في المكان الذي
يمر فيه ، ويمشي مشية تسمى العبرية . فكان الجواري يتعلمنها من حسنها
وتبيختره فيها ، وأنه ترك كل شيء كان فيه لما استخلف غير مشيته ، فانه
لم يستطع توكها فربما قال لزاحم : ذكرنى إذا رأيتني أمشي فيذكره
فيختلط ثم لا يستطيع إلا إياها فيرجع إليها » (٩) .

— وقد بلغ من رغبة عمر في الزهد أنه كان يعتبر أن التعميم الذي
كان فيه قبل الخلافة ثبت من ثني المسلمين وأن زهده بعد الخلافة عن
المال العام بمتابة رد لما أخذه من ثني ، فلم يؤثر نفسه بزيادة في الفقير ،
ولم يرزق منه شيئاً إلا عطاءه مع المسلمين فقد حدث أن جرت بينه وبين
ابن أبي ذكرييا المناقضة التالية :

(٦) (٧) عمر بن عبد العزيز — لابن كثير — تعليق أسد الشرباصي . مرجع سابق
ص ٩٣ .

(٨) المرجع السابق ص ٩٤ .

(٩) سيرة عمر بن عبد العزيز — لابن عبد الحكم — تعليق أسد عبيد — طبعة تالية
ص ٢٢ .

قال ابن أبي ذكريأ : يا أمير المؤمنين أني أريد أن أكلمك بشيء .
قال عمر : قل .

قال : قد يلطفني أنك ترزق العامل من عمالك ثلاثة مائة دينار .
قال عمر : نعم .
قال : ولم ذلك ؟

قال عمر : أردت أن أغنيهم عن الميائة .
قال : فأنت أمير المؤمنين أولى بذلك .

فأخرج عمر ذراعه وقال : يا ابن أبي ذكريأ ان هذا ثبت من الفي .
وليست معيادا إليه منه شيئاً أبداً (١٠) .

ـ وكان زهده بعد الخلافة بالرغم من توفر الأموال العامة وبالرغم
من أن الأموال العامة التي زهد فيها كانت متوجهة لأداء الحج .

فقد قال عمر لولاه مزاحم : أني قد اشتاهيت الحج فهل عندك شيء ؟
قال مزاحم : بضعة عشر ديناراً .

قال عمر : وما تقع مني .

فمكثت مزاحم قليلاً ثم قال : يا أمير المؤمنين تجهز فقد جاءنا مال
سبقه عشر الف دينار من بعض مالبني مروان .

قال عمر : أجعلها في بيت المال . فإن تكون حلالاً فقد أخذنا منها ما
يكيقنا وإن تكون حراماً لكتفانا ما أصبنا منها (١١) .

وقبل عمر بن عبد العزيز حدث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
حاسب نفسه على نفقات الحج .

فقد قال يسار بن نمير : سألكي عمر كم أنفقنا في حجتنا هذه ؟

قلت : خمسة عشر ديناراً (ويروى أنه أتفق ثمانين ومائة درهم) .

فقال عمر : قد أسرفنا في هذا المال .

قال هذا مع أن الرحلة كانت رحلة متقدمة لدرجة أنه كان يستظل
من شدة القيظ بالقاء ثوب على شجرة ويستظل تحتها .

(١٠) المرجع السابق - ص ٣٩ .

(١١) المرجع السابق - ص ٥٣ .

فقد قال عبد الله بن عامر بن ربيعة « صحبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة في الحج تم رجعوا ، فما ضرب له فسطاطة ولا جفون ولا كان له بناء يستظل به ، إنما يلقي نطفاً أو كسأ على شجرة فيستظل تحته » (١٢) .

— ولم يبين لعمر بن عبد العزيز بناء في أيام خلافته وكان يخدم بنفسه .

ويقول : ما تركنا شيئاً من الدنيا إلا عوضنا الله ما هو خير منها (١٣) .

الزام عائلته بالزهد :

— أمر عمر بن عبد العزيز ببيع حلله وحلل زوجته وأولاده . ومرأكبه وعطوره ومتاعه — ودفع ثمنها إلى بيت المال (١٤) .

— بعثت ابنة عمر بن عبد العزيز إليه بلوؤتين جميلتين كانت صديقة لها تزين أذنيها بها .

وقالت له : إن رأيت أن تبعث إلى باخت لها حتى أجعلها قرطاً في أذني .

فأرسل لها بيجرتين ملتهبتين .

وقال لها : إن استطعت أن تجعل هاتين المجرتين في أذنيك جنتك بلوؤتين كهنه (١٥) .

وعمر بن عبد العزيز في ذلك يستشعر نفس المشاعر التي شعر بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبجعلته يشبه المال العام الذي يأخذنه الأمراء بغير حق بقطعة من النار .

فقد حدث سعيد بن محمد عن هارون بن عمار عن أبيه .

قال : أتيت علياً بالرحبة يوم نیروز أو مهرجان وعنده دهاقين وهدايا .

(١٢) سيرة عمر بن الخطاب تأليف على مطلاوي وناتي مطلاوي من ٢٦٠ - ٢٥٩ ورد في كتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب من ١٥٣ .

(١٣) المرجع السابق - ص ٩٤ .

(١٤) سيرة عمر - ابن عبد الحكم من ٣٣ - ٣٤ ، عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب من ١٠٧ .

(١٥) عبرية الإسلام - عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق من ٣٢ .

قال : فجاء قتير فأخذ بيده فقال : يا أمير المؤمنين . أنت رجل لا تلقي شيئا (١٦) وإن لأهل بيتك في هذا المال نصيبا . وقد خبات لك خبيثة .

قال على : وما هي ؟

قال : الطلاق فانظر ما هي .

قال : فادخله بيته فيه باسته (أى غرارة) مملوقة آنية ذهب وفضة مموجة بالذهب .

فلما رأها على قال : ثكلتك أمك ، لقد أردت أن تدخل بيتي نارا عظيمة .

ثم جعل يزورها ويعطى كل عريف بحصته ثم قال :
هذا جنحى وخيارى فيه وكل جان يده الى فيه
لا تغرينى وغري غيرى (١٧) .

- طلب ابن عمر بن عبد العزيز كان متزوجا أن يزوجه أخرى ويصدق عنه من بيت المال فقضى عمر ورفض أن يصدقه من بيت مال المسلمين وأمره أن يبيع بعض الأمتنة الخامسة ويستعين بشئونها على ما يدا له (١٨) .

وفي ذلك ينهي عمر بن عبد العزيز نهيه عمر بن الخطاب حينما وجد القائم على بيت المال في عهده درهما فاصطبه لا بن عمر بن الخطاب ، فلما علم عمر رده وقال للقائم على بيت المال « أردت أن تخاصمني أمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الدرهم يوم القيمة » (١٩) .

ويروى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عندهما كيف أن أباه حرمه من ربع تجارة له مشروعة في الأيل وامرها أن يكتفى برأس المال ويودع الأرباح بيت مال المسلمين لمجرد استئناف غير متيقن بأن أبله حظيت بزيادة من الرعاية في أرض الحمى .

فيقول عبد الله بن عمر : اشتريت أبله وارتجمتها إلى الحمى (أرض عامة ينبع بها الزرع) .

فلمـا سـمت قـدمـت بـها ، فـدخلـ عـمرـ السـوقـ فـرأـيـ أـبلـ سـمانـاـ .

(١٦) لا تلقي يده شيئا : أى لا تضنه ولا يستقر بها .

(١٧) الأموال لا ينعيه - مرجع سابق من ٣٤٥ .

(١٨) سيدة عمر لا ابن عبد المکم - تعلیق احمد عبید - طبعة ثالثة من ١٠٦ .

(١٩) ورد بكتاب عمر بن الخطاب لحمد عبید ص ١٨٨ وكتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب من ١٥٥ .

فقال : من هذه الابل ٠

قلت : لمد الله بن عمر ٠

فجعل يقول : يا عبد الله ٠ بخ بخ ٠٠٠ ابن أمير المؤمنين ٠

فجئته أنسى قلت : مالك يا أمير المؤمنين ٠

قال : ما هذه الابل ٠

قلت : ابل انساء (أى مهزولة) اشتريتها وبعثت بها الى الحس

ابتهاى ما يبتغي المسلمون ٠

فقال : ارعوا ابل ابن أمير المؤمنين ااسقووا ابل ابن أمير المؤمنين
(أى ان ابله خطيبة زائدة لأنها ابل ابن أمير المؤمنين) يا عبد الله
ابن عمر اأهد على رأس المالك ، واجعل باقية في بيت مال المسلمين (٢٠) ٠

زهد عمر بن عبد العزيز القتلاء بزهد الرسول :

كان عمر في زهده متأسيا برسول الله صل الله عليه وسلم.

وصاحبته :

فقد كان الرسول صل الله عليه وسلم نموذجا للزاهدين العاملين .

فمن زهده ما يرويه ابن مسعود فيقول :

« دخلت على رسول الله صل الله عليه وسلم وقد نام على رمال

حصير وقد أثر في جنبه ٠

فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاه تجعله بينك وبين المصير

يقيك منه ٠

فقال : مالى ولله الدنيا ما انا والدنيا الا كراكب أستظل تحت شجرة

ثم راح وتركها ٠

ويقصص حديث بين أم المؤمنين خصة - زوجة رسول الله صل الله

عليه وسلم وأبيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما فتحت

عليه الفتوح مما كان عليه الرسول من زهد ٠

فقالت لأبيها : أليس الدين الدياب اذا وفدت عليك الوفود من الآفاق

ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر ٠

فقال عمر : يا خفوة السنت تعلمين أن أعلم الناس بحال أهل الرجل

أهل بيته ٠

(٢٠) ورد بكتاب عمر بن الخطاب لمحمد صبيح من ١٨٩ وكتابنا السياسة المالية لعمر

ابن الخطاب من ١٥٧ ٠

فقالت : بلى .

قال : قد ناشدتك الله حل تعلمين أن رسول الله لبس في النبوة
كذا وكذا سنة لم يسبح هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ، ولا
سبعوا عشية إلا جاعوا غدوة .

وناشدتك الله حل تعلمين أن النبي صل الله عليه وسلم لبس في
النبوة كذا وكذا سنة لم يسبح من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه
خبير ^٤ .

وناشدتك الله حل تعلمين أن رسول الله قربتم اليه يوما على مائة
فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه حتى تغير لونه . ثم أمر بالمائدة فرفعت
بوضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض ؟

وناشدتك الله حل تعلمين أن رسول الله كان ينام على عباءة مثنيه له
ليله أربع طاقات فنام عليها . فلما استيقظ قال : منعمتوني قيام الليل
بهذه العباءة ، انثروا بالنتين كما كنتم تشرعوا . فمازال يقول حتى ابكاهما
وبكى عمر وانتحب (٢١) .

وأقتحم المسلمون الأولون برسول الله صل الله عليه وسلم فزهدوا
وعملوا وجاهدوا حتى رفعوا راية الإسلام عالية خفاقة .

فيقول عبادة بن الصامت للمتوقدس أمير مصر وهو يفاضله باسم
المسلمين عند أسوار بابلion .

و ما يبالي أحدهنا أكان له قضاطير من ذهب أم كان لا يملك الا
درهما ، لأن نهاية أحدهنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليله ونهاره
وشملة يلتحفها ، فان كان أحدهنا لا يملك الا ذلك كفاه ٠ ٠ ٠ وان كان
له قنطر من ذهب اتفقه في طاعة الله تعالى واقتصر على هذا الذي بيده ٠

فيقول الموقدس لمن حوله : « ان هذا واصحابه ٠ ٠ ٠ ما اهذن ملتهم
الا سينقلب على الأرض كلها » (٢٢) .

(٢١) مل اخلاق النبي - تأليف الدكتور احمد محمد المؤمن من ٤٤ لقلا عن الاصياء

١٩٢/٤

(٢٢) فتوح مصر والخبراء - تأليف ابن القاسم عبد الرحمن بن ثوبه . الله بن عبد الحكم
ابن المترشى المصرى - تقديم وتحقيق محمد مسيح من ٤٤ .

نقل المسئولية مع الزهد :

كان عمر بن عبد العزيز مع شدة زهده كثير البكاء خشية محاسبة الله له عن حقوق الناس قبله ومنها حقوقهم من بيت المال :

فقليل له : ما يبكيك ؟

قال : تلوموني أن أبكي - ولو أن شأة هلكت على شاطئ الفرات لأنك بها عمر يوم القيمة (٢٣) .

رسالته زوجته مرة - وقد أشتد عليه البكاء - ما يبكيك يا عمر ؟

قال : ويبحك يا فاطمة أني نظرت - فوجدتني قد وليت أمر هذه الأمة صغيرها وكبیرها وأسودها وأحمرها ففكرت في الفقير الجائع والمريض الصائم والعاري المهدد واليتيه المكسور والمظلوم المتهور والغريب والأسير والشیخ الكبير والأرملة الوحيدة وذى العیال الكبير والرزق القليل وأشياهم في أقصى البلاد وأطراف الأرض .

تعلمت أن الله سائل يوم القيمة عنهم وأن محمدًا صل الله عليه وسلم حجيبي فيهم وخصي دونهم يومئذ .. فخشيت أن لا يتبيت لي عند الله عذر ولا يقوم لي مع رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة .. فخفت على نفس خوفاً ودمعت له عيني ووجل له قلبي (٢٤) .

وسبق أن بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حول المسئولية حينما كثرت في عهده الأموال العامة وقد خشى أن يكون الله يختبره بهذه الأموال وينظر هل يعطي الناس حقوقهم منها ويعدل في المطماء من عدمه .

فيقول ابن عباس : دعائى شعر فإذا حصير بين يديه عليه الذهب
منثوراً نثراً المثا (التبن) .

فقال : هل فاقيس بين قومك فالماء أعلم حيث حبس هذا عن نبيه صل الله عليه وسلم وعن أبي بكر واعطائه ، الخير أراد بذلك أو الشر ؟

وقال ابن عباس : فما كسبت أقسم فسمعت البكاء فإذا عمر يبكي .

ويقول في بكائه : كلاً والذى يعشه بالحق . ما حبس هذا عن نبيه وعن أبي بكر أرادة الشر بهما وأعطاه عمر أرادة الخير به (٢٥) .

(٢٣) سيرة عمر - ابن الجوزي - مرجع سابق من ١٩٢ .

(٢٤) ابن الجوزي - سيرة عمر من ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢٥) الأمثال لأبي عبد - مرجع سابق من ٣١٩ .

ويذكر أيضا أبو عبيدة بن الجراح خشية أن لا يقوم له حجة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . بسبب السعة من الأموال العامة . فقد دخل داخل على أبي عبيدة بن الجراح القائد العام لجيوش الشام ووجده يبكي فلما سئل .

قال : يبكيتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما يفتح على المسلمين حتى ذكر الشام .

فقال : إن نسأ الله في أجلك فحسبك من الخدم ثلاثة ، خادم يخدمك و خادم يسافر معك و خادم يخدم أهلك . و حسبك من الدواب ثلاثة . دابة لرحلتك و دابة لتكلك و دابة لغلامك .

ثم قال أبو عبيدة : ثم هاتنا أفترى على بيتي قد امتلا رقينا والى مر بيتي قد امتلا خيلا فكيف ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها . وقد أوصانا أن أحبكم الى وأقربكم مني من لقيتني على مثل الحال التي فارقتكم عليها ، (٢٦) .

رفض رئيس الدولة الهدایا

رفض عمر بن عبد العزيز الهدایا :

كان عمر بن عبد العزيز يرد الهدایا التي ترد له ولو كانت من أهل بيته .

فيروى أن رجلا من أهل بيته أهدى تفاحا فاشتتهم ثم رده مع الرسول الذي حضر بالهدایة .

وقال له : قل له « للهدي » قد بلغت محلها .

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدایا ، وهذا رجل من أهل بيتك .

فقال : إن الهدایة كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية . فاما نحن فهي لنا رشوة (٢٧) .

(٢٦) احمد بن حنبل امام اهل السنة - للاستاذ عبد المليم الجندي - طبعة - المجلس الأهل للطبون الإسلامية ، من ١٤٤ .

(٢٧) عمر بن عبد العزيز ، ابن المؤذن من ١٦٠ وردت بكتاب عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب من ٩٦ .

وفضي عمر أموال هدية لأولاده بعد وفاته :

لما مرض عمر مرض الموت دخل عليه مسلمة بن عبد الملك .
فقال له : أوصني يا أمير المؤمنين .
قال عمر : مالي من مال فأوصي به .

قال مسلمة : هذه مائة ألف دينار فأوصي فيها بما أحببت .

قال عمر : أو خير من ذلك يا مسلمة أن تردها من حيث أخذتها

قال مسلمة : جزاك الله عنا خيرا يا أمير المؤمنين ، والله لقد أنت

لنا قلوبنا قاسية وجعلت لنا ذكرا في الصالحين (٢٨) .

ويبيّن من زعده عمر ورفضه قبول الهدايا أن زعده كان شاملاً وتفقهه
عن الأموال كان كاملاً وكان في ذلك يصون الأمانة التي حملها وينفذ
ما تباه إليه رسول الله صل الله عليه وسلم من أخذ الإمارة بحقها وخشى
الغلوّ الذي خدر منه كما يتبيّن من الأحاديث التبويّة التالية :

ـ فالرسول صل الله عليه وسلم يوضح طبيعة الإمارة ومسئوليّتها
هي حديث جرى بيته وبين أبي ذر :

قال له : يا رسول الله أمرني

فقال : إنها إمامة ، وإنها حسرة وندامة يوم القيمة إلا من أخذها
بحقها وأدّى الذي فيها (٢٩) .

ومن الأمانة أن يعف الأمير عن الأموال العامة ومنافعها بغير حق
تفعّلها شاملاً كاملاً .

ـ ويعتبر الرسول صل الله عليه وسلم أن تجاوز الأجر المحددة
من الدولة إلى غيرها من الأموال والمنافع العامة غلوّ وحرام يائمه به آخذه .
فإذا حدّت الدولة للأمراء مرتبات لقاء أعمالهم للدولة وتجاوزوها كان
ما أخذوه زيادة عنها غلوّ .

فيقول الرسول صل الله عليه وسلم : من استعملته على عمل
فرزقناه بما أخذ بعده فهو غلوّ ، (٣٠) .

(٢٨) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبن عبد الحكم - تعليق أسد عبيد - طبعة الثانية
ص ١٠٠ .

(٢٩) الأموال لأبن عبيد ص ١١ .

(٣٠) للتفصيّب من السيرة التبويّة الفريدة عدد ٣٦ للمجلد الثاني ص ١٠٠١ وص ١٠٠١
هديّة مجلة متبرّر الإسلام .

— يقول جل وعلا « ومن يغلو يات بما غلو يوم القيمة » (آل عمران/من ١٦٦) .

وكان الرسول صل الله عليه وسلم يحذر من الغلو ويوضح أن الذين يغلوون يوم القيمة تعحيط بهم الأموال التي غلوها وتصدر أصواتاً تفطحهم فيستغيثون برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يغشهم لأنهم مذمومون في الدنيا .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه — قال :

قام فينا النبي صل الله عليه وسلم فذكر الغلو وعظم أمره ، قال لا الذين أحذكم يوم القيمة على رقبته شاة لها نفأه (صوت الشاه) على رقبته فرس لها حسحة (صوت الفرس اذا طلب علفه) .

يقول يا رسول الله أغثني ، فاقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، وعل رقبته صامت (الذهب أو الفضة) فيقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك شيئاً قد أبلغتك او على رقبته رقاح تتحقق .

فيقول : يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك شيئاً قد أبلغتك » (٣١) .

ولا شك أن الأموال العامة التي وردت في حديث رسول الله صل الله عليه وسلم وردت على سبيل المثال وليس على سبيل المحرر فآية أموال عامة أخرى لم يشملها حديث الرسول صل الله عليه وسلم وآية أموال عامة حديثة لم تكن موجودة أيام الرسول صل الله عليه وسلم يسرى عليها نفس الحكم بالقياس ، ولو كانت الأموال التي غلت قليلة القيمة زعيدة المقدار .

— فقد حدث أن ترك رسول الله صل الله عليه وسلم بروادي القرى لما انصرف الجيش من خيبر وكان منه غلام ، فاتى الغلام سهم لا يسدى راميه فاصابه فقتله .

فقال الصحابة : هبئنا له الجنة .

فقال رسول الله صل الله عليه وسلم : « كلاماً » والذى نفس محمد بيده ان شملته الان لترق عليه في النار (وكان غلوا من في المسلمين يوم خيبر) .

فسمع رجل من أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم فأنه .

فقال : يا رسول الله أصبت شراكين لتعلين لي .

(٣١) صحيح البخاري — جزء ٢ — اصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية س ١٣٤ .

فقال : يقدر لها مثلها في النار (٣٢) .

ـ كما ان الرسول صل الله عليه وسلم منع الولاة من أخذ الهدايا .

روى في الصحيحين عن أبي سعيد الساعدي قال :

استعمل النبي صل الله عليه وسلم رجالاً من الأذى على الصدقة .

فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى إلى .

فقال النبي صل الله عليه وسلم : ما بال الرجل تستعمله على العمل

ما ولا نا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدى إلى . فهلا جلس في بيته ابيه

أو بيته امه فينظر أيهدي اليه أم لا » (٣٣) .

اعلان أن الأموال العامة أموال الشعب

الأموال العامة من الشعب وإليه .

مصدر الأموال العامة هو الشعب ، فهو يقوم بسداد الإيرادات العامة للدولة . وفي المالية العامة الإسلامية تكون حصيلة الزكاة وهي من المسلمين والجزية والمراج من أهل الكتاب وعشور التجارة من المارين من أهل المرب بدواني الدولة الإسلامية وهذه واجة ضرائب أخرى تفرضها الدولة يتحملها الأفراد ويستقطبونها من أموالهم ويؤدونها لخزانة بيت المال ، والوظيفة الأولى للحكومة واجهزتها أن تؤدي الخدمات العامة من دفاع وامن وعدالة وتعليم وصحة وغيرها للشعب . وتنفق عليها مما تجمع من أموال عاممة .

الأموال العامة اذن هي أموال الشعب وتعود اليه في شكل تكاليف الخدمات العامة التي تؤدي اليه ، وحتى القروض العامة التي تفرضها الدول لتمويل العجز في النفقات العامة تعتبر أيضاً من أموال الشعب لأن الأفراد من الأجيال الحاضرة والمستقبلة يتحملون تكاليف هذه القروض .

والواجب دائماً أن تعلن هذه الحقيقة على المواطنين حتى تستقر في وجدانهم فيحافظوا على الأموال العامة ويصونوها من الالتفاف والضياع والاعتداء . ويعاسبوا من يبدئهم هذه الأموال العامة اذا أساءوا استخدامها ولم يرشدوا عملياتها وخالفوا مسارها السليم المستقيم . وتكون المحاسبة بمحنة مباشرة او بمحنة ممثلهم في المجالس التأسيسية المركزية منها وال محلية .

(٣٢) من أخلاق النبي - د. احمد محمد المؤمن - ثالثاً عن مسند أحمد من ٣٤ .

(٣٣) المنتخب من السنة النبوية التسلسلية عدد ٣٦ المجلد الثاني مدينة مجلة مثير الاسلام من ١٠٠٧ .

اعلن عمر بن عبد العزيز أن الأموال العامة أموال الشعب في أحدي خطبه فأوضح أنه منع نفسه عن المال العامة لأنه ليس ماله وأنه لم يضمن به على الشعب لأن المال العام ماله فقال : « أيها الناس .. لا واني منحت نفسي وأهل بيتي هذا المال ، فان حسنت به عنكم ، انى اذا لضتين » (٣٤) .

المال مال الله والشعب مستخلف عليه :

وتوكيد المالية العامة الإسلامية هذا المفهوى . فيعتبر الإسلام أن المال عموماً ومنه المال العام مال الله وأن الناس مستخلفون عليه . وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

« وآتوكم من مال الله الذي آتاكم » (النور/من ٣٣) .

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لم يجر كثير » (الحديد / ٧) .

فالشعب أذن مستخلف على الأموال ، فإذا أطاع الله وأولي الأمر وأدى ما عليه من فرائض بيت المال ، كان على الحكومة وهي وكيلة من الشعب أن يستقر في يقينها أن المال مال الله وأن الشعب مستخلفها عليه وأن عليها أن توجهه لتحقيق المصلحة العامة التي هي في النهاية مصلحة الشعب ، وعلى الشعب كذلك أن يعرف أن المال مال الله وأن الله استخلفه عليه وأنه مما يدخل في نطاق الاستخلاف أن يراقب الأموال العامة التي جنتها منه الحكومة ويتأكد من أنها تدار إدارة رشيدة .

ترشيد الإنفاق العام

المقصود بترشيد الإنفاق العام :

يقصد بترشيد الإنفاق العام أن يكون خالياً من الاسماف والتقتير . فالاسماف إنفاق بغير عائد فهو مضيعة للأموال . والتقتير جبن للناس عن تحقيق منفعة مشروعة . ويدعو الله جل وعلا إلى خلو إنفاق الأموال من التقييدتين فيقول :

« والذين اذا أنفقوا لم يسرقوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » (الفرقان / ٦٧) .

(٣٤) سيرة عمر بن عبد العزيز - ابن عبد الحكم ص ٣٦ .

ومن عوامل ترشيد الإنفاق العام أن توجهه الدولة طبقاً لأولويات تقوم على ترتيب أوجه الإنفاق على أساس ما تتحققه للمصلحة العامة ، فكلما كان الإنفاق العام على وجه معين من وجوه الإنفاق العام أكثر تحقيقاً للمصلحة العامة ، كلما كان له الأولوية في الترتيب ، وتبدو أهمية ترتيب وجوه الإنفاق العام إذا كانت الماليات العامة للدول تسفر عن عجز مالي تزيد فيه النفقات العامة عن الموارد العامة فيكون عليها أن تبدأ بالإنفاق على الأهداف الأكثر أهمية .

ونوضح فيما يلى نماذج من ترشيد الإنفاق العام الذى أجراه عمر بن عبد العزيز .

ترشيد اعتمادات انتقال رئيس الدولة :

ما رجع عمر بن عبد العزيز من جنازة سليمان بن عبد الملك آتواله براكب الخلافة ليركبها فامتنع عن ذلك وأشار يقول :

فلولا الثقل ثم النهي خشية الردى لما صببت في حب الصبا كل زاجر قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى له صبوة أخرى الليالي الغواير ثم قال : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، قدموا إلى يغلتي .

ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفة من يريد وكانت من الخيول الجياد الشمنة ، فباعها وجعل المائتها في بيت المال (٣٥) .

ترشيد اعتمادات حراسة رئيس الدولة :

منع عمر بن عبد العزيز حراسه من القيام له وقال له :

« لا تبتعدون بالسلام ، الما السلام علينا لكم .. وان بي عنكم لغنى ، كفى بالقدر حاجزا ، وبالأجل حارسا ومع ذلك لا اخر جكم من مراتبكم ولا اقطع أرزاقكم .. من أقام منكم فله عشرة دنانير ، ومن شاء فايلحق باهله وذويه (٣٦) .

الفاء نفقات البلاط :

في أول عهده عمر عرضت عليه الجواري والوصيفات من نازلات البلاط ، كى يختار منهاهن وصيفات قصره وسلطانه .

(٣٥) عمر بن عبد العزيز - ابن كثير من ٦١ .

(٣٦) سيرة عمر - ابن الجوزي من ٩٨ .

فجعل عمر يسائلهن واحدة واحدة : من أنت وكيف أخذت ؟ وينادي عمر « مزاحم » ويطلب منه أن يرسل كل واحدة متنه إلى بلدها وذويها (٣٧) .

ترشيد وتعزف عن المال العام :

— دخل عمر بن عبد العزيز يوما على امرأته فسالها أن تقرضه درهما أو فلوسا يشتري له بها عنبا فلم يجد عندها شيئا .

فقالت له : أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتك ما يشتري به عنبا .

فقال : هذا أيسر من معالجة الأخلاق والاتكال خدما في نار جهنم (٣٨) .

— بعث يوما غلامه ليشوى له لما فجأه بها سريعا مشويا .

فقال له : أين شويتها .

قال : في المطبخ

قال : في مطبخ المسلمين ؟

قال : نعم .

قال : كلها فاني لم أرزقها فهي رزقك .

— وسخنوا له الماء في المطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم حطبا لبيت المال (٣٩) .

— وكان له سراج يكتب عليه حوالجه وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين ، لا يكتب على حسوته لنفسه حرفا (٤٠) .

ترشيد اعتمادات الأضحة :

ووجد عمر فيما وجد من مخلفات سليمان بن عبد الملك رسائل من عامله على المدينة محمد بن حزم يطلب حصة من الشحنة كالتى كانت لأمراء من قبله ، وكان عمر لما ولى أمر المسلمين قد أبقاه لعلمه وتقنه وعدله وحكمته وكما طلب محمد بن حزم كذلك من سليمان قراطيس (أوراق لحوالج المسلمين) .

(٣٧) المرجع السابق من ٥٠ .

(٣٨) عمر بن عبد العزيز لاين كثير القرشى - تقديم وتعليق احمد الشرباصى من ٧٧ ، ٧٦ .

فكتب عمر إليه :

أما بعد ، فقد قرأت كتابك إلى سليمان تذكر فيه أنه كان يقطع
من قبلك من أمراء المدينة من الشمع كذا وكذا يستضيفون به في
مخرجمهم ، فابتليت بجوابك فيه ، ولعمري لقد عهدتك يا ابن حزم وانت
تخرج من بيتك في الليلة الشاتمية المظلمة بغير مصباح ، ولعمري أنت
يومئذ خير منك اليوم ، وقد كان في قنديل أهلك ما ينتيك ، ثم قرأت
كتابك إلى سليمان تذكر فيه أنه كان يجري على من كان قبلك من أمراء
المدينة من القرطيس (الورق) لحوائج المسلمين كذا وكذا فابتليت
بجوابك فيه . فإذا جاءك كتابين هذا فاذا القلم ، وأجمع الخط ، وأجمع
الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة ، فإنه لا حاجة للمسلمين في فضل
قول أضر بيبيت مالهم – والسلام عليك (٤١) .

تشييد الإنفاق العام على الأدوات الكتابية للدولة :

مات ابن لحمر بن عبد العزيز فكتب له عامل يعزيه عن ابنه :

فقال عمر لكتابه : أجبه عن .

فأخذ الكاتب يبرى القلم .

فقال عمر للكاتب : أدق القلم فإنه أبقى للقرطاس وأوجز
للحرف (٤٢) .

تشييد الإنفاق العسكري :

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز سحب جيشاً للدولة كان مرابطًا
حول أسوار القدسية بعد ما تبين له سوء حالة الجيش وبذلك رشد
الإنفاق العسكري ما دام لم يكن هناك أمل في تحقيق أي نصر .

وحيثما يتوقف مدى الترشيد الممكن أن يتحقق في الإنفاق العسكري
على عوامل عدّة منها درجة التوتر العالمي والعنف السائد في الدول المحاطة
ومدى الاستعداد العسكري لتلك الدول والسوق التي تستهوي منها
الأسلحة وأسعارها مع مراعاة أن خفض الإنفاق العسكري قد يؤدي إلى
تأثير الأنشطة الاقتصادية الأخرى وحدوث حالة من البطالة في حالة

(٤١) خاتم الراشدين عمر بن عبد العزيز – سلسلة مقالات بجريدة الأهرام بتاريخ ٢١/٨/٨٥ لعبد الرحمن الشرقاوى .

(٤٢) الطبرى جزء ٦ – من مرجع سابق ص ٥٧١ .

الاستغناء عن بعض القوات وقلة الطلب على السلاح التي تستهلكها هذه القوات المسلحة .

ومع ذلك فيظل بعد مراعاة الموارد السابقة الباب مفتوحاً لترشيد الإنفاق العسكري عن طريق ترشيد الكلم والجمجم العسكري بترشيد عدد القوات المسلحة وأسواع أسلحتها وتكلفة العناصر الإدارية بها ومحو الاعراف والغافد والتکاليف الضائعة نتيجة عدم اكتمال التنظيم والإدارة .

منع عطاء الشعراء من مال الدولة :

لما استخلف عمر بن عبد العزيز وقف أحد الشعراء على بابه فقال عمر ليس لنا في شعراً ماربٌ • (٤٣)

وكان الشاعر يقفون ببابه شهراً لا ياذن لهم ويقول « ليس لهم في بيت المال حق » • (٤٤)

وكان يذكر لكل منهم ما قاله من شعر مخالف لما الحق والفضيلة وما ذكره عن الأخطل قوله :

ولست يأكل لجسم الأنساج
قبيل الصبح حتى على الفساح
واسجده عند منيل الصباح (٤٥)
ولما تشفع القبيه الورع « عوف بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
الهذلي » في دخول الشاعر جرير على عمر بن عبد العزيز فدخل جرير
وهو يقول :

جعل الخلافة في امساك عادل
حتى ارعنوا واقام ميل المائل
لابن السبيل وللقفير العائل
والنفس مولعة بحب العاجل (٤٦)

ان الذي بعث النبي محمد
وسع الخلائق عدله ووفاؤه
والله انزل في القرآن فريضة
ان لا ارجو منك خيراً عاجلاً

فقال عمر : ويحيك يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقاً ، فانشد
جرير يقول :

ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
فمن حاجة هذا الأرمل الذكر (٤٧)

(٤٧،٤٦،٤٥،٤٤،٤٣) من كتاب عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - وردت
في المخطوطات من ١٣٥ حتى ١٣٩ - طبعة دائرة الفكر العربي .

فقال عمر : يا جرير أمن أبناء المهاجرين أنت تعرف لهم خفهم ،
أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم ، أم من فقراء المسلمين فنامر
صاحب صدقات قومك ، فيصلك بمثل ما يصل به قومك ؟

فقال جرير : يا أمير المؤمنين ، ما أنا بواحد من هؤلاء ، وإنى لمن
أكثر قومي مالا ، وأحسنتهم حلا ولكنني أسا لك ما تعودت عليه من الخلفاء :
اربعة آلاف درهم وما يتبعها من كسوة وحملان .

فقال له عمر : كل أمرى يلقى فعله ... أما أنا فما أرى لك في مال
الله حقا (٤٨) .

ـ هذا وتظهر في المواريثات العامة الحديثة لبعض الدول اعتنادات
تخصص للاتفاق على تهضيمة الثقافة العامة وتشجيع فروعها ومنها الشعر ،
ولا ترتيب على ذلك ما دام الشعر يرتبط بالحق والفضيلة ، فالشعر عن
والفنون الصالحة غير الهابطة أو المسفة تهذب النفس وتسمو بالشاعر
وتجمل الحياة .

ولا يتعارض ذلك مع أصول الدين ولا يهدى قوله تعالى مخبرا
عن نبيه محمد صل الله عليه وسلم « وما علمناه الشعر وما ينبغي له
ان هو الا ذكر وقرآن مبين » (يس / ٦٩) .

وتفسير ذلك ان الله لم يعلم رسوله الشعر ولا هو في طبعه ولا
يحسنه . غير انه ثبت في الصحيح انه صل الله عليه وسلم تسئل يوم
حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ولكن تبعا لقول
اصحاحه رضي الله عنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون :

اللهم لولا أنت ما اهتمينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لا قينا
ان أولاء قد بدوا علينا اذا أرادوا فتنة ابينا
فكان صل الله عليه وسلم يرفع صوته ويقول « أبينا » ويمدّها .

وقد ثبت كذلك انه صل الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب
البصلة يقدم بها نحو العدو :

انما النبى لا كسب لـ انا ابن عبد المطلب

(٤٨) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام - من ١٣٨ - ١٤٠

ولكن ذلك وقع انفاقا من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان
من غير قصد إليه فقد كانت سجية صل الله عليه وسلم تابي مناعة
الشعر طبعا وشرعا (٤٩) .

وقد قال صل الله عليه وسلم :

« لأن يسئل جوف أحدكم قيحا خير له من أن يسئل شعرا » (٥٠) .

ولا يسرى ذلك على الشعر المشروع ، كهجاء المشركين وشعر الحكمة
وشعر الموعظ .

نرشيد الإنفاق العام بترتيب أولوياته :

أوضحنا أنه لا يتم الإنفاق العام على الشعب وخدماته بطريقة عشوائية
بل ينبغي أن يكون طبقا لأولويات واضحة يتم فيها المماضلة بين أنواع
الإنفاق المختلفة وتفضيل أكثرها أهمية والأخذ باعلاما عائد على الوطن
والمواطنين .

وقد أخذ عمر بن عبد العزيز يحدد المماضلة بين وجوه الإنفاق
المختلفة . فقد استاذه يوما واليه على المساجز في صرف مبلغ كبير لكسوة
الكعبة ، فكان جواب عمر له :

أني أرى أن أجعل هذا المال في أكباد جائعة فانها أولى بها من الكعبة .
فالإنفاق العام على اطعام الفقراء وغذاء المساكين له أولوية تفضله
على الإنفاق على كسوة الكعبة (٥١) .

(٤٩) أخرجه الإمام أحمد عن ابن حمزة مرفوعا .

(٥٠) مختصر تفسير ابن كثير - اختصار وتحقيق محمد على الصابوني - المجلد الثالث
من ١٦٩ - ١٧٠ .

(٥١) عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد من ١٣٩ .

نماذج من الإنفاق العام في عهد عمر بن عبد العزيز

طبيعة الإنفاق العام في عهد عمر بن عبد العزيز :

قامت المالية العامة الإسلامية في عهد عمر بن عبد العزيز بتمويل جميع النفقات العامة التي طلبتها إدارة الدولة وأداء الخدمات العامة التي كانت تقوم بها الحكومات في ذلك الوقت ، فلم تكن الحكومات تؤدي جميع الخدمات العامة التي تقوم بها حاليا في ظل السياسات التدخلية ، بل اقتصر الأمر على الخدمات العامة الرئيسية التي تختص بها الحكومات ، كخدمات الدفاع والأمن الداخلي وإقامة العدالة بين المواطنين بجانب الإنفاق على المشروعات العامة التي كانت تتفق مع طبيعة ذلك العصر ، مع مراعاة أنه في المالية العامة الإسلامية كما سبق أن أوضحنا تقوم موازنات الزكاة وخمس الغنائم بوجوه اتفاق مخصوصة تحقق خدمات عامة اجتماعية للطبقات الضعيفة في المجتمع .

وفيما يلي نماذج من الإنفاق العام على إدارة الدولة والخدمات والمشروعات العامة في عهد عمر بن عبد العزيز :

الإنفاق على أجور العاملين بالدولة :

تتضمن الاعتمادات العامة التي تنفقها الدولة جزءاً هاماً كأجور العاملين تدرجها بموازتها العامة السنوية ، وقد اتجه عمر بن عبد العزيز في تحديد الاعتمادات الازمة لأجور العاملين بالدولة الإسلامية في عهده على أساسين :

الأساس الأول : تحديد أجر عالي للعاملين :

يدرك ابن كثير أن عمر بن عبد العزيز كان يوسع على عماله في النفقة ، يعطى الرجل منهم في الشهر مائة دينار ومائتي دينار وأكثر وكان يبرر ذلك بأنهم إذا كانوا في نهاية تفرغوا لأشغال المسلمين (١) .

وعلاوة على اتقان الأعمال التي توه عنها عمر بن عبد العزيز ، فإن جزالة إثابة العاملين تخصهم من التطلع لأى إغراءات تعرض عليهم كثيرون الهدايا من أصحاب الحاجات والرشاوي . من لهم أعمال متصلة بالدولة .

ولذلك فإن الدول حديثاً تزيد مرتباتهم في فترات التضخم الاقتصادي عندما ترتفع الأسعار حتى لا تتناقص القوة الشرائية لما يحصلون عليه من مرتبات . كما أن موازنات الدول تتضمن ملحوظات أخرى للمرتب الأساسي كالأجر نظير أي عمل إضافي يقومون به والمكافآت لاثابة المميزين منهم في أداء الأعمال وتکاليف نظم للمعاشات تمنع لهم عند تقادمهم ومبانع لاستغاثة بنظام للعلاج حين مرضهم ، كما تسرج الدول في موازناتها كذلك اعتمادات لرداية نفقات أنفقوها من أموالهم في سبيل العمل .

وقد أشار أبو عبيدة البراح على عمر بن الخطاب برفع أجر الولاة عندما اختار أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم لتولى الولايات . فجرى بينهما الحديث التالي :

قال أبو عبيدة : دنست أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم .

فقال له عمر : يا أبا عبيدة إذا لم أستعن بأهل الدين على سلامه ديني فبمن أستعن ؟

فقال له عبيدة : أما إذا فعلت فاغتنهم بالسالة عن الشيارة . (أى إذا استعملتهم على شيء فاجزل لهم في العطاء والأجر حتى لا يحتاجون) (٢) .

الأساس الثاني : عدم ازدواج الانفاق العام على العاملين :

أمر عمر بن عبد العزيز بعدم اعطاء العاملين الرزق من جهتين فلييس لأحد أن يجمع بين عطاءين أو يحصل على أجورين وراتبين (٣) .

(١) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - « مرجع سابق » - ص ٩٠ - وقد سبق أن أشرنا لذلك عند التدوين من زمام عمر بن عبد العزيز .

(٢) البراج لأبي يوسف - مرجع سابق ص ١١٣ .

(٣) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام ص ٨٠ نقلاً عن ابن عبد الحكم وأبي الجوزي .

ومن مزايا هذه السياسة أن تتيح الفرص لفتح باب المعالة لعدد أكبر من العاملين وترشد الإنفاق العام ، فلا تتحمل الموازنة العامة بأعبور لا مبرر لها خلص أعمال لا ضرورة لها قد يوهم من بيدهم الأمر لزومها لنشاط الدولة بغية الحصول على أجور زائدة فوق مرتباتهم الأساسية بغير حق .

الفارق على مشتريات الدولة :

يوضح ما يلي الفساق الدولة على مشتريات لها في عهد عمر بن عبد العزيز .

كتب الوليد بن عبد الملك إلى أسامة بن زيد التتوني وكان واليا على خراج مصر أن يشتري له فلولا بعشرين ألف دينار ليهديه إلى صاحب الروم فاشتراء من أحد تجار مصر وهو موسى بن وردان ولم يدفع الشحن فذهب إلى عمر بن عبد العزيز ليطلب ما باعه فأمر له بها .

ويحدثنا موسى بن وردان عن ذلك فيقول :

دخلت على عمر بن عبد العزيز تحدثته بآحاديث عن أدركته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عنده بمنزله أدخل إذا شئت وأخرج إذا شئت فكنت أحدثه عن أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته الكتابة إلى حيان بن سريج في عشرين ألف دينار أستوفيها من ثمن فلفل ليكتب إليه بدفعها إلى :

فقال لي : ولمن العشرون ألف دينار .

قلت : من لي .

قال : ومن أين من لك .

قلت له : كنت تاجرًا .

فضرب بمحضرته ثم قال : التاجر فاجر والفارج في النار .

ثم قال : أكتبوا إلى حيان بن سريج .

فلم أدخل عليه بعدها وأمر حاجبه أن لا يدخلني عليه (٤) .

وكان البيت الذي خزن فيه المفلل ملكاً للدولة بناء قيس بن سعد ابن عبادة ، حينما لاه على بن أبي طالب على مصر ثم عزله فكان الناس يقولون أن البيت بيته فلما ذكر له ذلك .

قال : أى دار لى بمصر ؟

لذاكروا له . .

قال : الـما تـلك من مـال الـمسلمـين لا حـق لـى فـيهـا .

ولـا حـضـرـتـه الـوـقـاـة أـوـصـي فـقـالـ : أـلـي كـنـتـ بـنـيـتـ دـارـا بـمـصـر وـأـنـا
وـالـيـهـا وـاسـتـعـنـتـ فـيـهـا بـمـعـونـةـ الـمـسـلـمـينـ فـيـنـ الـمـسـلـمـينـ يـنـزـلـهـاـ وـلـاـتـهـمـ (٤) .

وـبـذـلـكـ تـنـزـهـ عـنـ أـخـذـ بـيـتـ بـنـيـ بـمـالـ الـدـوـلـةـ وـلـمـ يـمـيلـهـ عـنـ الـحـقـ
اعـتـقـادـ النـاسـ أـنـ الـبـيـتـ بـيـتـهـ .

الـفـاقـ عـلـىـ تـعـوـيـضـاتـ مـنـ الـدـوـلـةـ :

وـفـيـما يـلـىـ الـفـاقـ عـلـىـ تـعـوـيـضـ لـوـاـطـنـ لـحـقـهـ ضـرـرـ مـنـ الـدـوـلـةـ :

تـدـرـجـ الـدـوـلـةـ بـمـوـازـنـاتـهـ الـعـامـةـ السـنـوـيـةـ اـعـتـمـادـاتـ لـمـقـابـلـةـ أـيـةـ
تـعـوـيـضـاتـ تـلـزـمـ بـهـ بـسـبـبـ أـضـرـارـ تـقـعـ مـنـ الـعـامـلـيـنـ بـهـ عـلـىـ النـاسـ وـتـكـونـ
عـادـةـ بـنـاءـ عـلـىـ حـكـمـ مـحـكـمـةـ ، أـوـ تـنـفـيـذـاـ لـبـنـودـ عـقـودـ بـيـنـ الـحـكـوـمـةـ وـالـغـيـرـ بـنـصـ
فـيـهـاـ عـلـىـ تـعـوـيـضـاتـ لـلـغـيـرـ عـلـىـ الـدـوـلـةـ فـيـ حـالـةـ وـقـوعـ أـضـرـارـ ، وـقـدـ تـدـفعـ
هـنـهـ تـعـوـيـضـاتـ بـالـتـرـاضـيـنـ بـيـنـ الـحـكـوـمـةـ وـالـغـيـرـ ، فـتـدـفـعـ الـدـوـلـةـ تـعـوـيـضـاتـ
مـتـىـ اـتـتـعـدـتـ بـوـقـوعـ الـضـرـرـ وـهـذـاـ مـاـ فـعـلـهـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ .

فـقـدـ شـكـاـ إـلـيـهـ رـجـلـ .

فـقـالـ : زـرـعـتـ زـرـعاـ فـمـرـ بـهـ جـيـشـ مـنـ جـنـدـ الشـامـ فـأـفـسـدـهـ .

فـعـوـضـهـ عـمـرـ مـنـ بـيـتـ الـمـالـ (٥) .

الـفـاقـ عـلـىـ التـعـلـيمـ :

كـانـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ يـهـتـمـ بـالـعـلـمـ وـالـعـلـمـاءـ وـالـتـعـلـيمـ وـمـنـ أـقـوالـهـ
فـيـ هـذـاـ الشـامـ :

• أـنـ اـسـتـطـعـتـ فـكـنـ عـالـمـاـ ، فـانـ لـمـ تـسـتـطـعـ فـكـنـ مـتـعـلـمـاـ ، فـانـ لـمـ
تـسـتـطـعـ لـأـجـبـهـمـ - يـعـنـيـ الـعـلـمـاءـ - فـانـ لـمـ تـسـتـطـعـ فـلـاـ تـبـخـضـهـمـ ،

(٤) فـتـرـجـ سـرـ وـالـبـارـحاـ - تـالـيـفـ أـبـيـ الـقـاسـمـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ الـكـرـمـ بـنـ
أـبـيـ الـقـرـشـ - تـلـدـيـمـ وـتـنـحـيـلـ مـحـمـدـ مـصـبـحـ مـنـ ٧٣ - ٨٤ .

(٥) المـرـاجـ لـأـبـيـ يـوسـفـ - مـرـجـ سـابـقـ مـنـ ١١٩ .

« تعلموا العلم فانه زين للغنى وعون للقبر ، لا أقول انه يطلب به ولكن يدعو الى القناعة » (٦) .

« ان للإسلام حدوداً وفراطها وشرائع وسننا ... فمن استكملاها استكملا الإيمان ومن لم يستكملاها لم يستكملا الإيمان - فان اعشن بينكم ابینها لكم وأعلمكموها وأحصلكم على العمل بها ... وان مت فما أنا على صحيحتكم بحريص » (٧) .

ولذلك كان ينفق من بيت المال على تعليم الشعب ومنهم أهل البدو .

فقد بعث يزيد بن أبي مالك المشتى والحارث بن يمجد الأشعري يفهمن الناس في البدو وأجرى عليهم رزقاً من بيت المال ، فاما يزيد فقبلها وأما الحارث فابى ان يقبل .

فقال عمر : « انا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً وأكثر الله فيينا مثل الحارث بن يمجد » (٨) .

وبذلك اقر عمر قبولاً يزيد للأجر لأنه عن عمل يقوم به للدولة ، وتمني أن يكثرب الله من أمثال الحارث بن يمجد لأنه قام بالتعليم متقطعاً يبتغي الأجر من الله عز وجل .

وكان بعض العلماء يقومون بتعليم الناس مجاناً دون أجر ومنهم أحمد ابن حنبل الذي لم يقبل عطاء من الحاكم ، ومنهم من كان يأخذ ما يتقرر له من بيت المال ولكن يفرغها في الناس ومنهم ابراهيم بن طهمان فقد كان له جرابة من بيت المال ولكن كان يفرغها تورعاً في العلم (٩) .

ومن الانفاق على التعليم في عهد عمر بن عبد العزيز أنه كان يعطي من انقطع إلى المسجد الجامع في بلده وغيرها ونشر العلم وتلاوة القرآن في كل عام من بيت المال مائة دينار .

وما يتصل بالتعليم الانفاق من بيت المال على التشاطط الخاص بالترجمة ويعتبر عمر بن عبد العزيز من الأولئ في نقل العلوم من اللغات

(٦) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق احمد عبيه - مرجع سابق من ١٤٦ .

(٧) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب من ٨٧ . داين ابن كثير - تعليق احمد عبيه - مرجع سابق من ٥٤ .

(٨) الاموال لأبي عبيه - مرجع سابق من ٢٣٤ .

(٩) احمد بن حنبل - امام اهل السنة - استاذ عبد الحليم المنشي - من ١٥١ .

١٥٢

الأخرى إلى العربية ، فقد أمر بعض الروم فنقلوا كتاباً في الطب إلى العربية وأخرجه للناس (١٠) .

واعتم عمر بن عبد العزيز كذلك باصلاح اللسان العربي لما وجد اللحن يشيع في الأمة وكان يشجع الموالى (أهل البلاد المفتوحة) على تعلم اللغة العربية واتقانها ويفرق من بيت المال على من يتفوق فيها حتى أن بعض الموالى أصبحوا بلسان عربى مبيناً الصعوبات ببيانها من بعض العرب (١١) .

الاتفاق عام عسكري :

لم يكن عبد العزىز عمر بن عبد العزيز عبد فتوحات كما ذكرنا إلا أنه حدثت بعض المفاوضات اضطررته إلى أن يسير لها الجيش ومنها ما يلى :

— في سنة تسع وتسعين هجرية وبعد خلافة عمر بن عبد العزيز أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة ونالوا منهم ، فوجئ بهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الترك ، فلم يقلت منهم إلا بيسير فقتل منهم على عمر بخمسين أسيراً (١٢) .

— في سنة مائة هجرية خرجت حربة بالعراق . فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل العراق بأمره بأن يدعوهم إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فلما يستجيبوا بعث إليهم بجيشه فهزمه حربة . فبلغ عمر ابن عبد العزيز ببعثة إليهم مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام فلقيهم فنصره الله عليهم (١٣) .

ويتمثل الانفاق على أعداد هذه الجيوش اتفاقاً عاماً تم تمويله من بيت مال المسلمين .

الاتفاق عسكري لم يتم :

قد يتم الانفاق العام ومنه الانفاق العسكري . لحفظ كرامة المواطنين والمحافظة على معتقداتهم خصوصاً إذا ما كانت ستهدى من دولة أخرى ،

(١٠) الإمام الشافعى . أستاذ عبد الحليم الجندى . من ١٧٠ إصدارات المجلس الأعلى للقانون الإسلامية .

(١١) قال عن خامس الراهفين . عبد الرحمن الشرقاوى . بجريدة الاهرام من ١٢ لى ٨٥/٨/٢٨ .

(١٢) الطبرى جزء ٦ . المرجع السابق من ٥٥٣ . ٥٥٤ .

(١٣) الطبرى جزء ٦ . مرجع سابق من ٥٥٥ .

فإن لم ترعو هذه الدولة يتبعن ارغامها على ذلك بجميع القوى الممكنة ومنها قوة الجيش مع ما يتتكلفه ذلك من نفقات عامة تنفقها الدولة على إعداد الجيش وانتقاله وتمويله وغير ذلك من النفقات ، وهذا ما كاد يفعله عمر بن عبد العزيز .

فقد حدث أن أحد جنود الجيش الذي كان يحاصر القدسية وقع أسيرا في أيدي الرومان وكان هذا الجندي معروفا بشجاعته وصلابته وقوه ايمانه .

وحاول امبراطور الروم أن يكرهه على ترك دين الاسلام واعتناق النصرانية ، فلما أتى أحد يعذبه ويهدهد بفنا عينيه فتمسك الجندي بدينه .

فلما بلغ عمر كتب إلى امبراطور الروم مهددا :

« قد بلقني ما صنعت بأسيرك فلان .. واني أقسم بالله لئن لم ترسله إلى بمجرد وصول رسالتك هذه إليك لأبعثن إليك بجيش أوله عندك .. وأخره عندي » .

فرفض طاغية الروم وإعاد الأسير دون تردد أو ابطاء (١٤) .

النفاق عام على الحج :

كان من عادة الدولة الاسلامية ان تؤدى سنويا بعثة رسمية الحج ويصحبها المسلمون باعتباره أحد اركان الاسلام الخامس ، ففي عهد عمر بن عبد العزيز لم ي سنة تسع وتسعين وستة مائة مجرية حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل عمر على المدينة (١٥) وتحمل بيت المال النفقات العامة الالزامية في هذا الشأن .

النفاق عام على تدوين احاديث الرسول صل الله عليه وسلم :

من اهم الاعمال التي قام بها عمر بن عبد العزيز تدوين احاديث الرسول صل الله عليه وسلم .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد فكر في تدوين الحديث واستشئار الصحابة فأشئار به عامتهم فلقيت شهرا يستغفرون الله في ذلك ثم رأى العدول عن ذلك وترك كتابة السنن .

(١٤) سيرة عمر بن عبد المطلب ص ١٤٤ .

(١٥) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٥٤ .

وقال : « اني كنت ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم ثم .
تذكرت فإذا اناس من اهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله
كتبا فاكبوا عليها وتركتوا كتاب الله واني والله لا اليس كتاب الله يبني » .

وكانت سنة أربعين للهجرة سنة الفرقـة . فالآمـة كانت مع عـلـيـ الـمـعاـوـيـةـ وأـهـلـ الشـامـ وـكـانـتـ حـوارـجـ ضـدـ عـلـيـ وـمـعـاوـيـةـ وـمـنـ وـاـهـمـاـ . وـبـدـاـ التـشـيـعـ لـعـلـ وـبـيـنـهـ أـوـ لـبـنـيـ آمـيـةـ يـعـدـتـ أـثـرـهـ فـيـ تـأـوـيـلـ كـلـ فـرـقـةـ الـأـحـادـيـثـ لـصـلـحـتـهـاـ وـقـدـ اـتـخـذـتـ عـلـمـ دـقـةـ بـعـضـ الـأـحـادـيـثـ أـوـ ضـاعـاـ مـخـتـلـفـاـ .

فكان ينسب إلى النبي صل الله عليه وسلم ما لم يقله أصلاً استخفافاً وأفساداً كالزناقة وأشباههم أو تقلب الأسانيد وزيادة فيها أو ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض كلام الصحابة وغيرهم ومحكمة المكماه .

وكان الكذب قليلاً في عهد كبار التابعين ثم زاد في عهد مغارهم وتفاقم من بعدهم وفي أواخر المائة الأولى من الهجرة كان الكذب أكثر.

فقرر عمر بن عبد العزيز تجميع أحاديث الرسول صل الله عليه وسلم وتنقيتها مما اندرس فيها ، فاستشار العلماء فأيدوه معظمهم ، فكتب إلى محمد بن حزم أمير المدينة :

• انتظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته
او نحو هذا ما كتبه فانى ختم دروس (ضياع) العلم وذخاب العلماء •

وكتب إلى عماله كتاباً عاماً . انظروا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم خاجمعوه . كما شجع آل البيت على تدوين ما لديهم من أحاديث وكان يرى أن من أوثق الأحاديث هي ما رواه زين العابدين على بن الحسين بن أبي طالب عن أبيه عن جده النبي عليه الصلاة السلام ، ولما تم تدوين الأحاديث والسنن بعث عمر بن عبد العزيز إلى كل بلد له عليها سلطان دفتراً يحوى هذه الأحاديث . وبذلك ساهم في وقاية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الاندثار والتحريف (١٦) وكان ما قام به عمر خطوة أولية في التدوين ساهمت في استكمال التدوين بعد ذلك .

ولا شك أن أية نفقات عامة تكون قد انفقت على هذا العمل الجليل تم تمويلها من بيت مال المسلمين وان كان يرجع أن المساهمة في هذا العمل العظيم كانت معظمها تطوعا ابتعادا عن رضا الله جلا وعلا .

(١٦) أحمد بن سفيان أهل السنة ... للأستاذ عبد الحليم الجندي - ص ٢٠١ - ٢١٠ - ٢٢٠
الجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

الاتفاق على اصلاح السجنون :

ومن نماذج اصلاح المرافق العامة في عهد عمر بن عبد العزيز اصلاح نظام السجون وايواء المسجونين وكانت اى ثغرات لذلك من بيت المال وفيما يلي اجراءات الاصلاح التي تمت في عهده :

- لا يجمع بين قوم حبسوا في دين وبين أهل الدعاوة والفساد في سجن واحد وفي ذلك استجابة لقول الله جل وعلا :

« ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (الأنعام/من ١٥١) .

- جعل للنساء حبسها على حده مستقلة عن الرجال . وذلك تلبية لقول الله سبحانه وتعالى : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سببا » (الاسراء / ٣٢) .

- عهد بحراسة المساجين إلى من يومن بأمانهم ومن لا يرثى فان من ارثى صنع ما أمر به » (١٧) .

وبذلك منع ان تتحقق لعنة الله بكل من الراتش والمرتشى والراشى .

فمن ثواب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « لعن الله الراتش والمرتشى والراشى » الراشى أى الذي يسمى بيتهما .

القرار اتفاق عام على المسجد الأموي :

تعرض في المالية العامة حالات تتطلب التوسيع في الاتفاق العام لتحقيق مصلحة عليا للدولة . ويتعذر خفضه الاتفاق فيها . فتقر ما الدول خصوصا اذا كان هذا الاتفاق قد تم وأصبح أمرا واقعا . وقد صادف عمر ابن عبد العزيز حالة من هذه الحالات فاتحها لارتباطها بالمصلحة العليا للدولة .

فقد بني في عهد الوليد بن عبد الملك المسجد الأموي وبدأ في بنائه سنة ٨٨ هجرية واستمر بنيانه تسعة سنوات وقيل أن الوليد أتفق على عمارة المسجد خراج الملكة سبع سنتين وأن حساب ما اتفق عليه حمل على ثانية عشر بعير (١٨) وقيل كذلك ان الوليد أتفق أربستانة ألف دينار وأنه اجتمع في تركيب رخامة التي عشر ألف مرمى .

(١٧) سيرة عمر - ابن عبد البر م ١٤١ .

(١٨) موسوعة البلدان - شهاب الدين أبو عبد الله الحموي - مطبعة المسادة بالقاهرة ٧٦/٤ ت للأستاذ عاصي عبد العزيز - سعد عبد السلام م ٥٦ .

ويذكر الرواة أن المسجد قد بلغ من فن العمارة وعظمة البناء ما يجعل زائره يرى فيه كل يوم شيئاً جديداً .. فالجامع يبنى بالحجر والكلس .. وفصحت حوالته بالفسيفساء .. وقرش بالمرمر .. واقامت اعمدته من أفعى انواع الرخام ورصاص محابه بالجواهر الثمينة وسفر بالرصاص .. وكان يضاء بقناديل من الذهب والفضة وزخرف بانواع الزخرفة من الفصوص المذهبة والمرمر المصقول .. وتحت سره عمودان جززان بالحجرة لم يشاهد مثلها - يقال ان الوليد اشتراها بالف خمسمائة دينار . وفي المحراب عسودان صغيران يقال انهما كانا في عرش بلقيس وقيل أيضاً انه كان عند مذارته الشرقية حجر يقال انه قطعة من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً (١٩) .

ولما عانى الوليد في تكاليف بناء المسجد وزخرفته .

قال الناس : محق يبيوت الأصول في نقش الخشب ونزويس الحيطان (٢٠) .

فلما تولى عمر بن عبد العزيز امارة المسلمين استقر بهزمه على قلع الفسيفساء والرخام . ونزع السلسل الذهبية وكانت ستمائة سلسلة كما قيل لبيعها ويرد ثمنها إلى بيت مال المسلمين .

ولكن حدث أن زار أحد الروم المسجد في عهد عمر . وكان المسجد يحيب كل من رأه من شرق وغرب ، فخر الروم مغشيا عليه ، فلما أفاق سأله عن عرض له .

فقال : كنا معاشر أهل رومية نتحدث أن بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدة سبعمائة ، فلذلك أصابني ما أصابني .

فلما علم عمر بذلك ، ترك ما كان عازماً عليه (٢١) .

(١٩) سبع الأغنى ج ٤ من ٩٦ تللا عن المربع السابق من ٧٥ .

(٢٠) مسالك الأحسان : المجرى ج ١ من ١٩١ تللا عن المربع السابق من ٧٥ .

الباب السادس

اصلاح ادارة المالية العامة
في عهد عمر بن عبد العزيز

اصلاح سياسة عمالة الدولة في عهد عمر بن عبد العزيز

عهوميات عن النظام الاداري للدولة في عهد عمر بن عبد العزيز ١

– طبقاً للمبادئ الإسلامية فإن خليفة المسلمين هو رئيس الدولة وهو مستولٌ على الله والأمة عن مصالح المسلمين وحقوقهم وهو مستودع السلطة الإسلامية ويتقاضاً عنها الولاة بتفويض منه وهو يرثى الوالى ويحاسبه بعد أن يحسن اختياره فنظام الحكم في الإسلام أقرب إلى الحكم الرئاسي المعروف في الأنظمة المعاصرة ٠

– كانت الدولة الإسلامية في عهد عمر بن عبد العزيز مقسّمة إلى ولايات كبيرة تسمى كور مفردها كورة ٠

– كان الأساس العام للحكم في بسطة الدولة الإسلامية يقوم على المركزية ، إلا أنه باتساع رقعة الدولة الإسلامية ، دعا الأمر بمضى الوقت إلى التخفيف تدريجياً من المركزية وتوزيع اختصاصات أوسع على العمال وتغويتهم سلطات أكبر للبت في الأمور دون الرجوع لل الخليفة مما جعل الحكم يتسم ببعض سمات اللامركزية (١) ٠

– وفي عهد الأمويين وفي عهد عمر بن عبد العزيز خاصة سار الحكم على أساس منع الحرية للعامل فيما فوقه من اختصاصات ، لا يشاور الخليفة إلا فيما يشكل عليه من مهام فكان الوالى يتحمل مسؤوليات عمله ويتصرف فيما يعرض عليه من مشاكل حتى يستطيع تحقيق مصالح الرعية ٠

(١) مذكرة في نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية – دراسة مقارنة – المستشار عمر الباري من ٢٠٦ ، ٢١٣ ٠

— وكانت أنشطة الدولة تزاول بمعرفة دواعين وهو ما يقابل في الاصطلاح الحديث الوزارة أو المصلحة أو ما جرى مجرياً من الأجهزة الإدارية في الدولة . وأول من أنشأ الدواعين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أنشأ ديوان العطاء لتنظيم عطاء المسلمين بما فيهم الجند الإسلامي ، والثاني ديوان الخراج ، واستمر الديوانان في عهد عمر بن عبد العزيز ، وبجهاتهما ديوان البريد وكان معاوية بن أبي سفيان أول من أنشأ نظاماً للبريد في الدولة الإسلامية ، وديوان الخاتم لختم كتب الدولة وأنشأ كذلك معاوية بذلك وقوع تزوير في أحد كتبه لواليه على العراق (٢) .

— وكان بالولايات دواعين مالية فرعية يثبت بسجلاتها الإيرادات العامة المحصلة من الولاية والنفقات العامة التي انفقت في شئونها على العاملين بها والخدمات العامة التي تؤدي لأهل الولاية والمرافق التي تقام بها فإذا فاض فالملاس أرسل إلى الديوان المركزي في العاصمة ، وفي عهد عمر بن عبد العزيز رأى أن يترك موارد بيت المال في كل ولاية لأهلها ولا تنقل منه أموال إلى العاصمة مكتفيها بموارد الديوان (٣) . على أنه إذا قصرت موارد الولاية عن نفقاتها العامة كان الفرق ينبع من الديوان المركزي .

الأسس العامة لصلاح نظام عبادة الدولة :

كى يضمن عمر بن عبد العزيز تنفيذ سياساته بدرجة عالية من الأداء والكفاية راعي الأسس التالية في إصلاح نظام ولاة الدولة وعمالها .

— إجراء تحريرات عن الولاية والعاملين قبل تعيينهم خصماً لاختيار الشخص المناسب للولاية والعمل .

- اختيار الأصلح من بين المرشحين للولاية والعمل .
- تفضيل أهل القرآن في التعيين .
- فرض أجور عالية للعاملين بالدولة .
- إمداد العاملين بالتعليمات العامة والرد على استفساراتهم .
- التيقن وعدم الأخذ بال شبئات عند مساءلة العاملين .
- عقاب أو عزل من ثبت تقصيره .

(٢) الطبرى — جزء ٦ — مرجع سابق .

(٣) مذكرات في نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية — مرجع سابق ص ٢٢٨ . ٤٤٩ —

وبذلك أقام عمر بن عبد العزيز أمر الدين في نظام عمالة الدولة . لأن أساس اصلاحاته لهذا النظام تباع من فلسفة العمالة في الإسلام التي تقوم على الاحسان في أداء الأعمال فيقول جل وعلا « أنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (الكهف / من ٣٠) . ومن الاحسان اختيار الأصلح وتفضيل أهل القرآن للوظائف التي تتطلب موهبتهم في الدولة الإسلامية ، وإذا تم اختيار الأصلح للعمل من تحته الدولة الأجر الملائم جزاء وفاقاً والله جل وعلا يقول « ولكل درجات مما عملوا ولديهم أعمالهم وهو لا يظلمون » (الأحقاف / ١٩) .

ونناقش فيما يلي أساس الاصلاح السابقة :

التحرى لاختيار الشخص المناسب للعمل :

ـ رأى عمر بن عبد العزيز أن يولي بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري على العراق وكان يلزم المسجد ويقرأ ليه ونهاره ، وكان رأى عمر أن كان سر بلال كعلائته فهو أصلح دجل لتولى العراق ولكنه أراد أن يستوثق ، فارسل له العلاء بن المغيرة ليختبره ويعرف على حقيقة سلوكه .

فذهب العلاء إلى بلال فقال : إنك تعرف يا بلال مدى صلتي بأمير المؤمنين ، فان أشرت عليه بأن يؤمرك على ولاية العراق فما تجمل لي ؟

قال بلال : لك عمالتي سنة ، وكان مقدارها عشرين ألف درهم .

قال العلاء : فماكتب لي بذلك .

فأسرع بلال إلى منزله ، فاتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك .

فذهب العلاء إلى عمر بما كتب بلال .

قال عمر : إن بلالاً غرنا بعبادته فكذلكنا نفتر .. لقد وجدناه خيراً كله (٤) .

ـ وقد جماعة من أهل مصر على سليمان بن عبد الملك وفيهم - ابن خذامر الصافائى مولى سبأ فسألهم سليمان عن شئ من أهل المغرب فأخبروه ، وأبي بن خذامر أن يتكلم ، فلما خرجن قال له عمر بن عبد العزيز وكان حاضراً الاجتماع : ما متعك من الكلام يا أبا مسعود ؟

(٤) سيرة عمر - ابن السورى من ٩٣ .

قال : خفت الله ان اكتب .

نعرفها عمر ولما تولى الخلافة كتب الى ابيوب بن شرحبيل بولالية ابن خذامر القضاة فبقى في القضاة من سنة ١٠٠ هجرية الى ١٠٥ هجرية (٥) .

ـ كان والي عمر على خراج العراق « ابو الزناد » عبد الله بن ذكوان ،
ومما يدل على حسن اختياره ما قاله فيه الامام احمد بن حنبل فاعتبره
« امير المؤمنين في الفقة بالحديث » . ويقول فيه البخاري « اصح الاسانيد
ابو الزناد عن الأعرج عن ابي هريرة » ، ورآه الامام البيهقي وخلفه
ثلاثمائة طالب .

ـ كان والي عمر على خراج المزيرية « ميسون بن هرمان التابعي » .
يقول فيه ابو الملح « ما رأيت افضل منه أخذ عن الصحابة وأخذ عنه جم
من كبار المحدثين » (٦) .

ـ لما أراد عمر بن عبد العزيز عامله للخراج على خراسان .

قال : ابغوني رجالا صلواها اسأله عن خراسان .

فقيل له : ابو مجلز لاحق بن حميد .

فلما قدم عليه قال له : أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله
القشيري .

قال ابو مجلز : يكافي الائفاء ويعادى الاعداء وهو امير يفعل ما يشاء
ويقدم ان وجد من يساعدنه .

فولاه عمر الخراج وكتب الى اهل خراسان بذلك ، فان كان على
ما يحبون فيحمدوا الله وان كان على غير ذلك فيستعينوا بالله ولا حول
ولا قوة الا بالله (٧) .

اختيارات الاصلاح للعمل :

وكان عمر يختار الاصلاح للعمل لا يفضل عربى على اعجمى وبذلك
خالف ما درج عليه امراء بنى امية السابقين الذين كانوا يتعصبون في
التعصب في الوظائف العامة لقريش ويفضلونهم على غيرهم وعلى الموالى
من المسلمين ولو كانوا ائفاء منهم ، فقد عين عمر على المدينة ابو بكر محمد

(٥) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام من ٦٧ .

(٦) المرجع السابق . س ٦٨ .

(٧) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق . س ٥٦١ .

ابن حزم وهو من الأنصار وليس من قريش ، وكان فقهاء المدينة يقولون عنه « لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاة ما كان عند ابن يكرب محمد بن حزم » .

وجعل عمر المختار في مصر لثلاثة فقهاء منهم عرب وآخرين واثنان من الموالى فلما خاطبه رؤوس بنى أمية في ذلك قال : « وما ذنبي إذا كانت الموالى تسمى صدراً وآتتم لا تسمون » (٨) .

والموالى هم القوم المتنسبون إلى بيوت العرب يعقد ولاءً و منهم الأرقاء و منهم غير الأرقاء وكانتوا في الأغلب الأعم من أهل البلاد المفتوحة كمصر و فارس الروم . وكان العرب يستطيعون أن يتسلّكوا بحق الفتح لكنهم تركواهم أحراراً وجرت كلمة الموالى في اطلاقها على أن تشمل من ليسوا غرباء من أهل هذه البلدان لأنهم كانوا يسلّمون على أيدي المسلمين ، فمن أسلم على أيدي مسلم كان موالى ، وكثيرون منهم اسروا أطلاعاً رياض المسلمين وعلمونهم وفدووا مواليهم . ولم يك يدعا أن يظهر الفقه والعلم على يد أهل هذه البلدان المفتوحة فيقال أن الفقه بعد موت العبادلة الأربعة - أبناء عباس وعمر وعمر وآل زيد - قد انتقل إلى الموالى إذ كان الموالى أهل حضارة وقيمة لم يمسوها المغزو لأنهم لم يكن غزواً بربرياً وإنما كان غزواً فكريّاً ، ففتح الله به على المسلمين وعلى أهل البلاد المفتوحة . فمنع العرب الشعوب المغروبة دينهم قياماً ولغتهم فصحح وقدم الموالى من جانبيهم أسباب حضارات فاخرة وأصول تفكير عميقة (٩) .

وإذا كان عمر بن عبد العزيز يأخذ بمبدأ الكفالة في التعيين تحقيقاً للمصلحة العامة وتطبيقاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يأنه لا مفاضلة بين المسلمين إلا بالتفوي :

وكان يقول :

« لا يجيئ الناس بالأعمال وتجيئون بالأنساب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وكان يؤثر الموالى إذ كانوا هم الأصلح ، وقد أثبتت الأيام فيما بعد أنهم تباهوا صداررة الفقه ، ويدل على ذلك حديث جري بين هشام ابن عبد الملك أحد خلفاء بنى أمية في فاتحة القرن الثاني الهجري وبين جاليسه :

(٨) خامس خلفاء الراشدين - عبد الرحمن الشرقاوى - جريدة الاهرام في ١٩٨٥/٨/٢٨ .

(٩) أبو حنيفة - ماليف عبد المليم الحنفى - طبعة ١٩٧٠ وزارة التربية والتعليم ص ٢٥ ، ٢٦ .

فقد سأله هشام جليسه : هل لك علم بعلماء الأمصار -
قال : بل يا أمير المؤمنين .
قال : فمن فقيه أهل المدينة .
قال : نافع مولى ابن عمر .
قال : فمن فقيه أهل مكة .
قال : عطاء بن أبي رباح .
قال : مولى أم عربى .
قال : مولى .
قال : فمن فقيه أهل اليمامة .
قال : مكحول .
قال : مولى أم عربى .
قال : مولى .
قال : فمن فقيه أهل الجizerة .
قال : ميمون بن مهران .
قال : مولى أم عربى .
قال : مولى .
قال : فمن فقيه أهل خراسان .
قال : الصحاك بن مزاحم .
قال : مولى أم عربى .
قال : مولى .
قال : فمن فقيه أهل البصرة .
قال : المسن وابن سيرين .
قال : موليان أم عربيان .
قال : موليان .
قال : فمن فقيه أهل الكوفة .
قال : ابراهيم النخعي .
قال : مولى أم عربى .
قال : لا بل عربى .

قال : كادت نفس تخرج ولا تقل واحد عربي (١٠) .

قال ذلك هشام وقد طبع التحصص لأعراقه (جنوره وأصوله)
بالرغم ما سبق من عدل عمر بن عبد العزيز .

تفضيل أهل القرآن في التعين بالوظائف العامة :

كتب عمر بن عبد العزيز أن لا تستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن ،
فإن لم يكن عندهم خير فغيرهم أولى أن لا يكون عندهم خير (١١) .

وقد تضمن القرآن التعليم الكاملة ليردّي الذين يعملون عملهم بكمالية
براقتدار ، فالقرآن وضع نموذجاً للادارة المستنة وهي إدارة أموال اليتيم
فقال تعالى :

« وآتوا اليتامي أموالهم ولا تبتسلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا
أموالهم إلى أموالكم إنما كان حرباً كبراً » (النساء / ٢) .

« وابتلوا اليتامي حتى إذا بلغوا النكاح فان آتستم منهم رشداً
فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكثروا ومن كان غنياً
فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم
فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسبياً » (النساء / ٦) .

ونهى عن سوء الادارة فقال تعالى :

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً »
(النساء / من ٥) .

ونوه عن الاتقان بصفة عامة ومنها اتقان الأعمال ، فاشعار جل وعلا
إلى أنه أتقن كل شيء في آية :

« وترى الجبال تعسبيها جامدة وهي تعر من التسحاح صنح الله الذي
أتفن كل شيء انه خير بما تفعلون » (النحل / ٨٨) .

ونهى عن الارساف في الأموال بقوله جل وعلا « ولا تسرفوا انه
لا يحب المسرفين » (الانعام / من ١٤١) .

وينوه القرآن الكريم عن كفاية العاملين طبقاً لدرجة اتقان أعمالهم
فيقول جل وعلا :

(١٠) أبو حبيبة - تأليف عبد العليم الجندي - طبعة ١٩٧٠ وزارة التربية والتعليم
ص ٢٧ ، ٢٨ .

(١١) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - ص ٩١ .

« ولكل درجات مما عملوا وما ربك يغافل عما يعملون »
(الأنعام / ١٣٢) •

وهكذا يجد أهل القرآن حينما يقولون أعمال الدولة أن به ما يحذّرهم على حسن إدارة الأعمال واتقان أدائها لغير الرعية وازدهارها وانتظاراً لثواب الله بمحابي الأئمة الماديين من الدولة .

وَعَنْ مَكَانَةِ قَارِئِ الْقُرْآنِ مَا رَوَاهُ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ وَلَا كَانَتْ وَقْعَةُ
الْفَتْحِ بَادِرَ كُلَّ قَوْمٍ بِاسْلَامِهِمْ وَيَبْدُلُ أَبِي قَوْمَهُ بِاسْلَامِهِ ۝

فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : جَئْنَكُمْ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا
فَقَالَ ..

«صلوا صلاة كذا في حين كذا وصلوة كذا في حين كذا فإذا حضرت
الصلوة فليؤمكك أكثركم قرآنًا».

فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني لما كنت أتلقن من الركبان فقصدوني،
بين أيديهم وأنا ابن سنت سنتين أو سبعمائة سنتين (١٢) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : إن الله أعلم من الناس .

• Classification of the different types of the

ولعل ذلك ما جعل عمر بن عبد العزيز يرسّخ تعليماته لولاته متضيّلاً أمّا الفتاوى فـ «ثلاثة»: النهاية -

علم نفس الشئون وعلم

كان عمر بن عبد العزيز يرى عدم تعيين الشركين في وظائف الدولة
وعزل من كان يعمل بها لأن الله اعتبرهم نجس وأن شركهم يمحق أعمالهم،
فكتب إلى ولاته يقول :

« أما بعد فان المشركين تجسس حين جعلهم الله جند الشيطان وجعلهم بالأخرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسدون صنعا » (الكوثر / من ١٠٣ - ١٠٤) .

(١٢) الامام السادس - ناصر السنة وراضي الاصول - تأليف الاستاذ عبد الحليم الجندي - ص ٤٢ .

(١٢) المرجع السابق من ١٣٧ .

فأولئك لعمري من يجب عليهم باجتهدهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ،
أن المسلمين كانوا ليسوا ماضي اذا قدموا بلدة فيها اهل الشرك يستعيمون .
بهم لعلهم بالجباية والكتابة ، فكانت لهم في ذلك مدة ، فقد قضاها الله
بأمير المؤمنين ، فلا اعلم كاتبا ولا عاملأ في شئ من عملك على غير دين .
الاسلام الا عزلته واستبدلت مكانه رجلا مسلما ، فان محق أعمالهم
محق اديانهم ، فان أول بهم انزالهم منزلتهم التي انزلهم الله بها من الذل
والصغار ، فاقبل ذلك واكتب الى كيف فعلت » (١٤) .

فرض اجور عالية للعاملين بالدولة :

سبق أن أوضحنا ان سياسة عمر بن عبد العزيز كانت تقوم على
أساس منح العاملين بالدولة مرتبات عالية لما لذلك من مزايا تعود على
العمل والعاملين .

تعليمات للعاملين بالدولة :

مما تتضمنه قرارات العاملين بالدولة حديثا موادا توضح ما يتبعى
ان يتخلوا به من مواصفات تؤدى الى اتقان الاعمال وتحسينها ومحظورات
ينبغي ان يتجنبوها لما لها من انعكاسات ترقل اطلاق الاعمال وتهبط
بدرجة ادائها .

وقد اهتم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه - بسلوكيات عمال
الدولة وتناولها في خطبة وكتبه وتعليماته المتتابعة الى ولاته وعماله
ومنها ما يلى :

خير سلوكيات العاملين التقوى :

قال عمر بن عبد العزيز لولاته وعماله :

« عليكم بتقوى الله فانها هي التي لا يقبل الله غيرها ولا يرجم
الا اهلها ولا يثاب الا عليها وان الوعاظين بها كثير والعاملين بها
قليل » (١٥) .

(١٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم - طبعة ثانية - تعلق احمد عبيد
من ١٣٦ ، ١٣٧ .

(١٥) سيرة عمر - لابن كثير - من ٧٤ .

والت الواقع أن خير ما يتعلّق به العاملون التقوى لأنها تجعلهم يطهرون
الله ورسوله في أعمالهم التي يؤدونها للدولة ، فهم يعلمون أن الله سيرى
عملهم ورسوله استناداً لقوله جل وعلا :

« وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الشفاعة والشهادة
فيينبئكم بما كنتم تعملون » ٠ (التوبه من / ٩٤) ٠

ويعلمون أن رسول الله صل الله عليه وسلم أمرهم أن يتقنوا
الأعمال فقال :

« إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه » ٠
ويعلمون أن العمل العام المتقن يكون صالحًا فيرفع إلى الله جل وعلا ،
فقد قال جل وعلا :

« من كان يرى العزة فللها العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر
أولئك هو يبور » ٠ (غاطر / ١٠) ٠

مصالحة العاملين لأساليب الأعمال وتطويرها :

تشعّص أعمال العاملين بالدولة على الشعب . فإذا اتسمت بالاتقان
وسهولة الأداء ارتاح الشعب واطمأن إلى حكمته والعاملين بها ، أما إذا
تفقدت الأعمال العامة واتسمت بالجحود والظلم والمحاباة والتعييد أدى
ذلك إلى إرهاق الشعب ومسخته . وقد حذر عمر بن عبد العزيز عماله
وولاته من ذلك فقال :

« كروتوا في السدل والاصلاح والاحسان بقدر من كانوا قبلكم في
الظلم والجحود والمندان ولا حول ولا قوة إلا بالله ٠ ٠ ان الناس قد
اصابهم بلاء شديد وجحود في احكام الله ، وسكن سيئة منها عليهم
عمال السوء الذين قلما قصدوا الحق والرفق والاحسان » (١٦) ٠

مزروم العلم للعمل :

حالياً تعاون الجامعات والمعاهد الدولة في امدادها بالعاملين في
جميع التخصصات وتنشئ المحكمات ادارات ومصالح متخصصة بالبحوث

(١٦) سيرة عمر - لابن عبد الحكم من ١٠٢ ٠

المتعلقة بالعاملين وأنشطتهم العامة وتقيم الدورات التدريبية لرفع كفايتهم الانتاجية وترسل منهم البعوث للخارج ليزدادوا علمًا وكفاءة وقد جاوز الأمر المجال الاقليمي إلى المجال الدولي . فكان الاهتمام بالكافية الانتاجية للعاملين وتدريبهم المهني من المسائل التي نالت قسطاً من عناية الأمم المتحدة .

يُعبر عن هذا عمر بن عبد العزيز منذ مئات السنين ، فيوصي العاملين بالدولة الإسلامية في عهده بالطهارة ، العامة التالية :

د. العلم والعمل قريبيان ، فكளووا عالیین بالله عاملین له ۰۰ فان اقواما

علموا ولم يعملا فكان عليهم وبا لا • (١٧)

وَيَقُولُ :

• من عبد الله بغير علم .. كان ما يفسمه أكثر مما يصلحه ..

يقوم نظام العاملين بالدولة على نظام للدرجات يعلوا بعضها ببعض حتى تصل الى الوزارة ورؤساء الدول ، ولاتجاز الأعمال تصدر تعليمات بكيفية انجازها متدرجة من اعلى الى اسفل ، والافتراض أن تكون هذه التعليمات سلية مدروسة خالية من الاخطاء والمخالفات والتجاوزات ولكن قد يحدث أن يصدر الرؤساء تعليمات خامضة غير واضحة بغير قصد نتيجة عدم الدقة في البحث أو عن قصد لاشياع حوى أو للحصول على نفع غير مشروع ، ويحال عمر بن عبد العزيز ذلك بتعليمات عامة يديعها على العاملين بالدولة فيقول :

• الزموا الحق ينزلكم الحق منازل اهل الحق يوم لا يقضى بين الناس الا بالحق وهم لا يظلمون • (١٨) • ويقول • اذا ارسلت اليكم امرا يختلف الحق • فاضربوا به الارض واستمسكوا بالحق واحده •

٤٣٦: **اتباع الولاة والعاملين هو اهم يفضلهم :**

نبه عمر بن عبد العزيز الولاة والعمال الى ابعاد هواهم وشهواتهم
عن اداء الاعمال فقال : « قاتلوا اهواكم والانقياد لشهواتكم كما تقاتلون
اعداءكم » .

(١٧) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد المسلم حبيب - س ٦٦ وفلا عن الموسوعة
عمر أبو النصر من ٩٤ .

• ٩٤ - ابن الباروي من سيرة عمر (١٨)

وقال « اذا دعكم قدرتكم على الناس الى ظلمهم فاذكروا قدرة الله عليكم » .

رفق الولاة والعمال بالرعاية ضروري لصلاح الحكم :

رفق الولاة والعاملين بالدولة يؤدي الى صلاح الحكم ومصلحة الرعية وقد نصح عمر بن عبد العزيز ولاته بذلك فقال :

« احب الامور الى الله التصدف في الجد والتفو في المقدرة والرفق في الولاية . وما رفق عبد بعبد في الدنيا الا رفق الله به يوم القيمة » (١٩) .

وأحاديث الرسول صل الله عليه وسلم تدعوا الى الرفق وترغب في السماحة فقال صل الله عليه وسلم :

« ان الله يحب السهل الطلق الوجه » .

« ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم » .

« ان الله يحب الرفق في الامر كله » (٢٠) .

تسهيل سبل الاتصال لاصحاب الحاجات :

للشعوب حاجات لدى الدولة وعلى الدولة وعمالها ان يتضمنوا هذه الحاجات ما دامت مشروعة ، لأن الامير راع و هو مستول عن رعيته ، ومن الرعاية توفير حاجات الرعية من خدمات عامة كالدعاية عن البلاد وحفظ امنها الداخلي واقامة العدالة ونشر التعليم وأداء الرعاية الصحية وغيرها . وقد يحدث قصور في حصول بعض الأفراد على الخدمات العامة . أو يحرمون بغير حق منها فيتقذمون للعاملين بالدولة لازالة هذا القصور أو المرمان . فيتبين أن تكون طرق اتصالهم بالدولة ميسرة لعرض حاجياتهم وبحث شكاوام ، فلا يقيم الولاة والعاملون بالدولة حواجز تصعب طرق وصول الناس اليهم أو حجبها تحول بينهم وبين ذوى الحاجات ، وهو ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز ولاته وعماله فقال . ناصحا لهم ١

(١٩) عمر بن عبد العزيز - ابن كثير من ٧٥ .

(٢٠) وردت في كتاب من أخلاق النبي للدكتور أحمد محمد المولى من ٣٢٤ .

« لا تتخلىوا على أبوابكم حجايا يتحولون بينكم وبين ذوى الحاجات والمظلومين » (٢١) . وهو بذلك يطبق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ولاء الله من أمر المؤمنين شهيشا ، فاحتجب عن حاجاتهم ، احتجب الله عن حاجته يوم القيمة » .

اتجاه الولاة والعاملين محظوظون :

تحرم كثير من الدول على الحكام والعاملين بالدولة الاتجاه ، ذلك ، ان العاكم اذا اتجه يعقد صفات لحسابه والحكومة كذلك تشتري لنفسها موادا ومهما مختلفة لمزاجها شفاطها العام وتبيع احيانا مواد بمخازنها العامة او تتجه اذا كانت تزاول بعض نواحي الانتاج ، وتنص عادة قوانين الدول ولوازتها على ان يكون الشراء بأقل الأسعار عن طريق المناقصات ويكون البيع بأعلى الأسعار ، فاذا اتجه الحكام والولاة والعاملين بالدولة بها بطريق مباشر او غير مباشر آثروا مصلحتهم على مصلحة الدولة ، واذا اتجروا مع غير الدولة جباهم المتعاملون معهم انتظارا لمنفعة بغير حق تعود عليهم من الدولة او كسب غير مشروع ينالونه ويحصلون عليه بظلم يقع على الغير ، لذلك كان الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرم على الولاة والعاملين بالدولة التجارة وصادر اموال الحارث بن وهب من تجاراته مدة ولايته ثم صعد المنبر وقال :

« يا مشر الامراء ان هذا المال لو رأيتمه أنه يحل لنا لاحتلاته لكم ، فاما اذا لم يحل لنا وظلمنا (كفينا) انفسنا عنه وأنفسكم ، فاني ما وجدت لكم الا عطشان ورد المجة ولم ينظر الماء فلما روى غرق » (٢٢) .

وسار عمر بن عبد العزيز على نفس النهج فاذاع على ولاته تعليمات يحظر فيها قيامهم بالاتجاه فقال :

« لا تتجروا واتم ولاة ، فان الامير اذا اشتغل بالتجارة استثار واصاب ظلما وان هو حرص الا يفعل » .

لكل عمل اجره :

وضع عمر بن عبد العزيز لولاته مبتدعا عاما يربط الاجر بالعمل فقال :

(٢١) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٨٣ ، عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٦٣ .

(٢٢) انظر التفاصيل في كتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ١٦٥ .

• ليكن لكل عامل أجره فضعوا السخرة عن الناس •
 وهو في هذا يطبق تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه
 ومنها قوله :
 • اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه • (٢٣)
 وقوله صلى الله عليه وسلم :
 • ثلاثة أنا خصمهم يوم القيمة ومن كنت خصمه خصمه •
 أعطي به ثم غير ورجل باع جزاما فأكل منه ورجل استأجر أجرًا
 فاستوفى منه ولم يعطه أجره • (٢٤)

متابعة أعمال الولاة والعلماء :

قال أبو يوسف : حملتني داود بن هند عن رياح بن عبيدة قال :
 كنت مع عمر بن عبد العزيز فقلت له : إن لي بالعراق ضيعة وولدا
 فاذن لي يا أمير المؤمنين اتعاهدهم .
 قال : ليس على ولدك يأس ولا على ضيتك ضيضة .
 فلم أزل به حتى أذن لي .
 فلما كان يوم ودعته قلت : يا أمير المؤمنين حاجتك أوصي بها .
 قال : حاجتي أن تسأل عن أهل العراق وكيف سيرة الولاة فيها
 ورضاهم عليهم .
 فلما قدمت العراق سالت الرعية عنهم فأخبرت بكل خير عنهم .
 فلما قدمت عليه سلمت عليه وأخبرته بحسن سيرتهم في العراق
 وثناء الناس عليهم .
 فقال : الحمد لله على ذلك لو أخبرتني عنهم بغير هذا عزلتهم
 ولم استعن بهم بسدها أبدا إن الراعي مستول عن رعيته . فلابد له من
 أن يتبعه رعيته بكل ما ينفعهم الله به ويفربه إليه ، فنان من أبتلى بالرعاية
 فقد أبتلى بأمر عظيم (٢٥)

(٢٣) من مقال عن « حقوق الإنسان في صلة القرابة بالمساعدة » للدكتور محمد البهري
 محمد مجعوب البحوث الإسلامية المجلد السادس من ٣٩

(٢٤) من فضایا العمل ونماذج - الشيخ أبو الولى الرافعى - سلسلة مجمع البحوث
 الإسلامية من ٢٨

(٢٥) الترجح لأبي يوسف - مرجع سابق من ١٦٩

فما سبق يتضح أن متابعة عمر لعمال الدولة تتحرك في دائرة
المبادئ التالية :

- أن الأئمّة مسؤولون عن رعيته وذلك طبقاً لحديث الرعاية عن
الرسول صلّى الله عليه وسلم .
- كي يوفّي بهذه المسؤولية على الحاكم أن يتمهد رعيته
بكلّ ما ينفعهم الله به ويقربه إليه .
- تمهد الرعاية يتم عن طريق ولادة الدولة وعمالها مما يتعين
معه متابعة أعمالهم وسيرتهم .
- إذا أسفرت المتابعة عن قيامهم بما ينفع الرعاية وحسن سيرتهم
حمد الله ولا عزّلهم ولا يستعين بهم بعدها .

وكان عمر بن عبد العزيز يطلب من الولاة متابعة عمالهم لأن ذلك
من واجبات الرؤساء والملحقين على الأعمال العامة حتى يراقبوا أعمال
معاونיהם ويتراكموا من حسن قيامهم بالأعمال المنوط بهم ، وفي الأزمنة
التحديثة يتم تقييم أعمال العاملين على مدار السنة وتقدم منهم تقارير
سنوية تكون أساساً للحكم على مدى كفاءتهم واستحقاقهم للترقى إلى
وظائف أعلى ، وانعدام متابعة العاملين يجعل المسئول والظالم منهم يتضادى
في إساءاته وظلمه مما يجعل أفراد الرعاية عذراً ورهاقاً فيستخرون على
الحكم والإحکام . وقد حلّ عمر بن عبد العزيز ولاته من ذلك فقال
ناصحاً ولاته :

« راقبوا حجابكم ورؤسكم حرسككم وشرطكم والعاملين معكم ...
وأثثروا من الأشراف عليهم حتى تيقنوا من أنهم لا يرتكبون شيئاً
ولا ظلماً » (٢٦) .

وما كتبه إلى أمراء الأجناد :

تعاهد صاحب يابك وصاحب حرسك وعاملك المقيم عندك والذين
بعضك ، فلا يعملون في شيء مما تحت يدك بقبح ولا بظلم فمن كان
منهم محسناً ففعه ذلك ومن كان منهم مسيئاً استبدلته به من هو
خير منه (٢٧) .

(٢٦) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٦ .

(٢٧) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم تعليق أسد عبيد - طبعة ثانية
ص ٦٩ .

وبجانب متابعة العمال كان عمر يتتابع أعمال الدولة مما كان يأتيه من شكاوى الناس .

من ذلك ما أرسلاه اليه امرأة من الجيزة من أهل مصر اسمها فرتونة السوداء تشكو أن لها حائطا قصيرا جدا وأن جيرانها يتسلقونه في يسر ليسرقوا دجاجها .

فكتب اليها : بلغنى كتابك وما ذكرت من قصر حائطك ، وأنه يدخل عليك فيه فيسرق دجاجك فقد كتبت لك كتابا الى أيوب بن شرحبيل - أمير مصر - أمره أن يبني لك ما يحصنك مما تخافين أن شاء الله والسلام عليك .

وكتب الى عامله على مصر أيوب بن شرحبيل :

« أما بعد فان فرتونة السوداء كتبت الى تذكر قصر حائطها ، وأنه بسرق منه دجاجها ، وتسأل تحسينه لها ، فإذا جاءك كتابي هذا فاركتب أنت بنفسك اليه حتى تحسنه لها » .

فلما جاء الكتاب الى ابن شرحبيل ركب بنفسه حتى أتى الجيزة وظل يسأل عن فرتونة السوداء حتى وجدوها فإذا هي عجوز مسكينة ، فاعلمها بما كتب به أمير المؤمنين وحسن لها الطالط من بيت المال (٢٨) .

وكان عمر لا يكتفى بما يأتيه من شكاوى الناس بل يتتابع أعمال الولاة بنفسه وحل ادي حكمه وعملهم الى تحسين احوال الرعية من عدمه ، فكان يخرج من عاصمة الدولة ومعه غلامه مزاحم ، فيلقي الركبان قادمين من الامصار الى العاصمة ، فيتحسنون أخبار الناس ويتحدث اليه الركبان وهم لا يعرفون أنه أمير المؤمنين وتباهي الخشنة لا تدل عليه .

وقف هو ومزاحم على طريق المدينة فسالا ركبا قادمين منها عن أحوال الناس فيها وفي الحجاز . قال الركب الحجازي : تركنا المدينة والظالم مقهور والمظلوم بها منصور والغنى موفور والسائل مجبور .

فسر عمر بذلك وقال لمزاحم بعد أن عضى الركب ، والله لأن تكون البلاد على هذه الصفة أحب الى مما طلعت عليه الشمس (٢٩) .

وبعد متابعة عمر بن عبد العزيز لعماله كان ينذرهم بأن يستقيموا والا عزلهم . فمن ذلك أنه قال مرة أمام جلسائه لعامل له :

(٢٨) سيرة عمر - لابن كثير من ٥٦ .

(٢٩) عمر بن عبد العزيز - ابن الجوزي من ٧٧ .

« استعملنا أقواماً كنا نرى أنهم أبرار أخيار فلما استعملناهم
إذا هم يحملون عمل الفجار قاتلهم الله . أما كانوا يذكرون الموت ،
أما كانوا يمشون بين القبور » (٣٠) .

وكتب الآخر :

« أما بعد ، فانه غرني بك مجالستك القراء وعمامتك السوداء
وارسالك اياماً من وراء ظهرك . وأنك أحسنت العلائية وأحسنا بك
الظن ، وقد اطلعنا الله على كثير مما تعملون » (٣١) .

وكتب لعامل آخر :

« لقد كثر شاكروك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت » .

التيقن من المخالفة قبل الجزاء :

وكان عمر بعد ذلك لا يوقع جزاء على العاملين الا بعد ان تقسم
عليهم البينة ، فحدثت ان ظهرت خيانة بعض صغار الحكماء والمستخدمين
في العراق ، فارسل اليه عامله عليها يسأله الاذن في تعذيبهم على
خيالاتهم .

فكتب اليه عمر « أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر أن قبلك
(أي عنده) عملاً قد ظهرت خيانتهم وتسألني أن أذن لك في عذابهم ،
وكانك ترى أن لك جنة ، فان جاءك كتابي هذا فان قامت عليهم بينة فتحذهم
 بذلك ، والا فاحلفهم دبر (أي بعد) صلاة العصر بالله الذي لا إله الا هو
 ما اختانوا من مال المسلمين شيئاً ، فان حلفوا بذلك فخل سبيلهم ،
 فاما هو مال المسلمين ولعمري لان يلقو الله بخيانتهم احب الى من القى
 الله بهمائهم والسلام (٣٢) .

عزل من تثبت عدم صلاحيته من العاملين :

كان عمر يعزل من تثبت عدم صلاحيته من العاملين حتى ولو كانوا
من ذوى قرباه .

(٣٠) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب . من ٦٧ .

(٣١) عمر بن عبد العزيز ابن كثير . من ١١٥ .

(٣٢) سيرة عمر - ابن الجوزي . من ٨٦ .

فكتب الى « الجراح بن عبد الله » عامله في خراسان :

« بلغني انه استعملت (عبد الله بن الأهتم) وان الله لم يبارك
لعبد الله بن الأهتم في العمل فاعزله ولا تهتم بقرباته لنا » (٣٣) .

« وبلغني أنك استعملت (عمارة الطويل) ولا حاجة لي بعمارة
ولا بأذى عمارة للناس وضربيهم ولا بشخص قد صبيح يده في دماء
المسلمين فاعزله » (٣٤) .

ـ وعزل أحد الولاة بسبب سوء ادارة المال العام :

فقد كتب عمر بن عبد العزيز الى الجراح بن عبد الله واليه عل
خراسان .

انظر من صل قبلك الى القبلة ، فضع عنه الجزية ، فسارع الناس
الى الاسلام .

فقيل للجراح : ان الناس قد سارعوا الى الاسلام ، وانما ذلك
نفورا من الجزية فامتحنهم بالختان فكتب الجراح بذلك الى عمر .

فكتب اليه عمر : ان الله بعث محمدا صل الله عليه وسلم داعيا
ولم يبعثه خاتما .

ثم كتب اليه : ان أقبل وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن
ابن نعيم الشامي وعلى الجزية عبد الله بن حبيب .

ولما أراد الجراح الخروج من خراسان الى عمر بن عبد العزيز
أخذ عشرين ألفا من بيت المال . وقال : هي على سلفها حتى أوديها
للمخلية » .

فلما ذهب للمخلية عزله وسد عنده قومه من أعطيائهم الدين الذي
أخذه من بيت المال .

وكان من أسباب عزل الجراح شكرى وقد قدم لعمر بن عبد العزيز
من انه يمنع عن المولى عطائهم واستئداء المزاج من أهل الذمة بالرغم
من اسلامهم وقد عمل بالظلم والعدوان كما كان يعمل الحجاج (٣٥) .

(٣٣) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب . من ٦٨ .

(٣٤) سيرة عمر - ابن الجوزي . من ٩٦ .

(٣٥) تاريخ الطبرى - جزء ٦ المطبعة الثانية - دار المعرفة بمصر من ٥٥٩ . ٥٦٠ .

المبادئ و أساس اصلاح ادارة المالية العامة في عهد عمر بن عبد العزيز

ادارة المالية العامة بالمبادئ : -

العكست تقوى عمر بن عبد العزيز في خلال من علمه و عمله وأخذه بالمشورة على ادارة المالية العامة فادارها بالمبادئ وبذلك وفى المالية العامة فى عهده من انحرافات وتجاوزات ومخالفات لحقت بها فى عهود من كان قبله من الخلفاء الامويين ، فبالمشورة منع الزلل عن قراراتها وبالحق أبعد الباطل عن عملياتها وبجهاية الطيب من الأموال العامة عصمت حصيلتها من المرام وبالايضاح بهذه عن تطبيقاتها للبس والزلل وبالعدل أزال ما وقع على المولين من ظلم ، وبماشاعة الاصلاح العام قاد المالية العامة نحو الاستقامة ، وبالتيسير المال خفف أعباء الفرائض المالية عن الشعب ، وبالدعوة لزيادة الانتساج عوض احتمالات التعرض فى الحصيلة ، وبوحدة المال العام لتحقيق المصالح العامة للشعب فى جميع الولايات طبق الامر كزيرة المالية ويتحمل المسئولية العامة تم تخصيص الأموال العامة للخدمات العامة ، وباستقامة المسالة العامة حسن الأداء المالى ، والاسلام قد اهتم بالعمل بهذه المبادئ ولذا فان العمل بها أقام امر الدين فى عهد عمر بن عبد العزيز .

ونوضح تلخيص ملخص فيما يلى :

ادارة المالية العامة بمبادئ المشورة :

قال عمر بن عبد العزيز عن أحد الفقهاء بمدينة الرسول صل الله عليه وسلم وكان مؤديه ومربيه وهو - عبيدة الله بن عبد الله بن عتبة -

• انى والله لأشترى ليلة من ليالى عباد الله بالف دينار من
بيت المال •

فقالوا : يا أمير المؤمنين تقول هذا مع شدة تحريك وتحفظك .

فقال : أين يذهب بكم والله انى لا عود برأيه وبتصريحه على بيت
المال بالوف والوف » (١) .

ادارة المالية العامة بمبدأ الحق :

طار المبادئ المالية العامة الاسلامية ، ان تؤخذ بالحق وتعطى
بالحق وتمتنع من الباطل ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ووجد
ان الجبائية لا تتم في اطار الحق الذي أمر به الاسلام ، كتب الى عماله :
« لا تأخذوا من أموال الناس الا بالحق الذي شرعه الله وما عدا ذلك
فضبعوه كله .. لا أفرق بين مسلم واهل كتاب » (٢) .

المالية العامة الاسلامية لا تقر زيادات غير مشروعة في الأعباء العامة ،
فالمسلمون يؤدون الزكاة وأهل الكتاب يؤدون الجزية والخرج اذا كانوا
على ارض الفتوح . ولا يجوز فرض اعباء اضافية على اهل الكتاب
بوضفهم غير مسلمين لأن ذلك يخالف مبدأ الحق الذي هو دعامة أساسية
من دعائم الاسلام وركيزة هامة من ركائزه ، كما لا يجوز التعسف
معهم في استثناء الجزية او تحصيل الخراج في اوقات غير ملائمة
او تطبيق اساليب التعذيب ووسائل الاكراه في التحصيل .

ادارة المالية العامة بمبدأ جبائية العلال الطيب :

تختلط الأموال العامة احيانا بأموال حرام غير حلال فتأخذ بعض
الدول الاسلامية ضرائب على مزاولة انشطة يحرمها الدين الاسلامي
كصناعة الخمور والاتجار فيها ، او تتقاضى رسوما وتأوات على
المراهنات ولعب الميسر وما شابهها من انواع المأب القمار او تفرض
الموطنين قروضا طويلة الأجل او قصيدة الأجل وتحصل على فوائد
او زيادات فوق مبالغ القروض فتدخل في دائرة المعاملات الروبوية التي
حرمها الله ، او تستعمر دولة اخرى ضعيفة فتسليها خيراها وفرواتها

(١) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٧٠ .

(٢) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٤٩ وقلها عنه سعد عبد السلام حبيب - مرجع
سابق ص ٩١ .

وتحول بها خزانتها العامة ، والاسلام يحرم مثل هذه الاموال ، فالله تعالى لا يقبل الا الطيب من الاموال وهذا هو ما نبه عليه عمر بن عبد العزيز أحد ولاته اليه وهو ميمون بن مهران وكان قد استعمله على الجزيرة العربية وعلى قضايتها وعلى خراجها وكان شيئاً كبيراً ، فكتب الى عمر يطلب اعفاءه ، فارسل اليه يقول :

« أنا لم أكلف شيئاً في حكمك ولا في جيابك ما جبب من الحال ولا تجمع للمسلمين الا الحال الطيب » (٣) .

ادارة المالية العامة بمبدأ وضوح الجباية :

تفرض الدولة اعباء الاموال العامة على مواطنها بقوانين ، وقد تتضمن القوانين نصاً عاملاً أو حكماً ملتبساً فيكشف تطبيق هذه القوانين عن حالات عملية يستشكل فيها التفسير ، فواجب ممثل بيت المال المناط به التطبيق أن لا يستغل فيها برأيه ، بل يسأل أهل الذكر من ذوى الخبرة حتى يطمئن الى الرأي السليم الذي يؤدي الى عدم ظلم الممول أو بيت المال . وهذا ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز واليه الذي توجهنا عنه في الفقرة السابقة ، فكتب اليه يقول :

« أجب الخراج الطيب واقضي ما استبيان لك . و اذا التبس عليك أمر فارفعه علينا ، فان الناس لو كانوا اذ اثروا عليهم شو ترکوه ما قام لهم دين ولا دنيا » (٤) .

ادارة المالية العامة بمبدأ العدل :

من العدل المالي أن نراعى حالات الممولين عند تحصيل الضرائب المستحقة عليهم ، فهى تتأثر بالظروف الاقتصادية التي تمر بها البلاد من ازدهار أو كساد كما أن للظروف الجوية أثراًها على المحاصيل الزراعية فتخصب الأرض اذا كانت الظروف الجوية موائمة ويقل انتاجها اذا كانت العوامل الجوية وغيرها غير مستقرة .

وهذا ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز ، فقد كتب اليه واليه على اليمين عروة بن محمد بن يذكر انه قدم اليمن فوجده على اهلها ضرورة من الخراج ثابتة في أعقاهم كالجزية يؤدونها على كل حال فكتب اليه :

(٤) سيرة عمر : ابن الجوزى من ٩٥ - ٩٩ .

« كتبت لي تقول أنك قسمت اليمن ، فوجدت على أهلها ضريبة من .
الخارج ثابتة في اعتقادهم كالجزية يؤدونها على كل حال ان أخضبوا
أو جدبوا .. ان حبوا أو ماتوا .. نسبحان الله رب العالمين ثم سبحان
الله رب العالمين ، اذا أتسأك كتابي هذا ، فدع ما تنكره من الباطل الى
ما تعرفه من الحق واعلم أنك ان لم ترفع الى من جميع اليمن الا جفنة
من كتم (نبات يستعمل في تحضير الشعر ومداد الكتابة) فقد علم الله
انى ساكون به مسرورا مادام في ذلك ابقاء على الحق والعدل) (5) .

ومن العدل كذلك ان لا يؤخذ العراج والضرائب على كل ايرادات
المول ، بل يجب أن يعفى جزء من الايراد مقابلة ضرورات المول وأعباته
العائلية ، وهذا ما أمر به عمر بن عبد العزيز عامله على خراج العراق ،
فكتب اليه يقول :

« دع لأهل الخراج من أهل الفرات ما يختسون به من الذهب
والفضة ويلبسون الطيالسة ويركبون البرازيل ، وخذ ما يزيد عنهم » (6) .

ادارة المالية العامة بمبدأ الترشيد :

من نصائح سالم بن عبد الله بن عمر لعمر بن عبد العزيز حين
تولي الخلافة والتي تؤدي الى ترشيد اتفاق المال العام ما يلي :

« أما بعد يا عمر ، فانه قد ولى الخلافة والملك قبلك أقوام ، فماتوا
على ما قد رأيت ولقوا الله فرادى بعد الجموع والخشس ، وعالجوا الموت
الذى كانوا منه يفرون بعد اتفاق الأموال على حاجاتهم وأغراضهم
من الطيب والثياب الفاخرة اللينة ا كانوا ينفقون الأموال اسرافا في
أغراضهم وأهواهم ويقترون في حق الله وأمره ، فان استطعت ان
تلقاهم يوم القيمة وهم محبوسون مرتقون بما عليهم ، وانت غير
محبوس ولا مرتقين بشئ فافعى واستعن بالله ولا قسوة الا بالله
سبحانه » (7) .

ادارة المالية العامة بمبدأ الاصلاح :

كتب عمر بن عبد العزيز الى ولاته :

(5) سيرة عمر : ابن عبد الحكم من ٥٦ ، ١٠٤ .

(6) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب عن موسوعة عمر ابو النصر
من ١٠٩ .

(7) عمر بن عبد العزيز - ابن كثير ١١٤١١٣ وسيرة عمر - ابن الجوزي من ٢٧ .

« روضوا المخالفين وبصروفهم وارفقوها بهم وعلموهم ، فان اهتدوا كانت نعمة من الله وفضلان .. وان ابوا فتحروا الحق فيما تنزلون بهم من عقاب » (٨) .

ومن انواع المخالفات المالية التي تقع على المال العام وهي كثيرة منها ما يتعلق بالاسراف والتبذير في الاموال العامة او اساءة استخدامها ووضعها غير موضعها وقد تصل المخالفة المالية الى الاعتداء على المال العام بسرقتها او اختلاسها او تضييعها كالتهاون في استئثاره وتحصيله من الملزمين بأدائه ، ولذلك تضع الدول حديثا نظاما لرقابة الدولة على اموالها العامة فتقيم اجهزة رقابية ذات اختصاصات تكشف المخالفات المالية وتعاقب مرتكبيها وتسترد ما تعرض للضياع او السرقة او للاختلاس ، وتتوقع ما يستحق على المخالفين من عقاب .

على أن عمر بن عبد العزيز في القرن الأول الهجري نبه إلى أنه لا يكفي في رقابة الاموال العامة ازال العقاب ، بل أن الأهم هو اصلاح الخطأ أو تعرى أسباب المخالفة وتدريب وتعليم مرتكبيها . وحدايتهم إلى عدم تكرارها مستقبلا مع مراعاة العدل والحق في العجزاء والعقاب . وبذلك تبني عمر الرقابة العلاجية التي تضع العلاج لما يكتشف من مخالفات وعدم الامتناع بالرقابة السلبية التي تقتصر على كشف الأخطاء والمخالفات المالية .

فيقرر المبدأ التالي :

« اذا قدرت على دواء تشفى به صاحبتك دون الكى ،
ملا تكويته ابدا » (٩) .

ادارة المالية العامة بمبادرات التيسير على الشعب :

من انواع الابيرادات التي تحصلها الدولة من الشعب الرسوم ، وهي مبالغ نقدية تجبي من الأفراد جبرا لقاء خدمات عامة تقدمها لهم الدولة ، ومن الخدمات العامة التي تؤديها الدولة انشاء القنطر والطرق كى يعبرون عليها ودوابهم وسياراتهم ، وما كانت هذه القنطر والطرق تحتاج إلى صيانة مستمرة بسبب ما يتربى من استهلاك نتيجة

(٨) سجدة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - مرجع سابق من ١٧٦ .

(٩) المرجع السابق - من ١٧٦ .

الاستعمال ، فان الدول تفرض عادة رسوما على من يعبرون هذه الكبارى والطرق لتفطى نفقات الصيانة ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز امارة دولة الاسلام أمر عماله بالفاء ما يفرض على الناس مقابل اصلاح القنطر والطرق (١٠) ، وبذلك جعل خدمات الدولة في هذا الشأن بدون مقابل .

ادارة المالية العامة بمبدأ تعويض نقص الخصيلة بزيادة الانتاج :

لا يمكن تعويض النقص في خصيلة الموارد العامة بزيادتها ظلماً أو باغفال تطبيق القوانين بالعدل أو بالتعسف في الجباية ، وإنما يكون بزيادة الانتاج العام فتزيد دخول الأفراد وتزيد خصيلة ما يدفعونه للدولة وهذا ما نبه إليه عمر بن عبد العزيز أحد ولاته وهو عبدي بن أرطاة الفزارى واليه على العراق ، فقد بعث كتابا إلى عمر يقول فيه :

« ان الناس قد كثروا في الاسلام حتى خفت أن يقل الخراج ، أى بسبب رفع الجزية عن أهل الكتاب بعد اسلامهم .

فكتب عمر اليه يقول :

« والله لو ددت أن الناس كلهم أسلموا حتى تكون أنا وأنت حرائين نأكل من كسب أيدينا » (١١) .

ادارة المالية العامة بمبدأ وحدة المال العام :

تأخذ بعض الدول حديدا بنظام الحكم المحلي ، فتعد للحكومة المركزية موازنة عامة خاصة بها ، وتعد لكل وحدة محلية موازنة عامة خاصة بها ، وتفطى الموازنة المركزية الموازنة المحلية اذا زادت نفقاتها العامة عن مواردها العامة ، وهذا ما قرره عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائى وكان قد واه خراج خراسان فقال له :

« استوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم ، فان يك كافيا لاعطياتهم فحسنا والا فاكتب الى حتى أحمل لك الأموال فتتوفر لهم اعطياتهم » (١٢)

(١٠) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - من ٩٣ .

(١١) سيرة عمر - ابن الجوزي من ٩٩ .

(١٢) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب من ٩٥ تللا عن الطبرى تاريخ الأمم والملوكي .

ادارة المالية العامة بعبدا تحمل المسئولية العامة :

كان عمر بن عبد العزيز يطلب النصائح من الأئمة ، فكانوا يوضحون له مسئوليته العامة وانها تتطلب القيام بخدمات معيشية للشعب . ومن الطبيعي ان أداء هذه الخدمات يتطلب توجيه شطر من الأموال العامة للاتفاق عليها . وفيما يلي نسوج من نصائح العالم الجليل حسن البصري .

ل عمر بن عبد العزيز :

لعن خدمات الامة العدل قال :

« اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الامام العادل قوام كل مائل . وقصد كل جائز وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم . ومفرغ كل ملهوف . »

وعن الخدمات التموينية وخدمات الأمن والدفاع عن الأوطان يشبه حسن البصري الامير بالراعي الشفيف الذي يقوم بهذه الخدمات فيقول :

« والامام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيف على ابله . الذي يرثى لها أطيب المراعي ويردها عن موضع التهلكة ويحميها من السباع ويكتنها من أذى الحر والقر » .

وعن خدمات التعليم واقامة المدارس والمساعدة والجامعات وتعيين المعلمين على التعليم يقول حسن البصري :

« والامام العدل يا أمير المؤمنين كالاب الحانى على ولده يسمى لهم صغارا ويعلهم كبارا » (١٢) .

ادارة المالية العامة بعبدا الرفق :

لما قدم الجراح الى خراسان بعد أن عينه عمر بن عبد العزيز عليها وجد الناس يميلون الى منع حق الله عليهم ومنها الحقوق المالية فكتب الى الخليفة قائلًا :

« انى قدمت خراسان فوجدت قوما قد ابطرتهم الفتنة فهم يتزرون فيها نزوا ، احب الامور اليهم ان تعود الفتنة ليمنعوا حق الله عليهم ، فليس يكفهم الا السيف والسوط . وكرهت الاقدام على ذلك الا باذنك » .

(١٢) المرجع السابق ص ٥٩ - ٦٠ - ٦١ سيرة عمر - ابن الجوزي ص ١٢١ -

فكتب اليه عمر :

« يابن أم الجراح . أنت أحرس على الفتنة منهم ، لا تضر بن مؤمنا ولا معاهدا سوطا إلا في حق . وأحذر القصاص فذلك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . وتقرا كتابا لا يغادر صفيحة ولا كبيرة إلا أحصاما » (١٤) .

ادارة المالية العامة يمددا استقامة العمالة :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولاته :

« اتركوا أعمالكم عند حضور الصلاة . فان من أضاع الصلاة كان لما سواها أضيع » (١٥) .

وتبدو أهمية هذا المبدأ في المالية الإسلامية حيث ترتبط الإيرادات العامة بتعاليم الإسلام فإذا ضيغ العاملون بالمالية العامة الصلاة وهي ركن من أركان الإسلام . تهاونوا في استثناء حق الفقراء والمساكين من الزكاة وهي دكن أيضا من أركان الإسلام . كما قد يمتد الضياع إلى تعاليم أخرى مرتبطة بالمالية العامة الإسلامية كامر الرسول صل الله عليه وسلم باخذه صدقات الناس من أواسط أموالهم وعمل مياهم وعدم الغلو في العقائد وحسن معاملة وعدم تعذيب أهل الكتاب عند استثناء الجزية منهم . فضلا عن أن الله جل وعلا يصف الدين مكتنهم في الأرض بمنهم الملائكة على الأموال العامة فيقول :

« الذين ان مكتنهم في الأرض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » (الحج / ٤١) .

(١٤) الطبرى - جزء ٦ - مرجع سابق من ٥٦٠ .

(١٥) سيرة عمر - ابن الجوزى من ١٠٢ .

الباب السابع

اصلاح نظام العطاء وتطبيق سياساته لرد المظالم

فى عهد عمر بن عبد العزىز

اصلاح نظام العطاء

تحقيق فاقض كبير في عهد عمر بن عبد العزيز :

أدت إصلاحات عمر بن عبد العزيز إلى توازن المالية العامة للدولة وتحقيق فاقض كبير وبلغ الدولة الإسلامية من الفنى ما توضّعه الكتبة التالية المتبادلة بين الخليفة وأحد ولاته وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن وكان ولية على العراق .

فقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، إن أخرج للناس أعطياتهم » فكتب إليه عبد الحميد « أنى قد أخرجت للناس أعطياتهم وقد بقى في بيت المال مال » فكتب عمر بن عبد العزيز إليه « أن انظر كل من أدان (استدان) في غير سنه ولا سرف فاقض عنه » ، فكتب إليه عبد الحميد « أنى قد قضيت عنهم وبقى في بيت مال المسلمين مال » فكتب عمر بن عبد العزيز إليه « انظر كل يذكر (الفتى الذي لم يتزوج) ليس له مال فزوجه أو أصدق عنه (ادفع له الصداق) » فكتب إليه عبد الحميد « أنى قد زوجت كل من وجدت وقد بقى في بيت المسلمين مال » فكتب إليه عمر بن عبد العزيز « أن انظر من كانت عليه جزية فضفت عن أرضه فراسله (أى أعطته سلفة) ما يقوى به على عمل أرضه فانا لا نري لهم لعام أو لعامين » (١) .

فيتضمن من الكتب السابقة أن الرخاء عم الدولة الإسلامية في عهد عمر بن عبد العزيز وعظمت ثروتها وفاضت الأموال حتى بعد حصول

(١) الأموال لا يرى عبيده - مرجع سابق من ٣١٩ - ٤٤٠ .

كل فرد على تنصيبه من الأموال العامة طبقاً لنظام العطاء السارى ، فاستخدمت الدولة المال العام في سداد ديون المديفين وفي صداق من لم ينزعج من الشباب ، وفي اقراض أهل الذمة لرفع خصوبة الأرض وزراعة انتاجها .

اصلاح نظام العطاء :

امتدت سياسة الاصلاح المالي التي انتهتها عمر بن عبد العزيز الى نظام العطاء الذي بدا كما قلنا في عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه واستمر في عهد الخلفاء بعده ولكن حاد عن عدالة التوزيع في عهد الأمويين السابقين على عمر بن عبد العزيز وأراد عمر بن عبد العزيز حين ولايته على المدينة وقبل تولية الخلافة أن يعمل العدل في العطاء فكتب إلى يزيد بن عبد الملك لاعطاء بنى هاشم نصيبهم منه ولكن رفض فكان من الطبيعي حين ولى خلافة الدولة الإسلامية أن يرد عليهم عطاءهم . وأن يصلح ما طرأ على النظام من مخالفات فقام بالاصلاحات التالية التي تبعت من دائرة العدل العام وهو سمة من سمات الرؤساء الذين يقيمون أمر الدين الاسلام على وجهه الصحيح .

اعلان بطلان عطاء الامراء السابقين :

اعلن عمر بن عبد العزيز بطلان عطاء الامراء السابقين من بنى أمية وأنه سيفبدأ برد ما نالوه من هذا العطاء الى بيت المال . فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فان هؤلاء القوم (يقصد بنى أمية) قد اعطونا عطايا مakan يتبين لنا اننا نأخذها ، وما كان يتبين لهم أن يمطروها .. وأن ذلك قد صار الى ما ليس عليه فيه ذوق الله محاسب ، ألا وانى الآن قد رددتها وبدأت بتنفس وتأمل جيئني » (٢) .

المساواة بين الامراء وسائر الشعب في العطاء :

ساوى عمر بن عبد العزيز بين أمراء بنى أمية وغيرهم من الناس في العطاء ، فاشتكوا من ذلك وأبلغ عنبه بن سعيد شكواهم لعمر بن عبد العزيز وكان قد أرسى لكل واحد منهم عشرة دنانير اضافية فقال له عمر : قل لهم ان عمراً يقرأ عليكم السلام ويقول لكل « أقسم بالله الذي

(٢) سيرة عمر لابن الجوزي من ١٠٦ .

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَالِزَاتُ هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَّةِ سَاهِرًا أَنْأَجِي اللَّهَ وَاسْتَغْفِرُهُ
مَا أَعْطَيْتُهُ لَكُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا وَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَا أَعْطَيْتُكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ دُرْهَمًا
إِلَّا أَنْ يَا خَذْ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ ۝ ۝ فَقَالَ عَنْهُ لَأْمَرَاءُ بَنِي أُمَّةٍ أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ
بِأَنفُسِكُمْ ۝ ۝ تَزَوَّجُتُمُ الْأَنْعَمَ بْنَ الْمُخَطَّابَ ۝ ۝ بَنْتَ عَاصِمٍ ۝ ۝ فَجَتَمْ
بِمَثْلِ عَسْرٍ (۳) ۝

علم تميز أولاد عمر بن عبد العزيز في العدة :

قبيل لعمر بن عبد العزيز قبيل وفاته : « مؤلاء بنوك - وكانوا
اثنتي عشر - الا توصى لهم بشيء ، فأنهم فقراء » فقال : إن ولی الله الذى
نزل الكتاب وهو يتوفى الصالحين ، والله لا أعطيهم حق أحد وهم بين
وجلتين : أما صالح فله يتولى الصالحين وأما غير صالح فما كنت أعيشه
على قصبه . ثم استدعي أولاده فودعهم وعزّاهم بهذا الكلام .

وقال : انصرفوا عنكم الله واحسن الخلافة عليكم

ویقول ابن کثیر :

وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك . مع كثرة ما ترك لهم من الأموال يتعاطى ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل ، سليمان وغيره إنما يتكلون أولادهم إلى ما يدلون لهم ، فيضيرون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم (٤) .

عملة يكشف بيت الأمر الزائد :

أنت ألى عمر بن عبد العزيز فـى دمشق امرأة من :العراق يبـدو عـلـيـها
العنـاء بـسبـب جـهـد السـفـر وـوـعـشـانـه ، وـدـخـلـت دـارـعـمـر ، وـأـجـالـت فـيـهـ
بـصـرـهـا وـذـعـلـت لـقـلـة وـخـشـوتـةـ ما بـداـخـلـهـ فـقـالـتـ : أـهـنـهـ مـنـ دـارـأـمـرـ
الـمـمـتـنـ ؟ أـحـشـتـ أـمـرـ بـسـتـ ، مـنـ هـذـا الـبـسـتـ الـخـرـابـ ؟

قالت لها قاطنة زوجة عمر : إنما خرب هذا البيت عمارة بيوت
أمثالك .

ثم أقبل عمر فكتب إلى والي العراق كي يفرض للمرأة وبناتها (٥)

(٢) سيرة عمر - ابن عبد الحكم من ١٤٠ - ١٤١ وردت في كتاب عمر بن عبد العزير لسمع عبد السلام حبيب من ١٢٧ -

(٤) عمر بن عبد العزيز لابن كثير ، تقديم وتعليق أسد الشريانس ص ١١ .

(٥) سورة عمران لابن عبید المکم من ١٤٠ وردت في كتاب عمر بن عبد المزین اسحه
السلام من ١٠٨ -

استرداد عطاء سابق لبيت المال من زوجة الخليفة :

كانت فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز بنت الخليفة عبد الملك بن مروان وحفيدة الخليفة مروان واخت الخليفة الوليد بن عبد الملك وال الخليفة سليمان بن عبد الملك فهى كما قال فيها الشاعر :

بنت الخليفة وال الخليفة حدها اخت الخلاف وال الخليفة زوجها

وقد أدى ذلك الى أن يؤول اليها في مناسبات مختلفة أموالاً من بيت مال المسلمين في ظل سياسة الخلفاء السابقين لعم من عدم الفصل بين أموال بيت المال وأموالهم الخاصة فمن ذلك ما أمر لها به أبوها في يوم عرسها وزفافها فتجمع لديها الكثير النادر من الجوامر والمؤثر الذي لم ير مثله .

فقال لها عمر : اختارى اما أن تردى حليك الى بيت مال المسلمين واما ان تاذنى لى في فرائك فاني أكره ان تكون أنا وأنت في بيت واحد .

قالت : لا بل اختارك يا أمير المؤمنين عليه وعلى أضعافه لو كان لي .

فأمر بمالها فحمل الى بيت المال (٦) وراحت فاطمة تشارك عمر أشهوشان المعيشة وتقضيها وهي من نسل الخلفاء قبل عمر المتنمرين المترفرين . وتأصل فيها زهد عمر وتقضيها فلما مات عمر واستخلف أخوها يزيد بن عبد الملك .

قال لاخته فاطمة : ان شئت ردت عليك جوهرك وحليك .

قالت : انى لا أشاؤه ، طبت عنه نفساً في حياة عمر ، وارجع قيه وأخذه بعد موته لا والله أبداً . فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده (٧) واغتصب بعد عمر حقوقاً لبيت المال المسلمين اخته منه أيام عمر ، وفي ذلك اقتدت فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز بسمة من صفات زوجات الرسول صل الله عليه وسلم وهي سمة التقشف حينما اخترق الله ورسوله وتزل به القرآن الكريم في آية .

« يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتم ترددن الحياة الدنيا وزررتها ، فتعالين امتعكن واسرحكن سراحها جميلاً ، وان كنتم ترددن الله ورسوله

(٦) سيرة عمر - ابن الهوزي ص ١١٠ وابن عبد الحكم ص ٥٢ .

(٧) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٥٣ وابن الجوزي ص ١٠٧ .

والدار الآخرة فان الله اعده للمحسنات مثمن اجرها عظيما ، (الأحزاب - ٢٨) ٢٩

وفي العصور الحديثة نسمع عن أن بعض زوجات الحكام يطالن في التزيين والتلعم والترفة بما يأخذنه من الأموال العامة في عهد أزواجهن ، يحدث هذا وقد يكون الشعب في ضيق وعنت وعنة ومالية العامة في عجز واستدانة واملاق ، ومن أمثلة ترف زوجات الحكام ما فعلته زوجة حارون الرشيد أحد خلقه العباسيين الذين أتوا بعد الأمريين فيذكر التاريخ أنه كان لها ثوب من الروشى الرفيع يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار وبساط من الديباج من صنع يدها فيه صور من الذهب أعينها يواقعات ، أثافت عليه مليون دينار ، وهذا ثوب وبساط من بين العديد من الأثواب والبسط (٨) .

وقد وصل زهد زوجة عمر إلى الخلافة نفسها فكانت تقول :

« يالبيت كان بيتنا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا
سروراً مثـ دخلت علينا » (٩) .

اجتماع ودعوة لبني امية لرد ما اخلوه من عطاء سابق واموالهن
بیت المآل :

في الدعوى العامة الجديدة التي يتبعها الزعماء والأمراء ورؤسائهم
النواب لتحريك مجتمعاتهم من الضلالات إلى الفضائل والهدىيات يهدأون
بأنفسهم فيتحولوا إلى المذهب الجديد ثم يتبعون ذلك بدعوة ذوى
قرباهم إلى الانضمام إلى الدعوة الجديدة وبذلك يتبلور نموذج عمل
يقتدى به المواطنون تباعاً للنداء الجديد ، وهذا ما فعله عمر فيداً بنفسه
ثم يزوجته ثم عشيرته الأقربين من بنى أمية ، فاقتدى بذلك بسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم حينما أمره جل وعلا بأن ينذر عشيرته الأقربين
أى الأذنين إليه وأنه لا يخلص أحد منهم إلا إيمانه بربه عز وجل .

فعن ابن عباس قال : لما أنزل الله عز وجل « واندر عشيرتك الآقربين » (الشعراء / ٢١٤) أتى النبي صل الله عليه وسلم الصفا

(A) أحمد بن حنبل - أمام أهل السنة - للاستاذ عبد العليم الجندي - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية من ٨٥

١١١ - (٩) مسيرة الإسلام - عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١١١ .

فنسعد عليه ثم نادى : يا صباحاه . فاجتمع الناس اليه بين رجل يجيء
اليه وبين رجل يبعث رسوله .

فقال رسول الله صل الله عليه وسلم : يا بنى عبد الطلب ، يا بنى
فهير ، يا بنى لؤى أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسعف هذا الجبل ت يريد أن
تغیر عليكم صدقتيوني ؟
قالوا : نعم .

قال : فانى لذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبا لك مسائر اليوم أما دعوتنا الا لهذا .

وانزل الله « تبت يدا ابى لهب وتب » (١٠)

وكذلك جمع عمر بن عبد العزيز بنى أمية وقال لهم : يا بنى أمية
انكم قد اعطيتم حطا وشرقا وأموالا وانى لا حسب شطر اموال هذه الامة
او ثلثيها فى ايديكم ، فادوا ما فى ايديكم من حقوق الناس ، ولا تلتجتونى
الى ما اكروه وأحملكم على ما لا تكرهون .

فلم يجبه أحد منهم .

فقال : اجيبونى .

فقال عمر بن عبد العزيز : والله لو لا أن تستعينوا على بين أطلب
هذا الحق له لاخضعتكم عاجلا .. ولكنني أخاف الفتنة .. ولنن ابقاني الله
لاردن الى كل ذي حق حقه ان شاء الله » (١١) .

وبعد ذلك أصدر عمر قراراته بالغاء كافة مخصصات بنى أمية
ومخصصات حرسمهم وخدماتهم وتزعم ما فى ايديهم من اقطاعيات وأرض
زراعية وردها الى بيت المال .

عمر يرفض الوساطة فى استرداده للعطاء :

أمر عمر على سياسة استرداد عطاه وأموال بيت المال من بنى أمية
الذى أخذوها من بيت المال بغير حق بالرغم من كثرة الشفاعات والوساطات
الذى أنت عليه ليحيد عن سياسته بكلمات مانعة وحاسمة .

(١٠) أخرجه الإمام أحمد ورواه البخارى والترمذى والنسائى .

(١١) سيرة عمر - ابن الجوزى من ١١٥ .

فقد اجتمع امراء بنى امية الى عمر فقلوا : انك قد افقرت بنى أبيك فيما ترد من هذه الاموال ، وهذا أمر قد ولدك غيرك من قبلك ، فدع من ولدك وما كان منه يحاسبه الله على فعلته .. وانشقق انت وشأنك واعمل بما رأيت .

قال عمر : أهذا رأيكم ؟

قالوا : نعم .

قال : والله لوددت أن لا تبقى مظلمة في الأرض إلا رددتها .. والله لو لم ينهض الحق ويندحر الباطل إلا بتطهير أوصال وأعصابي لأمضي ذلك وأنا سعيد والله لو لبست فيكم خمسين عاما ، ما أقصت إلا ما أريد من العدل (١٢) .

فليما يأسوا منه أتوا عمتهم فاطمة بنت مروان وكانت لها مكانة عند عمر فهى اخت أبيه فشكوا إليها فاتت إليه وناقشه .

فقالت : « إن عمك عبد الملك كان يجري على ما تعلم .. ثم كان الوليد فزادنى ثم تواليت أنت فمشتني ومنت قرابتك ما كان يجري علينا من أرزاق .. لقد قطعت عنا خيرا كان يجري به غيرك علينا .. أهان في زمانك يا عمر » .

فقال لها عمر : « يا عمه .. إن عبد الملك والوليد وسليمان كانوا يسطوا من أموال المسلمين .. وهي ليست لي حتى أعطي قومي وأصل بها رحى .. لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتحدث عن أمانة المسكم باهتمام عظيم ويلقى تعليماته الرشيدة وتوجيهاته الهدافية إلى الحكم والولاة والقضاة والى كل من يحمل مسؤولية في الأمة .. فالحكم بكل الرواية أمانة عظيمة ومسؤولية كبيرة .. ترتعد من حول حساب الله عليها أفتدة الأبرار ، يقول محمد صلى الله عليه وسلم عن الولاية :

إنها أمانة وإنها يوم القيمة خزي ونداء إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها .. لقد سمع « عبادة بن الصامت » « الصحابي الجليل واحد زعماء الانتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث عن مسؤولية الولاية وعن مصير من يفرط منهم في حق أو تسبّ ذمته بمال .. فاقسم يائة إلا يكون أميرا على اثنين أبدا .. والصحابي الكبير « سليمان الفارسي » تعرض عليه الإمارة فرفضها ويهرب منها ..

(١٢) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٢٥ .

ثالثاً : « ان استطعت ان تأكل التراب ولا تكون أميراً على الثعبان
فافعل » .

فقالت له عمتة : يا عمر ان قرابتك يشكوك . ويزعمون أنهم يسبون
عندك فلا تنكر . وانك أخذت منهم خيراً غيرك وأعطيته للناس .

قال عمر : يا عمة ما منعهم حقاً أو شيئاً كان لهم .

قالت عمتة : انى رأيتهم يتكلمون . وانى اخاف ان يهيجوا عليك يوماً
عصيماً .

فإذا بعمر ينتقض غضباً ويقول : انى لا اخاف سوى حساب الله يوم
القيمة . . وكل يوم اخافه دون هذا اليوم ، فلا وقائي الله شره .

ثم دعا لقطمة من الحديد ومحمره . . ووضع قطمة الحديد على النار
حتى احمرت وتوهجت .

فقال لعمته : « الا تخافين على ابن أخيك من مثل هذا » .

فتركته عمتة وانصرفت لتجد أفراد بنى أمية في انتظارها ، فأخبرتهم
بما حدث وبما آياسهم من الطمع عنده .

وقالت لهم : ذوقوا محبة أمركم . ولا تلومون الا الفسكم يا عشير
بني أمية . . من قال لكم زوجوا حفيدة عمر بن الخطاب لعبد العزيز بن
مروان ؟ إنها بجاءكم بعمر ثان (١٣) .

ومن الحديث السابق تستنتج المبادئ التالية التي قررها عمر بن
عبد العزيز بشأن عطاء أقاربه الأمراء من بيت مال المسلمين .
★ المكمل والولاية أمانة .

★ المال العام مال المسلمين وهو مستقل عن مال المكمل والولاية .

★ من الأمانة أن لا يأخذ المكمل والولاية وأقاربه من المال العام
الإ بالملق .

★ ومن الأمانة كذلك أن يسترد ما أخذه بالباطل ولو كان بموافقة
المكمل والولاية السابقين .

★ تكون أمانة المكمل والولاية مستمرة طيلة مدة حكمهم وولايتهم .

(١٣) سيرة عمر - ابن الجوزي من ١١٧ .

★ لا يخشى الولاة والحكام معارضة من استردت منهم الأموال التي حصلوا عليها من بيت المال ظلماً وبدون وجه حق .

★ اذا قصر الحكم والولاة في استرداد الأموال العامة من مقتضبيها فانه محاسبهم على ذلك يوم القيمة ، كما ان للشعب الحق في محاسبتهم في الدنيا .

رفض عمر لمعارضة مفترضة لاسترداد عطاء وأموال بيت المال :

حاول امراء بنى أمية بكافة الوسائل استرجاع الأموال العامة التي استردت منهم تارة بالمناقشة مع عمر بن عبد العزيز مباشرة وتارة بارسال الوسطاء والشفعاء ليتوسطوا لديه وليتenschosa عنه . فلما يتسوا اعلناوا معارضتهم وتقديم لسياسته بكتاب أرسلوه الى عمر على لسان كبيرهم وشيعيهم الذي شاركهم تلك الأموال العامة ظلماً وهو عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب اليه بكتاب جاء فيه :

« انك أزدريت بين كأن قبلك من المثلثاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بقضائهم وشتاناً لمن بعدهم من أولادهم .. وقطعت ما أمر الله به أن يوصل ، اذ عدت الى أموال قريش ومواريثهم فادخلتها بيت المال جوراً وعدواناً .. يا ابن عبد العزيز اتق الله وراقبه ، فانك لم تكن تعلمتن على منبرك حتى خصصت قرابتك بالظلم والجور (١٤) .. »

ورد عليه عمر بكتاب أوضح فيه ان المال مال المسلمين وفيه حقوق الفقراء والمريض واليتامى والأسرى وان عمال الامراء السابقين جبوا الأموال العامة ظلماً من الشعب وأنفقوها في الترف والمحرمات ، وفيما يلى بعض خقرات من كتاب عمر بن عبد العزيز لعمر بن الوليد .

« تزعم أني من الظالمين ، لأنني حرمتك وأهل بيتك من مال المسلمين الذي هو حق الفقير الجائع .. والمرىض الضائع .. والمظلوم المقهور .. واليتيم والأرملة والأسير وان شئت اخبرتك بمن هو أظلم مني واترك العهد الله .. »

« أه أبوك الوليد ، الذي استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم برأيك .. فويل لك وويل لأبيك ، وما أكثر خصماً لكما يوم القيمة .. وكيف تنجو وينجو أبيك من خصماكه ١

١) سيرة عمر - ابن عبد الحكم - ص ١٣٦ .

وأن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل « الحجاج بن يوسف على خمس العرب » يسفك الدم الحرام . ويأخذ المال الحرام . وان أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل « قرة بن شريك » الفاسق المتهتك على مصر وأذن له في اللهو والشراب . وان أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل « يزيد بن أبي سلم » على جميع المغرب يسفك الدم الحرام . ويجبني المال الحرام . فرويدا يا ابن بنابة (١٥) فلو طالت بي الميata لاتفرغن لك ولاهل بيتك حتى أقيمكم على المحجة البيضاء (١٦) .

العطاء لجميع المسلمين :

ما ولى عمر بن عبد العزيز كان من ضمن ما كتبه آيات من القرآن اختارها ليعلن أن الفيء ومنه العطاء لجميع المسلمين فقال :

« ... ثم أفاء الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أمواله قرى لم يوجف عليها خيل ولا ركاب فقال فيها لتكون سنة فيما يفتح الله من القرى بعدها » .

« وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفthem عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء والله على كل شيء قدير » (المشتر / ٦) -

وقال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله ولرسول ولذاته القربي واليتامى والمساكين وإن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذلوا وما نهاكم عنه فاتهروا واتقوا الله إن الله شديد العقاب » (المشتر / ٧) .

ثم سمع في هؤلاء الآيات التي للMuslimين ، فليس لأحد منهم قسم إلا وهو في هذه الآيات فقال : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانه وينصرن الله ورسوله أولئك هم الصادقون » (المشتر / ٨) .

وأهل هذه الآية من خرج من بلده مهاجرا إلى المدينة وليس فيهم الأنصار .

ثم قال : « والذين تبوعوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يحذرون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويزغرون على أنفسهم

(١٥) بنابة من أم عمر بن الوليد بن عبد الملك .

(١٦) سيرة عمر - ابن الجوزي ص ١١٢ .

ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شيخ نفسه فاولئك هم الملاحسنون «
» المشر / ٩ .

وأهل هذه الآية من كان بالمدينة من الأنصار . فان هجرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانت اليهم .

نم قال في الآية الثالثة وهي التي جمعت حظ من بقى من المسلمين
بعد هذين الصنفين الأولين في الاسلام وقسم المال « والذين جاموا من
بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالاعيان ولا تجعل
قى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم » (المشر / ١٠)

فهم جماعة من بقى من أهل الاسلام ومن هو داخل فيه بعد الهجرة
الاولى حتى تنقضى الدنيا (١٧) .

ومما يلاحظ أن ما أورده عمر بن عبد العزيز من آيات هي نفسها التي
اوردها قبله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتأييد وجهة نظره في عدم
تقسيم أرض الفقائم وكانت حجته أن توالى الآيات والتنويع عن الفقيم في
الآية السادسة من سورة الحشر وأنها في المجرى كلها في الآية السابعة
وللمهاجرين في الآية الثامنة وللأنصار في الآية التاسعة ولمن جاء من بعدهم
في الآية العاشرة - يؤيده وجهة نظره بعدم التقسيم ويؤيده جعل أرض
الفقائم لصالح جماعة المسلمين حاضراً ومستقبلأ (١٨) .

تنفيذ وعد سابق بشمول العطا :

вшمول العطا جميع المسلمين وعدم ايهام الخليفة نفسه بالأدوار كان
أيضاً تفييناً لوعده كان عمر بن عبد العزيز وعد به في عهد سليمان بن
عبد الملك .

فقد حمل بعض وجهاء خراسان سليمان هدايا ثمينة من الذهب
والجواهر واللآلئ والسر والزبرجد والياقوت والتحف النادرة وكان عنده
وزيره عمر بن عبد العزيز ففرح سليمان بالهدايا فرحاً شديداً وأمر
اصحابها أن يمروا بها على همر ليراهما ، فكان كلما مر بعمر صرف منها
ساله سليمان : كيف ترى هذا ؟

(١٧) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد المطر - تعلق احمد عبد - طيبة لابنة
من ٦٢ ، ٦٣ .

(١٨) السياسة المالية لسر بن الخطاب تأليف قطب ابراهيم محمد طبعة أولى من ٧٢ .

فيقول عمر : يا أمير المؤمنين ، إنما هو متابع الحياة الدنيا .

قال سليمان : يا ابن عبد العزيز فو الله لو وليته ما أنت صانع فيه

قال عمر : أوزعه حتى لا يبقى منه شيء

قال سليمان : اللهم اشهد

ولكن سليمان قبل الهدية .

وقال : النبي عليه الصلاة والسلام قبل الهدية

قال عمر : كانت له هدية وهي من بعده رشوة وقد نهى عمر بن الخطاب عن قبول الهدية (١٩) .

تنظيم العطاء في عهد عمر بن عبد العزيز ١

ثم راح عمر بن عبد العزيز يضع التنظيمات الالزمة لنظام العطاء حتى يقوم على أساس من العدل فيقتدى بسنة الرسول صل الله عليه وسلم ويستشير في قواعد التطبيق ويجهد استناداً لما ورد في القرآن الكريم وينهي حقوقاً للورثة في العطاء ويسعى بإجراءات بتطبيق الامر كزيرة ويعالج بعد ذلك ثغرات التطبيق ، وذلك على التفصيل التالي :

استلهام سنة الرسول في عطاء الفصر :

عن نافع عن ابن عمر قال : « عرضني رسول الله صل الله عليه وسلم للقتال يوم أحد فاستصغرني فردي وكتت ابن أربع عشرة سنة وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة وأجازني » .

فلما سمع عمر بن عبد العزيز من نافع بذلك كتب إلى عماله :

« من بلغ خمس عشرة سنة فاقرروا له في المقابلة ومن كان دون ذلك فاقرروا له في النزارة فالاصل أن الفلام يعتبر في المقابلة اذا بلغ الحلم فيأخذ عطاء المقابلة فان شك فيه فلا يعطى عطاء المقابلة حتى يبلغ خمس عشرة سنة اقتداء بما فعله رسول الله صل الله عليه وسلم حينما أجاز لابن عمر أن يجاهد يوم الخندق حينما بلغ خمس عشرة سنة ولم يجز له ذلك حينما كان سنه دون ذلك » (٢٠) وما يدعم رأي عمر أن ذلك مطبق أيضاً في المحدود والشهادة .

لعن مكتحول قال « اذا بلغ الفلام خمس عشرة سنة جازت شهادته . ووجبت عليه المحدود » (٢١) .

(١٩) خاتم الراشدين - سلسلة مقالات بقلم عبد الرحمن الشرقاوى - بجريدة الاهرام عدد ٢٤/٧/١٩٨٥ .

(٢٠) المراج لابن يوسف - مرجع سابق من ١٧٥ .

استئثاره في عبد العلاء :

حدث سليمان بن حبيب :

« إن عمر بن الخطاب فرض لعيال المقاتلة ولتدريبهم المشرفات يرثها من ليس في المطاف والمشرفة ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فسالني عمر عن ذلك فأخبرته فانكر الوراثة وقال (أبي عمر) : اقطع الوراثة وأعم الفريضة .

فقلت : مهلا يا أمير المؤمنين فاني أخاف ان يستنق بك من بعدك في
قطع الوراثة ولا يستنق بك في علوم الفريضة .

قال : صدقت اتركم (٢٢) .

فعمر بن عبد العزيز استطلع الرأي فيما كان في عهد عمر بن الخطاب، واراد أن يعدل ما كان يطبقه من باب الاجتهاد، فلما أشير عليه بأن ذلك قد يؤدي إلى خلل في نظام العطاء بعده، عدل عن رأيه.

اجتهاد في الملة استناداً للقرآن :

حدث مروان بن شجاع البزري قال : أتني عمر بن عبد العزيز
وأنا فطيم في عشرة دنانير (٢٣) وحدث محمد بن كثير عن أمية بن يزيد
قال : سالت عمر بن عبد العزيز لأبن لي (يعني لم يبلغ الطعام) فقال :
لو كنت أفرض لأبن لي مثله فرضت لهذا (أي لو كنت أفرض لأبنى الذي
لم يتم رضاعة فرضت لأبنك) (٢٤) .

وكان عمر بن الخطاب يفرض للطفل حين يفطم ثم عدل عنه وفرض للطفل حين ولادته فاجتهد عمر بن عبد العزيز ورأى أن يتقرر عطاء الأطفال حين يفطمون . وفي القرآن ما يؤيد اجتهاده . فالقرآن يقرر أن رضاع الطفل نفقة على أبيه فان لم يكن له أب فهل الوارث اذا لم يكن للصبي مال فان كان له مال فسن ماله (٢٥) .

وَمَا دَامَتْ تَكْلِفَةُ رِضَاعِ الْطَّفْلِ عَلَى أَبِيهِ وَابْنِهِ يَا خَذْ عَطَاءَ بَيْتِ الْمَالِ ،
فَلَا يَكُونُ الْطَّفْلُ قَبْلَ الْقَعْدَةِ وَفِي فَتَرَةِ الرِّضَاعِ لَيْسَ حَاجَةً لِلْمُعْطَاهِ ٠

• (٢٢) الاموال لآن عبید من ٣٠٠ •

٤٠٤ - **الباحث في المخطوطات** - ٢٢)

^{٤٢} (٤٢) الموجز السياسي لـ ٦-٣-٢.

(٢٥) الأصول لا يُعلم — مرجع سابق ص ٣٠٣

تنظيم ميراث العطاء :

كان عمر بن عبد العزيز اذا وجب للرجل عطاءه ثم مات اعطاءه ورثته .
وقد كتب للقائرين على العطاء يأمرهم بذلك فقال :

أن النظر في أهل الدوادين فمن كان عمل على عطائه سنة كاملة
ثم يقبض (أي يموت) بعد ما يؤمر للناس باعطياتهم ، فامر لأهله بعطائه
حتى وإنجاها ، (٤٦) .

لـ مـركـبة العـطـلـات :

قال أبو مجلز لعمر : إنك وضعتنا بمنقطع التراب ، فاحمل علينا .

قال عمر : يا مجلز قلبت الامر .

قال أبو مجلز : يا أمير المؤمنين أمو لنا أم لك .

قال عمر : يل هو لكم اذا قصر خراجكم عن اعطيائكم .

قال أبو مجلز : فلا أنت تحمله علينا ولا نحمله إليك وقد وضعْتْ
بعضه على بعض *

قال عمر : أحمله اليكم ان شاء الله .

ومن المنشطة السابقة يمكن استنتاج المبادئ التالية بشأن الخارج والاعطيات : (٢٧)

الأصل أن يكون المطه لأهل بلدة من مواردها وأنه إذا قصر خراج
بلدة عن عطائها يتم تعويضها عن النقص من فائض بيت المال المركزي .
وبذلك يكون توزيع المطه قائم على سياسة الامر كزية . ويرؤى بذلك نصيحة
عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائى وقد وله على الخراج فى خراسان
خقال . فاستوعب الخراج واحرزه فى غير علم . فان يك كافيا لاعطياتهم
فحسنا . . . والا فاكتتب الى حتى اكسل لك الاموال فتتوفر لهم اعطياتهم .

فليما قدم عقيبة وجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم .

^{٤٨} فامر عمر بتقسيم الفضل في أهل الحاجة (٤٨).

٢٦) الاموال لا ينبع - مرجع سابق ص ٣٦٢ .

٥٧٠ - مرجع سابق من الطيري الجزء ٦ - (٢٧)

٤٨) سرعة عمر - اين عبد المكيم من ١٤٠ - ١٢١ -

عطاء وولاه للرسول صل الله عليه وسلم :

دخل على عمر بن عبد العزيز رجل غريب يلتمس عنه مالا ، وكان يعطي الشرباء مائتي درهم .

فقاله عمر : من أنت ؟

قال : من أهل المجاز

قال : من أى أهل المجاز ؟

قال : من أهل المدينة يا أمير المؤمنين

قال : من أهيم *

قال : من قريش

قال : من أى قريش ؟

قال : من بنى هاشم يا أمير المؤمنين

قال : من أى بنى هاشم

قال : مولى على

قال : من على ؟

قال : على بن أبي طالب يا أمير المؤمنين .

فجلس عمر ووضع يده على صدره .

وقال : وأنا واثق مولى على : قال رسول الله صل الله عليه وسلم .
من كنت مولاه فعلى مولاه .

ثم سأله مزاحم : كم يعطي مثله من الشرباء

قال مزاحم : مائتي درهم

قال : أعطيه خمسين دينارا (خمسة درهم) لولاته من على .

ثم سأله : إن كان له عطاء

فقال الغريب : لا

ففرض له عطاء

وقال له : المق ببلادك ، فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتي غيرك (٤٩)

(٤٩) خاتم الخلفاء الراشدين وسلسلة مقالات - عبد الرحمن الشرقاوى - الاصرام

١٤/٨/١٩٨٥

عطاء وكلمة طيبة :

وكتيراً ما كان عمر بن عبد العزيز يحيط عطاه بيت المال بكلمة طيبة ورفق في المعاملة إذا ما أتوه أرباب الحاجات يسألونه العطاء أو يغفو عن إسامة من إساءة فيسنج المستحقين العفو والعطاء معاً وذلك كما يتبع ما يلى :

★ دخل أعرابى على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

فقال : يا أمير المؤمنين ، جاءت بي إليك الحاجة وانتهت إليك المعاية
والله سائلك عنى .

فبكى عمر

فقال : كم أنتم .

فقال : أنا وللات بنتاً .

ففرض له عمر بن عبد العزيز ثلاثة وعشرين لبيات مائة وأعطاء
مائة درهم من ماله .

وقال له : اذهب واستتفقها حتى تخرج اعطيات المسلمين فتاخذ
عهده (٣٠) .

★ خرج ابن عمر بن عبد العزيز وهو صغير ، يلعب مع الفلان فشجه
صبي منهم ، فاحتلوا الصبي الذي شج ابنه و جاءوا به إلى عمر
فسمع الجلبة فخرج إليهم

فإذا امرأة تقول : انه ابني ، وأنه يتيم .

فقال لها عمر : هونى عليك ، الله عطاء في الديوان

قالت : لا

قال : فاكتبوا في الدرية

فقالت فاطمة زوجة عمر : أتفعل هذا به وقد شج ابنك ، فعل الله
به وفعل ، المرة الأخرى يشج ابنك ثانية .

فقال عمر : الله يتيم وقد أفرزتموه (٣١) .

(٣٠) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - مرجع سابق ص ١١٨ .

(٣١) المرجع السابق من ٧٥ .

نصيحة بدل العطاء :

وكان عمر يتصفح أولئك الذين يأتونه يطلبون العطاء ولا حق لهم فيه فقد جاءه رجل من قريش كان بنو مروان يعطونه اذا سألهم ، فطلب من عمر فرفض ، فذكر أن عبد الملك بن مروان والوليد وسليمان ابنا عبد الملك كانوا يعطونه كل عام آلاف الدنانير ، فقال له عمر « هذا لا يجوز » .

فخرج الرجل غاضبا ، فناداه عمر ، فعاد الرجل مبتهجا ، فقد خيل اليه أن عمر سيعطيه حتى يرضي . ولكن عمر أعطاه نصيحة جاء فيها :

« اذا رأيت شيئا من الدنيا فاعجبك فاذكر الموت فانه يقلله من نفسك ، وادا كنت في شيء من أمر الدنيا قد غمك ونزل بك ذا ذكر الموت فانه يسهله عليك ، وهذا أفضل من الذي طلبت » (٣٢) .

(٣٢) خاتم الراشدين — بقلم عبد الرحمن الغرباوي — عدد الاهرام ١٩٨٥/٨/٧

تطبيق سياسة رد المظالم في عهد عمر بن عبد العزيز

تعريف سياسة رد المظالم :

تقع أحياناً مظالم من ذوى النفوذ والسلطان في الدولة من حكام وولاة وغيرهم، ويُسْجِزُ القضاء العادى عن إيصال الحق إلى صاحبه لاقتصار وظيفته على القضاء والانتقام لسلطة التنفيذ، ولرد هذه المظالم وجدت في الإسلام وظيفة « ولـي المظالم » أو « صاحب المظالم »، كما كان يطلق عليها في بعض العهود.

ويعرف أحد علماء المسلمين، ولـي المظالم فيقول :

« إن ولـي المظالم كولاية القضاء وكولاية الحرب وكولاية الحسبة جزءٌ ما يتولاه على الأمر الأعظم ويقيم فيه نائباً عنه ، من تكون فيه الكفاية والهبة لأدائه ، ويسمى المتول لأمر المظالم ناظراً ولا يسمى قاضياً وإن كان له مثل سلطان القضاء ومثل إجراءاته في كثير من الأحوال ، ولكن عمله ليس قاضياً خالصاً ، بل هو قاضي وتنفيذى ، فقد يعالج الأمور الواضحة بالتنفيذ أو بالصلح أو بالعمل الحبرى بأن يرد لصاحب الحق حقه فهو قضاء أحياناً وتنفيذى أدارى أحياناً » .

ويوضح الماروبي الغرض من قضاء المظالم بأنه هو :

« قود المظلومين إلى التناصف بالرعبه وذجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة » .

كما يوضح مواصفات ناظر المظالم بأنها :

« أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع ، لـأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماة وثبت

التضاد ، فيحتاج إلى التجمع بين صفات الفريقين ، وان يكون بجلال القدر نافذ الأمر في الجهاتين .

ربط سياسة رد المظالم بالاصلاح المالي :

ولا يكفي لتحقيق الاصلاح المالي في أي دولة أن تنتفي المالية العامة ايرادا وانفاقا وادارة مما شاب مسارها من مخالفات وتجاوزات ، بل ينبغي أن يمتد الاصلاح المالي إلى معاملات المال الخاص فتمنع آية مظالم وقتت عليه سواء من بده تنفيذ سياسة الاصلاح أو قبلها ، لأن المال الخاص هو الشيع والمصدر للأموال العامة ، ويتم ذلك الاصلاح بوضع نظام بجاذب القضاء يلجه المظلومون لطلب النصفة من الظالمين خصوصا إذا كانوا أولى قوة وبأس شديد وذوى قربى من الرؤساء والحكام ، وبغير ذلك يظل المقصوبون للأموال الخاصة معتززين بظلمهم والمظلومون مقهورين لافتراض اموالهم .

أدرك عمر بن عبد العزيز ذلك فربط سياسته للإصلاح المالي بسياسة عامة لرد المظالم وبذلك أقام نشاطا للدولة الإسلامية أساسه العدل فاحيا مبادئه الاسلام .

وفيما يلي المبادئ التي أقام عليها عمر بن عبد العزيز سياسته لرد المظالم :

اسس سياسة رد المظالم :

قامت سياسة عمر بن عبد العزيز لرد المظالم على الأسس التالية :

- عزل الولاة الذين ظلموا الرعية واستباحوا حقوقها .
- التعمييل برد المظالم والاعلان عنها .
- الاعلان عن مكافآت لمن يرشد عن مظلة .
- رفض طلبات لولاته تحمل شبهة الظلم .
- تطبيق الامر كزية في رد المظالم وتبسيط وتسهيل اجراءاته .
- منع المظالم عن بيت المال قبل وقوعها .
- مراجعة السوابين ورد المظالم للورثة .
- عدم التردد والزم في تنفيذ سياسة رد المظالم .
- مساندة سياسة رد المظالم بنظام عادل للقضاء .

ونناقض فيما يلي سياسة رد المظالم مع تعزيزها بحالات تمت في عهد
عمر بن عبد العزيز رد فيها المظالم .

عزل الولاة الظالمة :

ما أن ولَّ عمر بن عبد العزيز خلافة الدولة الإسلامية حتى بادر
بالعمل على إيقاف المظالم وكانت أولى خطواته في ذلك عزل الولاة الظالمة
الذين أذلوا الناس وأوقعوا بهم العبور . فقد كان يعرفهم قبل توليه الخلافة
ونوه عنهم فقال :

« الوليد بالشام والمجاج بالعراق ومحمد بن يوسف باليمن وعثمان
ابن حيyan بالسجاف وقرة بن شريك بمصر ويزيد بن أبي مسلم بالغرب ،
امتلأت الأرض والله جورا » (١) .

وقد شمل العزل بعد ولادته مباشرة كلا من :

– أسامة بن زيد التنوخي صاحب خراج مصر وكان سليمان بن
عبد الله قد ولَّه على الخراج وكان أمير مصر أذا ذلك هو ابن رقاعة وكان
صالحاً عفيفاً حسن السيرة يقيم العدل في الرعية . فلما وجد أن صاحب
الخراء يشق على أهل مصر في الخراج فكان يقطع الأيدي في خلاف ما أمر
الله به ويشق أجواف الدواب فيدخل فيها من لم يدفع الضريبة ومن يخالفه
والتصوّس وقطع الطريق ثم يلقى بهم إلى التماسيع لتلتهمهم التهاماً ،
شكاه الناس إلى سليمان بن عبد الله ولكن سليمان كان يحتضنه بعد
أن رسم له سياسته في الخراج وقد أوضحنا أنه كان يقول له .

« احذب الدر حتى ينقطع » والدر هو « البن » واحذب الدر حتى
ينصرم » .

وقد حاول عمر اقتحام سليمان بعزل هذا البار الظلوم .

ولكن سليمان قال له في اعجاب بأسامة التنوخي « أسامة لا يرتشى
ديناراً ولا درهماً » .

قال عمر : أنا أدللك على من هو أشر من أسامة ولا يرتشى ديناراً
ولا درهماً .

قال سليمان : من هو ؟

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز – ابن عبد الحكم – تفسير وتعليق أسد عبيد –
طبعة ثانية من ١٤١ .

قال عمر : عدو الله ابليس *

من أجل ذلك كان أول ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو عزل أسامة التنوخي وحبسه بما اقترف من جرائم وأمر به أن يقيمه في الأصفاد ، ولا ترفع عنه إلا وقت الصلاة (٢) .

— وعزل عمر بن عبد العزيز كذلك أمير أفريقيا يزيد بن مسلم وأمره بأن يقدم حسابه فقد كان يأمر مخالفيه أن يذبوا بين يديه ويشهد عذابهم سعيداً متلذذاً به وهو يسبح ويكبر ويقول :

« سبحان الله والحمد لله ، عذبوا في موضع كذا من جسمه ، لا إله إلا الله والله أكبر ، شد يا غلام موضع كذا ... » (٣) .

— كما عزل عمر بن عبد العزيز خالد بن الريان سيف الوليد وصاحبها ، فقد حدث في عهد سليمان بن عبد الملك أن أرسل في طلب عمر بن عبد العزيز فدخل عليه فإذا هو عابس فأشعار إليه أن الجلس فجلس .

فقال سليمان : ما تقول فيمن يسب الخلفاء أيقتل ؟

فسكت عمر ثم عاد الوليد فسكت ثم عاد .

فقال عمر : أقتل يا أمير المؤمنين !

قال سليمان : لا ولكن سب .

فقال عمر : يتكلل به .

فغضب سليمان وخرج .

وكان عند سليمان بن عبد الملك صاحب حرسه وسيفه خالد بن الريان ، فأمره بضرب عنق الرجل .

فلما خرج سليمان .

قال خالد بن الريان لعمر : تقول لأمير المؤمنين ما أرى عليه إلا أن تشتمه كما شتمك ! والله لقد كنت متوقعاً أن يأمرني بضرب عنقك .

قال عمر يسأله : لو أمرت لفعلت ؟

قال خالد بن الريان : أني والله لو أمرت لفعلت .

(٢) سيرة عمر - ابن عبد الحكم من ٣٢ .

(٣) المرجع السابق من ١٠٢ .

فلمما تولى عمر الخلافة استدعى بن الريان وعزه عن الحرس .

وقال له : يا خالد ضع السيف عنك ، اللهم انى قد وضعت لك
خالد بن الريان ، اللهم لا ترفسه ابدا .

وولي عمر على الحرس عمر بن مهاجر الانصاري (٤) .

ولم يكتف عمر بن عبد العزيز بعزل الظالمين من ولاته وعماله بل
اعلن في احدى خطبه أن الامام الظالم عاص ف قال :

« لا طاعة لخلق في معصية الله ، الا وانكم تعلون المارب من ظلم
امامه عاصيا ، الا وان أولاهما بالمعصية الامام الظالم » (٥) .

التعجيز في رد المظالم والاعلان عنها :

وكان عمر حينما عزل الظلة من ولاته قد بدأ بازالة سبب هام من
الاسباب التي تؤدي لوقوع المظالم وكان أحد أبنائه قد استعجله في تطبيق
سياسة رد المظالم فبعد أن بويح بالخلافة ذهب عمر يوما يتبعوا مقيلا فاتاه
ابنه عبد الملك .

قال : يا أمير المؤمنين ماذا تريده أن تصنع ؟

قال يا بني : اقيس .

قال : تقييل ولا ترد المظالم إلى أهلها .

قال : انى سهرت البارحة في أمر سليمان ، فان صلبيت الظهر رددت
المظالم .

فقال ابنه : ومن لك أن تعيش إلى الظهر .

قال : ادن مني أى بني .

فدعنا فقبله بين عينيه .

وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعيث في على ديني (٦) .

ـ وبلغ عمر إلى جميع وسائل الاعلام التي كانت في عهده للإعلان
وابлаг الشعب بأن يتقدم كل صاحب مظلمة للدولة لرد مظلمته فاعلن

(٤) في رواية أخرى أن الذي استدعى عمر هو الوليد . انظر عمر بن عبد العزيز
لابن كثير القرشي من ٥٣ .

(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - تصحيح وتعليق أحمد عبد
طبعة تالية - من ٣٧ .

(٦) عمر بن عبد العزيز لابن كثير مرجع سابق من ١٠٧ .

ذلك على الناس سواه عن طريق منادٍ ينادي في الناس بذلك أو بما القاء من خطب أو بما وزعه من منشورات مكتوبة على القصub ، وفيما يلى نماذج لذلك :

★ ما ان نزل عمر من على المنبر يوم انته الخلافة حتى ارسل قبل صلاة الظهر مناديا ينادي في الناس « من كانت له مظلمة فليزفها » (٧) .

★ ووقف عمر في الناس خطيبا فقال :

« وما منكم من أحد تبلغنا حاجته يتسع له ما عندنا الا حرمنا ان نسد حاجته ما استطعنا وما منكم من أحد تبلغنا حاجته لا يتسع له ما عندنا، الا تمنيت ان يبدأ بي وبخاصة حتى يكون عيشنا وعيشهم سواه » .

★ وامر عمر ان يذاع منشور له عن رد المظالم في جميع الانطارات وحيث تجتمع الناس في المواسم والمساجد والأسواق وورد فيه : « من ظلمه حاكمه مظلمة فلا اذن له على » (٨) .

اعلان عن مكافأة من يرشد عن مظلمة :

أمر عمر بن عبد العزيز أن يعلن في موسم الحج على الناس الاعلان التالي :

« ايما فرد قدم علينا في رد مظلمة في أمر يصلح له به خاصا أو عاما من أمر الدين فله ما بين مائة دينار الى ثلاثة بقدر ما يرى من الحسبة وبعد الشقة وطول السفر ويقدر ما يحق الله به حقا أو يحيط به باطلا أو يفتح به من ورائه خيرا ، ولو لا أن أطيل عليكم فيشغلكم ذلك عن مناسككم لسميت أمورا من الحق اظهروا الله وأمورا من الباطل أماتها الله » (٩) .

تعليمات عمر لعماله بتجنب المظالم :

بدأ عمر بن عبد العزيز بولاته فنصحهم وأوصاهم بعدم ارتكاب المظالم وحذرهم من السير على شاكلة من سبقوهم في ظلم الرعية وایقاع الجور والجحيف بها فارسل لهم الكتب بذلك وأشهد الناس عليهم وطلب منهم مراقبة هؤلاء الولاة وعدم الاستجابة لأى ظلم يحاولون ايقاعه بهم .

(٧) سيرة عمر : ابن الجوزي من ١٠٤ .

(٨) سيرة عمر : ابن الجوزي من ٥٥ .

(٩) المربع السابق من ٧٣ .

ومن نصائح عمر لولاته عن تجنب الظلم :

« كونوا في العدل والاصلاح والاحسان بقدر ما كان قبلكم في الظلم والجور والمدوان ولا حول ولا قوة الا بالله » ان الناس قد أصابهم بلا وشدة وجور في احكام الله وسنته سنتها عليها عليهم عمال السوء الذين قلما قصدوا الحق والرفق والاحسان » (١٠) .

ومنها ايضاً :

« ادرموا الحسود بالشبهات ما استطعتم في كل شبهة . فار الواى اذا اخطأ في المفو خير من ان يتعدى في العقوبة » (١١) .

ويذعن الناس لراقبة عماله فيقول :

« انى قد استعملت عليكم عمالاً لا اقول انهم خيركم ... ولكن اقول انهم خير من هم شر منهم » (١٢) .

ويأمر عمر الناس بعدم طاعة الحاكم اذا هو انصرف عن الحق فيقول :

« اي عامل من عمال رغب عن الحق ، ولم يعمل بالكتاب والسنّة فلا طاعة له عليكم وقد صيرت امره اليكم حتى يراجح المسق وهو ذميم » (١٣) .

رفض عمر طلبات لولاته تحمل شبهة الظلم :

يحاول بعض الولاة ان يتخلوا من الظلم وعinem تطبيق القوانين . وانزال العقاب بالناس وسيلة للاصلاح ومهلاً ان أصابوا مرة اخطأوا مرات ، وتكون اصلاحاتهم ان تتحقق قد قامت على أساس منافية للعدل وهو عمد اي اصلاح دائم شامل وركيزة رضاه الشعب عن هذه الاصلاحات وتقبله لها . لذلك رفض عمر بن عبد العزيز طلبات الاصلاح التي تقدم بها ولاته بوسائل تعريض عن الحق والعدل فمن ذلك :

(١٠) سيرة عمر - ابن الجوزي من ١٠١ .

(١١) سيرة عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام من ٦٤ .

(١٢) سيرة عمر - ابن الجوزي من ٧٢ .

(١٣) المرجع السابق من ٧٢ .

★ ول عمر بن عبد العزيز « يحيى الفساتي » على الموصول فلما
قدمها وجدوها من أكثر البلاد فسادا ، تنتشر فيها السرقة والجريمة ،
فكتب إلى عمر يعلمه بحال البلد ويسأله هل يأخذ الناس بالظنة ويضرب
على مجرد التهمة أو يأخذهم بالدليل والبينة .

فكتب إليه عمر :

« خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة .. فان لم يصلحهم الحق
فلا يصلحهم الله .. » (١٤) .

★ وحيث أن تلقى عمر كتابا من واليه على خراسان يطلب منه
فيه أن ياذن له باستخدام القوة والعنف مع أهلها قاتلا ، اهـ لا يصلحهم
السيف والسوط ..

فكتب إليه عمر :

« كذبت .. بل يصلحهم العدل والحق .. فابسط ذلك فيهم ، واعلم
ان الله لا يصلح عمل الفاسدين ان قلوب الأمم لا تملك بالقسر
والقسوة .. » (١٥) .

بل ذهب عمر إلى أكثر من ذلك فسلب الولاية حق الحكم بقتل
الناس بعد أن أسيئوا استعمال هذا الحق في العهود السابقة وقرر عدم
قتل أحد الا بعد عرض قضيته عليه شخصيا وأخذ رأيه حتى يتحقق
قول الله جل وعلا :

« ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » (الأنعام/من ١٥١) .

تطبيق الالامركزية في رد المظالم :

ولسرعة رد المظالم وتبسيط اجراءاتها أمر عمر بن عبد العزيز
ولاته بذلك على التحول الذي اوضحتنا كما امر عماله بعدم مراجعته فيما
يأمر به من رد للمظالم ، كما اجاز نقل الأموال لرد المظالم من بيت مال
احدى الولايات الى بيت مال ولاية اخرى اذا كانت هذه الولاية ليس بها
أموال ، فلما نفذ بيت مال العراق في رد المظالم حمل إليها من الشام (١٧)
وكتب إلى عامله على اليمن بعدم التردد في رد المظالم فقال :

(١٤) المرجع السابق ص ٦٢ .

(١٥) المرجع السابق ص ٦٣ .

(١٦) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٧٧ .

(١٧) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٠٧ .

« أما بعد فاني أكتب اليك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعني
ولا تقدر المسافة بيني وبينك ولا تعرف أحداث الموت - حتى لو كتبت
اليك أن أردد على مسلم شاة ٠٠ لارسلت تسالنى أن أردد لها عفراه
أو سوداء ٠٠ فانتظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني ٠٠ وتبين
وجه الحق فيه ثم امضه » .

وكتب إلى عامله على الكوفة (١٨) :

« يخلي الني لو كتبت اليك أن تعطى رجلا شاه ، لكنت الني
أنسان أم ماعز . فان كتبت بأحدعها كتبت الني أصغيرة أم كبيرة فان كتبت
اليك كتبت الني اذكر أم انتي فان اناك كتابي في مظلمة فاعمل بها
ولا تراجعني » (١٩) .

وكتب إلى آخر :

« انك تراجعني ٠٠ فنقد ما اكتب به اليك من الحق فانه ليس
للموت ميقات نمره ٤ ، (٢٠) . وشبيه بكثرة أمسئلة ولادة عمر في رد
المظالم وأمثالهم من عمال الدولة المترددin ما فعله بنو اسرائيل مع موسى
حيثما أمرهم بذبح بقرة وضرب القتيل ببعضهما فتعود اليه الحياة ويرشد
عمن قتلها ، فقد أكثروا من الأسئلة وما كادوا يفعلون ما أمرهم به موسى
عليه السلام ويشير القرآن الكريم إلى ذلك ، فيقول الله جل وعلا :

« وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّسُوا بِقَرْبَةٍ قَالُوا أَتَتَخْذِنَا
حَزْوَانًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبْيَنْ لَنَا
مَا هُنَّ قَالَ أَنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرَبُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَاقْعُلُوهَا
مَا تُؤْمِرُونَ ، قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبْيَنْ لَنَا مَا لَوْتَهَا ، قَالَ أَنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ صَفَرَاءٌ فَاقْعُلُوهَا تَسْرِيَنَّا وَإِنَّمَا أَنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْهَدُونَ ، قَالَ أَنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تَثْبِرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقُى الْمَرْثَ مُسْلِمَةٌ لَا شَيْءٌ فِيهَا ، قَالُوا
الآنْ جَئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » (البقرة / ٦٧ - ٧١) .

١٨) سيرة عمر - ابن الجوزي ص ٩٧ .

١٩) الموسوعة - عمر أبو النصر ص ١١٢ .

تسهيل اجراءات رد المقالم ١

وتبسيطاً وتسهيلاً لرد المظالم كان عمر بن عبد العزيز يكتفى
لاتهات حق المظلوم بالبينة ويفسر الشك لصالحه .

ـ فقد قال أبو الزناد : كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم إلى
أهلها بغير البينة القاطعة وكان يكتفى بالبينة إذا عرف وجه مظلمة الرجل
ردها عليه ، ولم يكلّفه تحقيق البينة لما يعرف من غشّم الولاة قبليه
على الناس (٢١) .

ـ وكتب عمر بن عبد العزيز كتاباً إلى عماله بتفصيل الشك
لصالح المظلوم هذا نصه :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العمال ١

اما بعد فاني كتبت اليكم برد المظالم ، ثم كتبت اليكم
ان تحبسواها ، ثم كتبت اليكم بردّها ، فاطلعت من بعض أهلها على
خيانات وشهود زور حتى قبضت أموالاً قد كتبت ردها ، ثم رأيت ان
أردها على سوء هن بأهلها أحب الـ من أن أحبسها حتى ينجلي الأمر من
غد على ما يتعلّق به ، فإذا جاءك كتابي هذا فاردها على أهلها والسلام
عليك ، (٢٢) .

منع المقالم عن بيت المال قبل ولوّها :

لم تكتف سياسة عمر بن عبد العزيز برد مظالم وقعت بل كانت
تمتنع تشوّه طلامات جديدة ، فكان يرفض طلبات العاطلين في الأموال
العامة ولو كان من قرابته أو من أصدقائه وكان بذلك يضرّب المثل لولاته
وعماله ويقدم القدوة لهم ليحتذوا حذوه وحتى يسيراً على مثاله .

ـ فقد جاء عمر أحد أصدقائه من بني عمه وسأله مالاً .

فقال له : إنّ كان مالك الذي أصبع عنده حلالاً فهو كافيك وإن
كان حراماً فلا تزيدن إليه حراماً .

الا تخبرني أحتاج أنت ؟

قال : لا .

قال : فعليك دين ؟

قال : لا .

(٢١) سيرة عمر بن عبد العزيز - ابن عبد الحكم - تصحّح وتعليق أحمد عبيد .
ص ١٠٦ طبعة ثانية .

(٢٢) المرجع السابق ص ٧٧ .

قال : أفتامرني أن أعمد إلى مال الله فاعطيكه من غير حاجة ياك
إليه ، وأدع فقراء المسلمين ، لو كنت غارما (مدينا) أديت غرمك
(دينك) أو محتاجاً أمرت لك بما يصلاحك ، فعليك بما لك الذي عندك
فكله (أفقه) واتق الله وانظر أولاً من أين جمعته ، وانظر لنفسك قبل
أن ينظر إليك من ليس عنده هواة ولا مراجعة (٢٣)

— أتى عمر بن عبد العزيز عبسة بن سعيد أحد شيوخ بنى أمية
وقد أتى قدرًا كبيراً من الحلم والحكمة وكان عبسة صديقاً حمياً
لعمير .

فقال له يا أمير المؤمنين إن سليمان بن عبد الملك رحيمه الله قد
كان أمر لى بعشرين ألف دينار ، حتى انتهيت إلى ديوان الختم ولم يبق
الا قبضها فتوفى على ذلك ، وأمير المؤمنين أول باستتمام الضياعة عندي .
وما بيني وبينه أعظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان .

قال عمر : كم ذلك ؟

قال : عشرون ألف دينار يا أمير المؤمنين .

قال : عشرون ألف دينار تفني أربعة آلاف بيت من المسلمين
وأدفعها إلى رجل واحد مالى إلى ذلك من سبيل ، فرمى عبسة بالكتاب
الذى فيه أمر سليمان .

فقال له عمر : لا عليك أن يكون حلك فاحتفظ به فلمله يأتي بعدي
من هو أجرأ على هذا المال مني فيامر لك به .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قومك يسألونك أن تجري عليهم ما كان
قبلك يجري عليهم .

قال عمر : والله ما هذا المال مالى وما إلى ذلك من سبيل (٢٤)

مراجعة الدواوين ورد المظالم للورقة :

وكتب عمر إلى عماله بجريدة الدواوين والنظر في كل جور فعله من
قبله في حق مسلم أو معاوه غيره إليه ، فان كان أهل تلك المظالم قد
ماتوا يدفعه إلى ورثته (٢٥)

(٢٣) خامس الخلفاء الراشدين - عبد الرحمن الشرقاوى - جريدة الاهرام .

عدد ١٩٨٥/٨/٢١

(٢٤) مقتبسه من سيرة عمر - لابن عبد الحكم ص ٤٩ .

(٢٥) الموسوعة - عمر أبو النصر ص ١٩٩ .

حزن في سياسة رد المظالم :

استجواب المظلومون لسياسة عمر في رد المظالم وتقديموا اليه والى ولاته وعماله يطلبون رد ظلماتهم التي وقع معظمها قبل عهده سواء كان ذلك من أقرباء الخليفة او من امراء بنى أمية او من الولاة وعمال الدولة ولم يتردد عمر في رد المظالم .

فجئن جرد امراء بنى أمية من ثرواتهم ومتلكاتهم وردهما الى بيت المال والى أربابها قال له بعض أصفيائه : يا أمير المؤمنين ، الا تخاف غواقل قومك ؟

فقال : أب يوم سوى يوم القيمة تخوئني ؟ فكل خوف اتقى
دون يوم القيمة لا وقيته (٢٦) .

وكان يقول « واقه لو لم ينهض الحق ويدحض الباطل الا بتنطيط
او صالح واعضاىي لأمضيت ذلك وانا سعيد والله لو لبشت فيكم خمسين
عاما ، ما أقمت فيكم الا ما أريد من العدل (٢٧) .

قضاء عدل يساند سياسة رد المظالم :

تساند سياسة رد المظالم والقضاء العادل في اشاعة العدل في
ارجاء المجتمع ونصفة المظلومين ، لذا عنى عمر بن عبد العزيز بمرفق
القضاء ، فكان يشترط في القاضي قبل تعيينه مواصفات معينة ف قال
« لا يبغي للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال :
يكون عالما قبل أن يستعمل ، مستشيرا لأهل العلم ، ملقيا للطعام ،
ومنصفا للخصم ، ومحظيا بالأئمة ، .. .

وكانت وظيفة القضاء قبل عمر عمر وقفا على العرب لا يتسامى
اليها المولى ، ولكن عمر بن عبد العزيز لا يفرق بين العربي والمولى ، بل
جعل الأساس هو التقوى والصلاح وتتوفر المواصفات التي حددتها ،
فشهد أوزر الولاة بقضاء عدول فمثلا جعل ١

الحسن البصري على قضاء البصرة .

وعامر الشعبي على قضاء الكوفة (٢٨) .

(٢٦) عبقرية الاسلام - عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق من ١١٦ ، ١١٧ .

(٢٧) عمر بن عبد العزيز - سعيد عبد السلام حبيب ص ٦٦ ، ٦٨ .

· نماذج من حالات رد المظالم :

وفيما يلي نماذج لبعض المظالم التي رد لها عمر بن عبد العزيز :

عمر بن عبد العزيز يرد على آلة لأخيه بصر :

بني خارجة بن حذافة دارا غربى مسجد عمرو بن العاص فلما مات آلة الدار إلى ابنه الريبع وكان يقيمه في حجر عبد العزيز بن مروان والد عمر ، فلما بلغ الريبع اشتري عبد العزيز بن مروان منه داره بعشرة آلاف دينار وملكتها لابنه الأصبهن بن عبد العزيز ، فلما ول عمر بن عبد العزيز ذهب الريبع إليه طالبا رد الدار فردها عليه بعد أن يدفع إليه الثمن ، فسأله الريبع أن يعطيه كرامها (أيجارها) .

فقال عمر : أما الكراء فلا ، الكراء بالضمان .

وبذلك لم يأمر بالكراء (٤٩) .

ويبدو أن حبيبات عمر في رد الدار أنه لا يجوز لولي البتيم التبرأ من بليل أمره استناداً لقول الله جل وعلا :

· وَاتَّوْا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْتَدِلُوا التَّحْبِيثَ بِالْطَّيْبِ وَلَا تَأْكِلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُبْرًا . (النساء - ٤) .

· قوله سبحانه وتعالى :

· وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَقُوا النِّكَاحَ فَإِنْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ رَشِيدًا فَادْفِعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكِلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبِرُوا وَمَنْ كَانَ غُنْيًا فَلَا يُسْتَغْفَلُ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ . فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوْا عَلَيْهِمْ وَكُفُّ بِأَنْهُ حَسِيبًا . (النساء - ٦) .

أما حبيباته في عدم دفع الكراء هو أن ساكن البيت يضمن سلامتها بما ينفقه عليها من مسانية وتجديده وهي ثقافتان تقابل قيمة الكراء .

· استرداد الأهالى لعوائديهم المقتضبة :

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز استرد لبيت المال حقوقه من الأمانة ، الأمورين فرد إليه ما نالوه من عطاء بالباطل وأموال عامة اغتصبها بغير حق ولم تتفق ما استرد منهم على ذلك فقط . بل امتدت إجراءاته لاسترداد ما كانوا اغتصبوا ظلماً من الناس ، فقد أتى عمر بن عبد العزيز

(٤٩) فتوح عمر وأخبارها - مرجع سابق من ٤٧ .

جماعة من أهل حمص ، فشكوا أن روح بن الوليد قد اغتصب منهم حوائطهم . فدعاه عمر والمظلومون حاضرون وأمره أن يرد الحوائط عليهم .

قال روح : من لي بسجل الوليد .

قال عمر لفي حسم قاطع : وما يعنى عنك سجل الوليد يا ابن الوليد ، والحوائط حوائطهم قد قامت لهم البينة عليها ؟ خل لهم حوائطهم .

تظاهر روح بالموافقة وقام . وقام معه القوم المتظلمون ، فلما خرجوا من عند الخليفة توعدتهم روح ، فرجع شيخهم مسرعاً وقال : يا أمير المؤمنين هو والله يتوعدنا .

فأمر عمر صاحب شرطته أن يخرج إلى روح فينشره أن يسلم ما اغتصب ولا أنزل به عقاب المفسدين في الأرض ، فرد حوائط حمص على أصحابها (٣٠) .

انتهiad أرض لله من الأملاك الأمويين :

الناء جلوس عمر بن عبد العزيز لرد المظالم قام إليه رجل من أهل حمص .

فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله .

فقال عمر : ما ذاك ؟

قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي و كان عدد من رؤوس الناس وفيهم العباس بمجلس عمر .

فقاله عمر : يا عباس ماذا تقول ؟

قال : نعم اقطعنيها ابن أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلاً .

فقال عمر : ما تقول يا ثني ؟

قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى .

فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد . قم

واردد عليه ضيوفه يا عباس (٣٠) .

(٣٠) سيرة عمر بن عبد العزيز - ابن عبد الحكم - علق عليها أسد عبيه - طبعة ثانية من ٥٢ .

فردما عليه صافرا (٣١) .

رد حقوق أهل دير من ذوى قربى الخليفة :

خاكس مسلمة بن عبد الملك أهل دير اسحاق فشكوه الى عمر .

فجاء مسلمة وجلس وهم وقوف ٠٠٠ فاتقضى عمر ثضيما .

فقال مسلمة وهو ابن عمه وصهره : لا تجلس وخصماؤك
بين يدي .

وقضى عمر لأهل دير اسحاق بحقهم (٣٢) .

وبذلك عدل عمر بن عبد العزيز ومنع الظلم الذى نهى عنه رسول الله
صل الله عليه وسلم .

مقال « من ظلم معاهدنا أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه » (٣٣) .

رد مظالم الحجاج :

وكان مما سرت عليه سياسة رد المظالم ، رد المظالم المالية للحجاج
الشئفى فقد اخرج عمر أهل بيت الحجاج من العراق ، ونزع منهم
ما اغتصبوا من غيرهم فرد الأموال المغتصبة الى أصحابها ، أما ما اغدقه
عليهم الحجاج من أموال فرده الى بيت مال العراق ، وقد سمع ان عامله
على العراق لم يتخلص بعد من تقاليد وأوضاع ميئه ومنها الأوضاع
المالية ، فكتب اليه :

• بلغنى أنك تستن بستن المجاج ، فلا تستن يستنه ، فانه كان
يصل الصلاة بغير وقتها . ويأخذ الزكاة من غير حقها ، وكان لا سوى
ذلك أضيع (٣٤) .

رد أموال المغتصبها والى :

خرج عمر من مكة بعد أن حج وخرج منه عامله على مكة وبعض
اعيائها ليودعوه ، وفي الطريق أتاه رجل .

(٣١) خامس الراشدين - عبد الرحمن الشرقاوى - عدد الاهرام ١٩٨٥/٨/٣١ .

(٣٢) سيرة عمر - ابن الجوزى - من ٧٤ .

(٣٣) الخراج لأبي يوسف - من ١٢٥ .

(٣٤) خامس الملائكة الراشدين - مقال للاستاذ / عبد الرحمن الشرقاوى -
عدد الاهرام في ١٩٨٥/٨/٢٨ من ١٢ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، خلست ولا أستطيع أن أتكلم .

فقال عمر للرجل : إن كنت صادقا فتكلم ولا تخشى غير الله .

قال الرجل : أصلحك الله يا أمير المؤمنين ، إن هذا - وأشار إلى عامل عمر على مكة - سأمني بما أملك وأعطياني به سبعة آلاف درهم . فأبىت أن أبيعه . فاستعداه على غيري لم فحبسني قلم يخربني حتى بعثه بنصف ما فرض على أنها ، بثلاثة آلاف بدلا من سبعة آلاف . واستحلقني بالطلاق أن خاصمته أبدا .

فنظر عمر إلى عامله على مكة ثم مس بالخيزان علامة ظهرت من كثرة السجود ما بين عينيه . وصاح مؤنبا : هذه غرتنى منك .

ثم قال للرجل : اذهب فقد ردت عليك مالك ولا حنت عليك (٣٥) .

رد أموال عن بيت المال لرفع ظلم :

وكانت المظالم ترد من كل من ظلم حتى من بيت المال نفسه .

فقد جاء رجل من أهل أذربيجان وقام بين يدي عمر بن عبد العزيز .

وقال : يا أمير المؤمنين أذكر بمقامك هذا بين يديك مقامك عدا بين يدي الله ، حيث لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخالق . من يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب .

فبكى عمر بكاء شديدا .

ثم قال له : ما حاجتك ؟

فقال : إن عاملك بأذربيجان عدا على فاائد من المتقى عشر ألف درهم فجعلها في بيت المال .

فقال عمر : اكتبوا له الساعة إلى عاملها فليردها عليه . ثم أرسله مع البريد (٣٦) .

رد أرض المتصبها عامل بالدولة :

وجاء عمر رجل يشكو عامله له انتزع منه أرضا فامر عمر بالتحقيق في الأمر ، فلما تبين له أن عامله ظلم الرجل ، عزل عامله ورد

(٣٥) خامس المللاء الراشدين - مقال للاستاذ / عبد الرحمن الشرقاوى - عدد الاهرام في ٢٨/٨/١٩٨٥ . من ١٢ .

(٣٦) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - مرجع سابق من ٧٠ .

الارض الى صاحبها ، وقبل ان يرحل الرجل . سأله عمر : كم الفقث .
في مجيئك الى ؟

قال الرجل : يا أمير المؤمنين ، تسألني عن نفقتى وأنت قد رددت .
على ارضى وهي خير من مائة الف .

قال عمر : انها رددت عليك حقك فأخبرنى كم الفقث ؟

قال الرجل : ما أدرى يا أمير المؤمنين .

قال عمر : احرزه .

قال الرجل : ستون درهما .

فأمر عمر له بها من بيت المال فأخذها الرجل واتصرف شاكرا .
فنداه عمر فرجع .

فقال له : خذ هذه خمسة دراهم من مال ، فكل بها لحما حتى
ترجع الى أهلك (٣٧) .

رد الكثافس لأهل اللمة :

ولم يقتصر رد عمر للمظالم على المسلمين وحدهم ، بل امتدت مظلة
عدالته وسماحته لغيرهم من أهل الكتاب ذلك أن عمر يعرف أنه إذا أدى
أهل الكتاب الجزية أصبحوا في ذمة الدولة الإسلامية تمكنتهم من اقامة
شعائرهم ولا تعتدى على معايبهم وترعىهم برعاية عدالة الإسلام . ومن
نماذج عدالة عمر ما أوردناه عن عزمه على هدم جزء من المسجد الأموي
أقيم على أرض كان لأهل الكتاب عليها كنيسة لولا قبولهم بالاتفاق مع
علماء المسلمين التنازل عن طلامتهم مقابل تسليمهم جميع كنائس
الفوطة التي أخذت منهم وصارت في أيدي المسلمين .

ومن ذلك أيضا ما قاله البلاذري .

قال خمرة عن « علي بن أبي حملة » ، أنه قال :

خاصمنا عجم أهل دمشق في كنيسة كان للآن قد قطعها لبني نصر
فأشرجننا عمر منها وردها إلى النصارى (٣٨) .

(٣٧) سيرة عمر - ابن عبد الحكم من ١٢٥ .

(٣٨) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - من ٧٦ تقلد عن عمر أبو العز
عن البلاذري .

رد ظلامة عامل من والي :

ولم يكتف عمر برد الظلامات المالية بل امتنع ازالته للمظالم
ورفع الظلم عن وقع عليهم الى مظالمات عماله فقد عزل واليه مسلمة بن
عبد الملك عامله العريان بن الهيثم وكان على شرطة الكوفة .

فتقسم العريان الى عمر رافعاً ظلامته وشكواه .

فكتتب عمر الى مسلمة :

· ان من حفظ أنعم الله رعاية كبار السن .. ومن اهوار شكر
الموهوب صفع القادر عن الذنوب .. ومن تمام المسدد حفظ الودائع
· واستتمام الصنائع .. وقد كنت اودعك (العريان) نعمة من انعمك
فسلبتها عجلة سخطك .. لقد غصبت عليه حتى وليتها .. ثم عزلته
انت وخليلته .. وان شفيعه ، فاحب أن تجعل له من قلبك نصيبيا
· ولا تخرجه من حسن رأيك ، (٣٩) .

رد المظالم عن العيون :

وكان من رحمة عمر بن عبد العزيز أن رد المظالم عن الحيوانات
نفسها فامر أن لا تحمل ما لا تطيق وان لا تتخس الدواب حتى تسرع
· في المسير .

فقد كتب يوماً كتاباً الى « حيان بن شريج » عامله على مصر يقول
فيه :

· بلغنى أن العمالين يحملون الأبل ما لا تطيق .. فإذا أثارك كتابي
هذا فامعن الناس من بن يحملوا البغير أكثر من ستمائة رطل .. (٤٠) .
ورأى في بعض جولاتة اناساً يحملون مقارع (عصياً) وركبت في
أسفلها مسامير (لتخس) الدواب حتى تسرع في المسير فأصدر أوامره
فوراً بتحرير استخدام مثل هذه العصى .. (٤١)

· وأرسل اليه واليه على الأردن بسلتين كبيرتين من وطه الأردن
كمدية فلم يقبلها .

وسائل : علام جي، بهما ٩

قيل : على دواب البريد .

(٣٩) الربيع السابق من ٦٦ ، ٦٨ .

(٤٠ ، ٤١) سيرة عمر - ابن عبد الحكم - من ١٣٦ .

قال : لقد حملتكموها فوق ما تطيق .. اخرجوا السبايا فبيعوها
وأجعلواها ثمنها في علف دواب البريد . (٤٢)

وإن كانت هذه نماذج تفصيع عن رحمة عمر ، الا انها من ناحية
أخرى تحافظ على الثروة الحيوانية للبلاد وتصونها من الاستهلاك
السريع نتيجة سوء الاستعمال .

وعمر بن عبد العزيز في ذلك كان مقتدياً بالرسول صل الله وسلم
الذى أرسله الله رحمة للعالمين (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (الأبياء
- ١٠٧) ، فمن نماذج رحمته بالحيوان أنه نهى عن وسم الحيوان في
وجهه . وأمر عائشة بالرفق بالحيوان وكانت معه في سفر عمل بسير
صعب فجعلت تصرفه يميناً وشمالاً ، كما أمر أن تعطى الدواب حقهما
في المنازل حين ركوبها ولعن من مثل بالحيوان ونهى عن التحرير بين
البهائم ، وفي مسيرة من المدينة إلى مكة عام الفتح رأى على ماء في الطريق
كلبة تهر على أولادها وهن حولها يرضعن منها فامر رجلاً من أصحابه
ان يقوم خدامها حتى لا يعرض أحد من الجيش لها ولا لجراثها (٤٣) .

سياسة رد المظالم اشاعت الاستقرار :

يسجل التاريخ أن الخوارج كانوا قوماً يلحون في الخصومة وكان
لبعضهم آراء وعقائد لا يزكيها قرآن ولا سنة واستخدمو السلاح في
غرض آرائهم ، ولم يغسلوا سبوفهم يوماً واحداً منذ عهد معاوية فاغتصدوا
في عهد عمر بن عبد العزيز وقرروا لا يشروا ثرداً ولا شغباً ما دام عمر
خليفة ، وكان ذلك من عوامل استقرار المجتمع ، فقد آثر عمر أسلوب
المناقشة والاقناع فكان يجتمع بهم ويناقش آرائهم بمنطق سليم وحجج
قوية ورزق من رضى منهم وكساهم من بيت المال ، وأمر لهم بسطاء ، وقد
كان من عوامل اغتماد الخوارج للسلاح سيرة عمر ورده للمظالم .

فقد قيل :

• فلما بلغت الخوارج سيرة عمر ما رد من المظالم .. اجتمعوا
وقالوا : ما ينبغي أن نقاتل مثل هذا الرجل ، (٤٤) .

(٤٢) سيرة عمر - ابن الجوزي - ص ١٦٠ .

(٤٣) من أخلاق النبي - تأليف د / أسد محمد العوفى ص ١٩٧ - ٢٠٠ وبطل
الإطالة - بقلم عبد الرحمن عزام - ص ٧٠ ، ٧١ .

(٤٤) سيرة عمر - ابن الجوزي - ص ٥٤ ، سيرة عمر لابن عبد الحكم - ص ١٠٨ - ١١١ .

ومما ساهم في الاستقرار أيضاً ما أمر به عمر من الإقلاع عن المظالم التي كانت تقع على أتباعه على بن أبي طالب رضي الله عنه ومنع سب على المناجر واعطائهم المطاع المستحق لهم وكان مما أمر به عندها رواي الخليفة الإقلاع عن لعن وسب عل وحمل مكانه :

• ربنا اغفر لنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في
قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم •

وبذلك تقادى عمر بن عبد العزيز نقد أم سلمة رضى الله عنها
لعن الخلفاء الامويين لعل بن أبي طالب . حينما كتبت الى مساوية
ابن سفيان تقول :

• انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم . وذلك انكم تلعنون علياً
ابن أبي طالب ومن أحبه . وأنى أشهد ان الله أحبه ورسوله • (٤٦) •

- (٤٥) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام من ١٤٩ -
- (٤٦) المرجع السابق من ١٤٦ - نقلًا عن عمر بن عبد العزيز - أحمد ذكي محفوظ - من ٦٥ -

الباب الثامن

النكاح السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز
بعد وفاته
وشهادات له ولسياساتة

الفصل الأول

وفاة عمر بن عبد العزيز وانتكاس سياسة المالية

وفاة عمر بن عبد العزيز وانتكاس الاصلاح المالي يعده :

كانت خلافة عمر بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر واربعة أيام، فقد توفي خمس ليالى يقين من رجب سنة احتى ومائة هجرية وهو ابن تسع وثلاثين وخمسة أشهر (١) ، وقيل أن سبب وفاته السرطان ، وقيل أن السبب هو شدة حرorce من الله ، وقيل أنه مات مسموماً بسم حسه مولى له نظير ألف دينار من معارضي سياسة من أمراء بنى أمية ، ولما اكتشف عمر بن عبد العزيز ذلك أمر بوضع الألف دينار في بيت مال المسلمين وترك الجانبي ، ومات الخليفة بدير سمعان ودفن بها (٢) .

وبموت عمر بن عبد العزيز ، انتكست سياسة الاصلاح المالي التي قادها ، وعادت تجاوزات ومخالفات المال العام تتعري عنصر السياسة المالية للدولة في عهود بعض من تولى بعده .

أسباب انتكاس سياسة عمر بن عبد العزيز للإصلاح المالي :

رأينا أن عمر بن عبد العزيز طلب سياسة عمر بن الخطاب ليتندى بها وأنه طبق هذه السياسة في التوازن الخاصة بالمال العام على النحو الذي أوضحناه بعد أن استقها من مصادرها الأساسية وما القرآن ، السنة وظلت هذه السياسة منفلة في حياته ، ولكنه لما مات انتكست للأسباب التالية .

(١) الطبرى جزء ٦ مرجع سابق من ٥٦٥ .

(٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق أحمد الشريانى من ٩٨ .

نبذ أخراe بنى أمية سياسة عمر بن عبد العزيز من بعده :

كانت صداررة الأمة الإسلامية في عهد بنى أمية لأخراe بنى أمية ، وكان من مصلحتهم المادية نبذ سياسة عمر بن عبد العزيز التي جردتهم من مزاياهم المالية المتمثلة في التمييز في العطاء والاغتراف من بيت المال كما يشاؤون والتي أعادت لإبناء على بن أبي طالب ومن شاعورهم حقوقهم المنشورة في عطاء بيت المال وكانوا يخشونهم على سلطائهم ، كما أنهم كانوا رافضين لسياسة عمر بتولى الأكفاء من الموالى الوظائف العامة ويستبرون ذلك نيلاً من تعاليهم وسلباً لتميزهم على المولى .

عودة الصراع بين الأحزاب والحزب العاكم :

سلب أخراe بنى أمية بعد عمر بن عبد العزيز المعارضين حقوقهم المالية التي كان قد أعادها إليهم وكانت المعارضة للحكم الأموي تتمثل في الأحزاب والطوائف التالية :

حزب الشيعة : يرى أن على بن أبي طالب وأولاده من بعده أحق الناس بالخلافة .

حزب الخارج : واعضاؤه الذين خرجوا من جيش علي وأنصاره وأعلنوا عصيانهم له وكانوا يستحلون دماء الأمويين والعلويين ويروّتهم خارجين على الدين ويررون أن الخلافة حق لكل مسلم لا فرق بين قرشي وغير قرشي .

حزب الزبيريين : وينادي أعضاؤه بالخلافة لعبد الله بن الزبير .

طائفة الموالى : لم تظهر كحزب ولكنهم كانوا يتضمنون للأحزاب المعارضة (٣) .

طائفة القدرية : كانوا ينكرون قدر الله تعالى ويغالون في اثبات قدرة الإنسان . (٤)

وقد أدى سلب الحقوق المالية للمعارضة إلى اتخاذ العلاقة بين أخراe بنى أمية والأحزاب شكل الصراع الذي مولته الدولة الاموية وبذلك عادت للمال العام احدى نكساته التي كانت له قبل عمر بن عبد العزيز وهي اتفاق جزء منه على قتال المسلمين بعضهم ببعض .

(٣) محاضرات في تاريخ العالم الإسلامي - د. محمد الطيب النجاشي من ٨٥ - ٨٦ .

(٤) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام من ١٥٦ .

نصر مدة خلافة عمر بن عبد العزيز ١

كانت خلافة عمر بن عبد العزيز كما ذكرنا سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام وهي مدة قصيرة لا تكفي لتأصيل السياسة المالية الاصلاحية واستقرار مبادئها واعتياد المولين عليها ، ولقرآن الكريم يوضح ذلك في السياسة المالية التي اقترحها يوسف الصديق عليه السلام ففقط استغرق تنفيذها خمسة عشر عاماً كما يبين من الآيات التالية :

« قال تزرونون سبع سنين دأبوا فما حصدتم فذروه في سنبلة الا قليلاً مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لمن الا قليلاً مما تحصتون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس (وفيه يعصرون) » (يوسف ٤٧ - ٤٩) .

علم حماس البعض لاستمرار سياسة عمر بن عبد العزيز المالية ٢

لم يكن الأمراء الامويين وحاشيتهم وحدهم الرافضين لسياسة عمر بن عبد العزيز المالية ، بل كان بجانبهم بعض المتنفعين من بيت المال بغير حق فكانوا يتقدموه لعمر بن عبد العزيز يطالبون بمساواة قررها لهم الخليفة الاموى السابق غير فضها بعد أن يوضح لهم عدم أحقيتهم لما يطلبون من اموال خصوصاً وأنهم كانوا من الأغنياء ، وقد أوردنا تموز جا لبعضهم فيها سبق (٥) ومن هؤلاء ايضاً الشعراء الذين اعتادوا الحصول من بيت المال على منح وعطايا كبيرة بناء على أوامر من حكام بني أمية - السابقين لعمر بن عبد العزيز بعد أن يلقوا قصائد الشعر في مدحهم بغير حق تقاضاً لهم ابتناء حصولهم على الأموال العامة سحتاً ويهتاناً . كما أن الظالمين الذين طبقو عليهم سياسة رد المظالم كانت صدروهم موغرة ضد هذه السياسة وضد واضعها يتمسون أقولها ونهاية واضعها ، وانضم إلى هؤلاء في كراهيتهم لسياسة عمر بن عبد العزيز المالية الولاة والعمال الظلمة الذين فصلهم عمر في بلد ولايته لظلماً تهم ومنها تسفههم في الجباية ونعتذبهم للأهالى والسير بسيرة الحجاج الثقلى في الولاية . وكذلك الولاة والعمال العامة تم يكتشف من تتبعهم أنه أحسن الفتن وأغتر بهم وأنهم غير جديرين بالثقة ولا بحسن الفتن لما يرتكبونه من الفحش في الولاية

٥٥) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٩٥ .

والسوء في الادارة والجور في العبادية والظلم في الحقوق . وما ساهم في انكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته أن بقيه الرعية من الموالين للبيت الأموي من غير الانحراف الأخرى والمزيد من للسياسة المالية لعمر بن عبد العزيز صحت عندما تبدلت سياساته بعد وفاته ، فلم يذكر التاريخ أن رأيا جماعيا طالب بالتمسك بها وعدم الانحراف عنها .

فرض الخليفة الأموي بعد عمر :

جعل سليمان بن عبد الملك يزيد بن عبد الملك خليفة الدولة الإسلامية بعد عمر بن عبد العزيز . ولذلك لم يكن لعمر بن عبد العزيز رأى فيمن يلي بعده ، ومن المعروف أن الحكم الأموي جعل الخلافة سلطة مطلقة مع تطبيق مبدأ الوراثة المباشرة في الخلافة في أول الأمر بمعنى أن يخلف الابن أباه ثم الوراثة المطلقة بمعنى أن يتول الخلافة شخص آخر من أفراد الأسرة الحاكمة بشرط أن يكون من أبناء البيت الأموي .

وأغلبظن لو ترك الخيار لعمر بن عبد العزيز في أمر الخلافة بعده ، لطبق أحدى طرق ثلاثة :

لصنع كما صنع رسول الله صل الله عليه وسلم فقد قبض ولم يستخلف أحدا فارتضى الناس أبا بكر الصديق رضي الله عنه .
أو لصنع كما صنع أبو بكر فاختار عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي قال عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه « لن يأتي الزمان بمثله عمر » .

أو لصنع كما صنع عمر بن الخطاب فجعل الأمر شورى في ستة ثغر ليس فيهم أحد من ولده .

وتطبيق طريقة من الطرق الثلاث كان سيؤدي لاختيار خليفة يتسم بالصلاحية فيبقى على سياسة عمر بن عبد العزيز التي اتسمت هي الأخرى بالصلاحية وقامت على الاصلاح .

وتوضح فيما يلي نماذج من مظاهر انكاس السياسة المالية لعمر ابن عبد العزيز بعد وفاته في عهود بعض من تولى بعده .

خلافة الدولة الأموية بعد عمر بن عبد العزيز :

ولى امارة الدولة الإسلامية بعد عمر بن عبد العزيز في عصر الدولة الأموية :

(١) عمر بن عبد العزيز لابن كثير - تعليق أسد الشريانى ص ٩٨ .

يزيد الثاني ١٠١ - ١٠٥ هجرية

مشام بن عبد الملك ١٠٥ - ١٢٥ هجرية

الوليد الثاني ١٢٥ - ١٢٦ هجرية

يزيد الثالث ١٢٦ - ١٢٧ هجرية

ابراهيم ١٢٧ - ١٢٨ هجرية

مروان بن محمد ١٢٨ - ١٣٢ هجرية

وبموت عمر بن عبد العزيز انكسرت سياسة الاصلاح المال التي
قادها وعادت التجاوزات ومخالفات المال العام تنتهي عناصر السياسة
المالية للدولة الاموية كما يبين من النماذج التالية .

نماذج مخالفات الایرادات العامة :

خلو من في المسلمين : -

في عهد يزيد بن عبد الملك استعمل سعيد خزينة على خراسان فرفع
إليه أن ثمانية من الصالحين عندهم أموال قد اختاروها من في المسلمين
لحبسهم . (٧)

استيلاء على الخراج : -

- لما تولى سعيد خزينة خراسان رفع إليه أن عمال عبد الرحمن
ابن عبد الله القشيري عندهم أموال من الخراج فحبسهم .

فكلمة فيهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيري .

فقال له سعيد : قد رفع عليهم أن عندهم أموالا من الخراج .

قال : خانوا أمواله .

فضمن عنهم سبعمائة ألف .

ثم لم يأخذ بها . (٨)

- ولـ يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة
وخراسان سنة الشتى وماة ولكن ما لبث أن عزله لأنـ لم يرفع إليه
من الخراج شيئا . (٩)

٧ - (٨) للرجـ السـاقـ سـ ٦٠٦ .

٩ - (٩) للرجـ السـاقـ سـ ٦٠٥ .

اهم اسس في الجزية : -

- في سنة اثنين وعشرة قتل يزيد بن أبي مسلم من اهل النمة
فوضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كلهم،
فتآمروا عليه وقتلوا . (١٠)

- في سنة ١٢١ هجرية في عهد هشام بن عبد الملك خطب والي
خراسان نصر بن سوار في بلاد ماوراء النهر فقال :

« اني قد استعملت عليكم منصور بن عمر وأمرته بالعدل فيكم ،
فإيما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو قتل عليه
في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك الى منصور بن عمر
يحوله عن المسلمين الى المشرك » .

فما كانت الجمة الثانية حتى اتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون
الجزية عن رؤوسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد القتلت عليهم
جزيئهم فتحول ذلك عليهم والقاء عن المسلمين .

نها هذا النص يوضح لنا أن الموالى كانوا قبيل سنة ١٢١ هـ في بلاد
ما وراء النهر يدفعون الجزية وأن الوالي الجديد وضع عليهم ذلك وأن
الخارج كان يوضع في غير موضعه . (١١)

- في سنة ١٣٣ هـ قاتلت فوجة من البربر في الشمال الأفريقي
لأن حاكم طنجة قد وضع الجزية على من أسلم منهم (١٢) .

- ويعلق أحد الكتاب على ذلك فيقول :

« نستطيع ان نستنتج ان الامويين بعد عصر عمر بن عبد العزيز
قد رجعوا في سلوكهم مع الموالى فيما يتعلق بالجزية والخارج الى سياسة
المجاج ، أو على الأقل قد حاولوا الرجوع اليها ، وأنهم قد استطاعوا أن
ينفذوها في بعض الجهات بينما استعصمت عليهم في جهات أخرى وكانت
سبباً لأضرار كثيرة وثورات عنيفة » . (١٣) .

(١٠) المرجع السابق من ٦١٧ .

(١١) معاشرات في تاريخ العالم الاسلام - يلهم الدكتور محمد الطيب التجار
- طبعة مهد الدراسات الاسلامية - طبعة ١٩٨٦ م من ١٦٤ .

(١٢) المرجع السابق من ١٦٣ .

نماذج مخالفات النفقات العامة :

الإنفاق العام على ترف الامراء :

— يروى المؤرخون أن يزيد بن عبد الملك كان مولعا بالطرب محبًا للهو مشفوفا بالمسوارى والقيان ، وهساك أخبار كثيرة عن جاريته المفضلتين حبابة وسلامة ومنى حبه لهما وهو سب أفقده عقله حتى أنه لما ماتت سلامة امتنع عن دفنتها ثلاثة أيام حتى انتنت ولامه الناس فامر بدفنتها ولم يمكن بعدها الا أيامًا محدودة ثم قتله الحزن عليها . (١٤)

— سار هشام بن عبد الملك في مستهل خلافته على نهج عمر ابن عبد العزيز فاستبشرت التفوس وازدهرت الآمال وتوقع الناس على يديه الخير الكثير ولكن بطاعة السوء . لئن التفت حوله صرفته عن هذا السبيل القويم . (١٥)

الإنفاق على الخاتمية والشعراء والأنصاء :

— ولم يلبث الوليد (الثاني) أن أتى على ما في خزائن هشام من أموال منفحة فبددها ذات اليمين وذات الشمال وأسرف في منح الشعراء واعطاء الطالبين ومع ذلك كان الأعم لاغلب من الشعب ينتقلاون تصرفاته وينهدون ياسراقه في المهو والشراب وسماع القيان . (١٦)

زيادة الإنفاق العام على الموالين وانتقاص العاملين :

— يزيد الثالث وهو يزيد بن الوليد بن عبد الملك دان للسياسة في توليه الخلافة ولذا قربهم وأغدق عليهم الأموال وأضطر إلى انتقاص أصطياد الجند لنضوب موارد الخزانة فاستأدوا منه وسموه « الناقص » (١٧) .

الإنفاق عام على قتال المسلمين :

كان للسياسة العادلة لئن انتهجهما عمر بن عبد العزيز أثراً ملحوظاً في تسكين الحرب بين المخوارج . وجاء الخلفاء الذين من بعده فلم ينهجوا بهجه ، فقام المخوارج بالثورة في ذلك يزيد بن عبد الملك بقيادة زعيمهم شوذب

(١٤) المرجع السابق - تتملا عن ابن الأثير - من ٨٠ .

(١٥) المرجع السابق من ٨٠ .

(١٦) المرجع السابق من ٨٢ .

(١٧) المرجع السابق من ٨٣ .

نفسه ثم قاموا بالثورة في عهد هشام بن عبد الملك بقيادة زعيمهم البهلوى بن عمر الشيباني وقاموا بالثورة كذلك في عهد آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد (١٨) . ولقد كان الأمويون لهم لاء الموارج ضربات قوية كلفت بيت المال أموالا طائلة كان الأولى أن توجهه لصالحة الإسلام والمسلمين .

كما أن الشيعة بدأوا في ١٢١ هـ بقيادة زيد بن علي ثم من بعده ابنه يحيى الكفاح الرهيب والتضليل المريض مع خلفاء يبني أمية مما اضطر الدولة الأموية إلى تجريد الجيوش لحرابية الشيعة ومزيمتها وقتل قادتها زيد بن علي وابنه وهذا نموذج آخر يوضح كيف أن شطراً من الأموال العامة كان يوجه لقتل المسلمين بعضهم بعضاً *

مكالفات في الادارة الالكترونية

اعادة داعي عالم ۱

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز عزل أسماءة بن زيد التنسوي عن خراج مصر لظلمه وعم ذلك لما تولى يزيد بن عبد الملك رده إلى عمله (١٩)

ولاية لفربون:

— أوضحتنا أن يزيد بن عبد الملك ولـ مسلمة بن عبد الملك الكوفة
والبصرة وخراسان وكان شقيقه فتهب عمروالخارج .

— واستعمل مسلمة سعيد حذينة على خراسان لأنّه كان خته على
ابنته فقد كان سعيد متزوجاً بابنته مسلمة . (٢٠)

نعيين موشح قبة الوالى :

أوضحنا سبب قتل يزيد بن مسلم بأفريقية وهو فرضه الجزية
على من أسلم ، وقد ول من قتلوه محمد بن يزيد مولى الاتصار بذهله
وأنزلوا بذلك للخلفية فاقر من عينه (٢١) .

• (١٨) المرجع السابق من ١٠٠ •

١٩) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد المطر - تعلق أسد عبد الله ص ٣٢ .

٤٠) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق من ٦٠٥ .

٢١) المرجع السابق من ٦٧٦ .

انتكاس السياسة المالية ساهم في نهاية الدولة الأموية :

ساهمت مخالفات وتجاوزات المال العام بعد عمر بن عبد العزيز مع غيرها من الأسباب في نهاية عهد الأمويين وزوال حكمهم .
فقد غلت بعض الأموال العامة ، والله جل وعلا نهى عن الفحول فقال:
« وما كان لنبي أن يغسل ومن يغسل يات بما غسل يوم القيمة »
« آل عمران / من ١٦١ » .

وقد فرضت الجريمة على بعض البلاد على من أسلم ، والله جل وعلا
أنزل نظاماً للجريمة فجعلها على من لم يسلم من أهل الكتاب وبذلك حكم
بعض الولاة بغير ما أنزل الله . والله سبحانه وتعالى قال :

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون » (المائدة/من ٤٧) .
وقد أترف بعض الأمراء وأقاربهم وحاشيتهم والموالين لهم من الأموال
العامة والله جل وعلا حذر من الترف والفسق وأوضح أن العاقبة من
التدمير ، فقال سبحانه وتعالى :

« وإذا أردنا أن تهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها
القول فنذرناها تدميرا » (الاسراء / ٢٦) .

ووجهت الأموال العامة لقتال المسلمين ، وكان من الممكن تدارك ذلك
ووقف القتال كما فعل عمر بن عبد العزيز ، وتطبيق ما أمر به الله جل
وعلا في قوله :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن يفت احداهما
على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفنيه إلى أمر الله ، فإن قاتلت فاصلحوا
بينهما بالعدل واقسموا إن الله يحب المتسلين » (المجرات / ٩) .

وخطى الأقارب بمناصب الدولة فانتهت بعضهم الأموال العامة
وأسماوا إدارتها والشأن أن يعود الأموال العامة الأمانة لا الأقرباء
فالرسول صل الله عليه وسلم كما ذكرنا لم يعين ذوي قرابة في المناصب
ما عدا على ابن طالب لتقواه وعلمه وحكمته ، والله أمر بابعاد من
لا يحسنون ادارة الأموال عن العمل بها ، فقال جل وعلا .

« ولا تؤتوا السلفاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ، (النساء /
٢٠) .
والسلفاء هم الجبال بموسيع النفقة وقيمة الأموال وسيتو التصرف
عموما .

ومن يدري فلو سار خلفاء بنى أمية بعد عمر بن عبد العزيز على نهجه ، ثبّت الله حكمهم ولأطّال عهدهم ، ولكن بعضهم نكث ومن ينكث فانما ينكث على نفسه ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

علّ أنه بالرغم من انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته بسبب عدم تطبيق بعض أمراء بنى أمية للأسس التي قامت عليها الا أن هذه الأسس تعتبر نهجاً تنهجه الماليات العسامة الحالية للإصلاح وستبين ذلك فيما يلي .

شهادات بتقييم عمر بن عبد العزيز وسياسته

توافق اصلاحات الماليات العامة الحالية مع اصلاح عمر بن عبد العزيز :

يعتري الماليات المسممة للدول حالياً وجوه خلل تتمثل في زيادة
التفاقب العامة لها عن الموارد العامة وتفاقم العجز المالي وتزايده سنة بعد
آخر ومحاولات تغطية العجز المالي بقرض وليد فوائدها وأقساطها اعباء
ثقيلة على الموازنات العامة للدول ، ومنها من غطى العجز باصدار المزيد
من أوراق نقد بدون غطاء ، ومنها من جمع في تغطية العجز بين الاقتراض
وإصدار النقد المكتشوف والكثير من الدول خصوصاً النامية منها استخدم
حصيلة القروض والنقد المصدر في تمويل نفقات عامة استهلاكية غير
انتاجية ، فتحولت موجات تضخمية رفعت الأسعار ومبطنت بالقوة الشرائية
للنقد فعما من ذلك أصحاب السنفول المحدودة بسبب عجز دخولهم عن
ال kepitay حمايتها من السباع التي توالى ارتفاع أسعارها ، وأدى ارتفاع
الأسعار إلى ارتفاع تكاليف الخدمات المسممة للشعب فادتها الحكومات
ناقصة غير كاملة وهايطة مستوى أدائها ، وما ساهم في ذلك قلة الموارد
وعدم كفاءة جهاز الدولة (١) .

ومما يترى المختصون لاصلاح الماليات المسممة الحالية للدول .
بصفة عامة ما يلى :

- دليل الاصلاح المالي باصلاح اقتصادي .
- اصلاح الموارد العامة بمراجعة نظمها وتحقيق عدالتها وتنسيط
حصيلتها ورفع كفاءة ادارتها .

(١) تزيد من العناصير يرجع لكتابنا المرازة العامة للدولة - طبعة ثالثة - اصدار
الهيئة السورية للطباعة المكتاب .

- منع الاسراف في النفقات العامة وترشيدتها وترتيبها طبقاً لأولويات تحقق أكبر نفع منها .
- اصلاح نظم الادارة المالية برفع كفاءة العاملين ومتابعة اعمالهم واصدار التعليمات المفسرة للقوانين المالية وتطبيق نظم المعاوز .
- معالجة أية مظالم مالية وقامت قبل الاصلاح .
- المزرم في تطبيق الاصلاح وابعاد القدرة العامة التي تساعم في تجاهه .
- التوسيع في كفالة الطبقات ذات السخل المحدود .
- ومنه الاسس هي نفس الاسس التي قام عليها اصلاح السياسة المالية في عهد عمر بن عبد العزيز في القرن الأول الهجري وبذلك يمكن الاقتباس من اصلاحاته وتطويرها بما يلائم اوضاع المالية العامة لكل دولة .

تنوير جماعي لسياسة عمر بن عبد العزيز :

نوه الخلفاء والملوك والائمة والكتاب والشعراء عن مبادئه ومتجزاته النظيمية التي تمت في مدة خلافته القصيرة فكانت شهادات صدق باقية على مر العصور ، ف قالوا :

عمر بن عبد العزيز أحد الخلفاء الراشدين :

قال عباد السماع - وكان يجالس سفيان الثوري

سمحت الثوري يقول : الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز وهكذا روى عن أبي بكر بن عياش والشافعى وغير واحد (٢) .

عمر بن عبد العزيز أحد آئية الهدى :

ذكر ابن خالقان لأحمد بن حنبل أنه يروى عن سفيان الثوري .

أنه قال : آئية الهدى أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز .

فقال له ابن حنبل : هكذا هو (٣) .

(٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشي توثيق وتقديم أسد الفرياسى ص ٧٠ .

(٣) الربع السابق مامش من ٤٠ .

عمر بن عبد العزيز الثامن الدين :

– روى الإمام أحمد بن حنبل عن الرسول صل الله عليه وسلم
الحديث التالي :

« إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يقيم
لها أمر دينها » .

وأضاف الإمام أحمد : فكان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز
وارجو أن يكون على رأس المائة الثانية الشافعى رضى الله عنه (٤) .

– قال النووي عن عمر بن عبد العزيز .

وأجمعوا على جلالته وفضله ووفر علمه وصلاحه وزهده وورعه
وعدله وشفقته على المسلمين وحسن سيرته فيهم ، وبذل وسعه في الاجتهاد
في طاعة الله وحرصه على اتباع آثار الرسول صل الله عليه وسلم
والاقتداء بسته وسنة الخلفاء الراشدين وهو أحد الخلفاء الراشدين .
وفضائله أكثر من أن تحصر (٥) .

– وقال الشاعر جريراً يروى عن عمر بن عبد العزيز ويشهد أنه سار
بأمر الله فيما حل به :

يتنى النساء أمير المؤمنين لنا
يا خير من حج البيت واعتمرأ
حملت أمراً عظيماً فاضطلت به
وسرت فيه بأمر الله يا عمرأ
الشمس كاسنة ليست بطالعة
تبكي عليك نجوم الدليل والقمرأ (٦) .

قول عمر بن عبد العزيز حجة :

– قال الإمام أحمد بن حنبل – لا أدرى قول أحد من التابعين حجة الا
قول عمر بن عبد العزيز (٧) .

زهد عمر بن عبد العزيز أبكي هارون الرشيد :

كان الاقتداء بعمر بن عبد العزيز درساً للقائد الفضيل بن عياض .
وأعظم الرشيد عليه ، فقال له بين الذي قاله :

(٤) الإمام الشافعى – تأليف الاستاذ عبد العليم الجندي من ٣٨٠ طبعة المجلس الأعلى
للسنة الإسلامية .

(٥) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليل الفريابى – مرجع سابق حامش ص ٤١ .

(٦) المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٧) المرجع السابق ص ٤٠ وما مatha .

ان عمر بن عبد العزيز يوم ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله و محمد بن كعب القرظى و رجاء بن حمزة .

وقال لهم : انى ابقلت بهذا البلاء فاشروا على .

فعد الخلافة بلاء وعدتها انت نعمه .

وقال سالم : ان اردت النجاة فدا من عذاب الله فصم عن الدنيا .
ول يكن افطارك على الموت .

وقال محمد : ول يكن كبير المسلمين لك ابا وأوسطهم لك اخا
و اصغرهم لك ولدا ، غير اباك و ارسن اخاك و تحزن على ولدك .

وقال له رجاء : احب المسلمين ما تحب لنفسك و اكره لهم ما تكره
النفسك .

وبكى الرشيد حتى غشى عليه .

فقال الفضل بن الربيع حاجب الرشيد : ارفق بأمير المؤمنين .

قال الفضيل : يا ابن الربيع ، قتلت انت واصحابك وأرفق به انا .
فلما آفاق الرشيد قال : زدني .

قال الفضيل : بلغنى ان عامله لعمر بن عبد العزيز شيكا اليه السرف .
فكتب اليه عمر يقول « يا اخي اذكر سهر اهل النار في النار و خلود عبد
الله فيها » . فلما قرأ كتابه طوف في البلاد حتى قدم عليه وقال :
« ما اقدمك ؟ » قال : خلعت قلبي بكتابك ، لا وليت لك ولاية ابدا حتى
القى الله » .

وبكى الرشيد ثم قال : زدني .

فزاده الفضيل و عطا .

فقال الرشيد : أعلىك دين .

قال الفضيل : دين لربني .

قال الرشيد : انما اعني دين العباد (ي يريد سداده عنه او ير قوم
ي يريد الفضيل برحمة) .

قال الفضيل : ان ربى لم يأمرني بهذا وانما أمرني ان أصدق وعده
وأطهع أمره .

قال الرشيد : هذه الف دينار خذها لربك وتقو بها على عبادة
ربك .

قال الفضيل : سمعان الك - أنا أدرك على طريق النجاة وتكلفتني
بهذا أسلمك الله ورفض الدنائير (٨)

اشادة بعدل عمر بن عبد العزيز :

ـ قال محارب بن دثار يرثي عمر بن عبد العزيز وينوه عن عدله :
لعدله لم يصييك الموت يا عمر
ـ لو أعظم الموت خلقاً أن يواطئه
ـ كم من شريعة عدل قد نعشت لهم
ـ كادت تموت وأخرى منك تتضرر
ـ يا لهف نفس ولهم الواجبين معى
ـ على العذول التي تفتالها الحق (٩)

ـ وقال آخر :

السول لما نهى الناجون لي عمراً لا يبعدن قوام العدل والدين
ـ قد خاتم القوم باللهم الذي لحدوا يديه سمعان قسطناس الموازيين (١٠)

ـ وقال امبراطور الروم ليو الثالث لما بلغه وفاة عمر بن عبد العزيز
ـ وقد كان خمساً عبيداً لدولة الإسلام .

ـ مات والله ملك عادل ليس له مثيل ، وليس ينبع أن يعجب
ـ الناس لراحته ترك الدنيا ليعبد الله في صومته ، مما العجب لهذا الذي
ـ صارت الدنيا تحت قدميه فز عد فيها (١١) .

ـ عمر بن عبد العزيز أدق واجبه نحو مصلحة الأمة :

ـ يقول : ولهمون في كتابه .

ـ لم يكن عمر بن عبد العزيز يعني بنفسه فقط وإنما كان يعني
ـ بالصالح العام . . . ولقد جعلته تقواه يديه شئون الأمة ويسوسها على
ـ وجه جمل كل عامل من عماله يؤودي ما فرض عليه الواجب نحو مصلحة
ـ المجموع . . . وكان عمر يقوم بما فرض عليه من التبعات الجسام والواجبات
ـ التقال باستقامة وأمانة نادرة المقال » (١٢) .

(٨) أحمد بن حبيل - أمام أهل السنة - الاستاذ عبد الحليم الجندي - ماضى
ـ من ٩٨ ٩٩ .

(٩) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليل الفرباسى مرجع سابق من ١٠٣ .

(١٠) الطبرى - جزء ٦ - مرجع سابق من ٦٧٦ تقللاً من ابن الأثير قال كثير عزة .

(١١) معجزة الإسلام - عمر بن عبد العزيز خالد محمد خالد من ٦٦٦ .

(١٢) ورد ذلك في كتاب عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب من ٦٦٢ .

ـ ويترجم الشعر عن صنائمه للامة فائضه عمرو الشيباني لكتير
عزه فقال :

فالمناس فيه كلهم ماجور
في كل دار رنة و زفير
خيراً لأنك بالذناء جدير
فكانها من نشرها منشور (١٣)

عمت صنائمه نعم ملاكه
والناس ما تهمهم عليه واحد
يشتى عليك لسان من لم توله
ردد صنائمه عليه حياته

الختى الله الناس على يد عمر بن عبد العزيز :

ـ قال رجل من ولد زيد بن الخطاب : فما مات عمر حتى كان الرجل
يأتينا بالمال العظيم .

فيقول : « أجعلوا هذا حيث ترون في القراء » .

فلا يجد فقيراً يتصدق عليه ١ وما يبرح حتى يرجع بهاله فقد أفسى
عمر بن عبد العزيز الناس (١٤) .

ـ قال يحيى بن سعيد : يعشى عمر بن عبد العزيز على صدقات
افريقيية فجمعتها - وطلبت فقراء أعطيها لهم فلم أجد فقيراً يقبل أن يأخذ
مني صدقة بيت المال . . . فاشترىت بها رقاباً واعتقتهم بعد أن جعلت
ولاءهم لل المسلمين (١٥) .

ـ كتب عدي بن ارطاء الى عمر : انه قد أصاب الناس من الماء
غير . . . حتى لقد خشيت أن يبطروا (١٦) .

نفرد عمر بن عبد العزيز :

يقول (براون) في كتابه :

ـ ينفرد عمر بن عبد العزيز عن سائر خلفاء بيته أمية بالورع
والإيمان ، فلم يكن مدفوعاً في ادارته للدولة بسوانح مالية . ولكنـه كان
يرغب في نشر تعاليم الإسلام واحكمـه . . . وكان هذا المعنى مسيطرـاً
على نفسه حبيـباً إلى قلـبه ، ويـعتبر هذا الخليـفة استثنـاءً لما كان عليه خـلفاء

(١٣) عمر بن عبد العزيز - ابن كثير - تعلـيق الشريـاضي - مرجع سابق من ١٠٣ .
ـ تـلا عن ابن عبد المـكـم .

(١٤ ، ١٥ ، ١٦) وردت في عمر بن عبد العزيز لسمـع عبد السلام سـبيب من ٨١ ، ٨٢ .
ـ تـلا عن ابن عبد المـكـم .

بني أمية من طبع واستثناء بالسلطة والنفوذ وبعد عن الطريق
القويم ، (١٧) .

ويكرر الشاعر عريف القوافي نفس المعنى فيقول :

أجبني أبا حصن لقيت محمدـا على حوضـه مستبشرـا ورـاكـه
فـاتـ امـرـ ذـكـرـا يـدـيكـ مـفـسـدـةـ شـالـكـ خـيرـ منـ يـمـنـ سـوـاـكـاـ (١٨)

عصر العباسين ينقصه مثل عمر بن عبد العزيز ١

كان المهدى بالله بن الواثق بعد أن صار خليفة من خلفاء بنى
العباس يقول :

« أتـىـتـهـيـ أـنـ يـكـونـ فـيـ بـنـيـ أـمـيـةـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ وـلـاـ بـكـونـ
مـتـلـهـ فـيـ بـنـيـ الـعـبـاسـ » (١٩) .

فراسة سلق في عمر بن عبد العزيز :

أخبر الليث بن سعد أنه قيل :

الفراسة فراسة العزيز في يوسف النبي عليه السلام حين قال
« التوقي به استخلاصه لنفسه فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين »
(يوسف / من ٥٤) .

وفراسة عمر بن الخطاب في الهلاك حين قال لولده : تزوجها والله
ليوش肯 أن تأتى بفارس يسود العرب فاتت عمر بن عبد العزيز .

وفراسة سليمان بن عبد الملك في عمر بن عبد العزيز حيث قال
والله لاعقدن عقدا ليس للشيطان فيه تصيب فعقد لعمر بن عبد العزيز (٢٠) .

ديمقراطية عهد عمر بن عبد العزيز :

ويقول آخر :

لم يكن عصره قد عرف النظم البرلانية بعد . . . لكن ديمقراطية
الحاكم مع ذلك كانت تبين وتسفر كالشخص من خلال أسلوبه في الحكم .

(١٧) المرجع السابق من ١٦١ تقادم عن

Browne : A Literary History of Persia

(١٨) الطبرى ج ٦ - مرجع سابق من ٥٦٦ .

(١٩) أحمد بن حنبل - للاستاذ عبد الحليم الجنبي من ٩٨٠ .

(٢٠) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عهـدـ الـحـكـمـ - مـرـجـعـ سـاـبـقـ من ٢٠ .

وطريقته في اختيار ولاته وبطانته . واستعداده لقبول النقد ، وسماع كلمة الحق . ونظرته إلى الأمة التي يحكمها ومدى ولاته لمحوها وحرماتها . وبهذا المعيار والمسياط ، يقف عمر بن عبد العزيز في هذا المجال وكأنه نسيج وحده (٢١) .

عدل عمر بن عبد العزيز روض الوحوش :

روى موسى بن أعين الراعي - وكأن يرجى الفتن لمحمد بن عبيبة قال « كانت الأسد والفن والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز في موضع واحد فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب . فقلت : أنا لله ، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك . قال : فحسبناه فوجئناه قد هلك في تلك الليلة (٢٢) . رحم الله عمر بن عبد العزيز ورضي عنه جزاء ما قدم للإسلام وللمسلمين .

تم بعون الله

(٢١) مسيرة الإسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - مرجع سابق من ١٤٠ .

(٢٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشي - تعليق أحمد الشريانى - مرجع سابق من ٦٩ . وورد بهامته أنه بصفحة ٧٠ من ابن الجوزى أكثر من رواية في هذا الشأن .

بعض المراجع

- القرآن الكريم .
- مجمع الفاظ القرآن الكريم - طبعة ثانية - اصدار الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .
- صحيح البخارى للإمام أبي عبد الله البخارى - مصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- المتنصب من السنة - المجلد السادس - مصادر عن المجلسين الأعلى للشئون الإسلامية .
- السبك الجرار المتدقق على حدائق الزهار - لشيخ الإسلام محمد بن عل الشوكاني - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- تاريخ الطبرى - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .
- تاريخ العالم الإسلامي - دكتور إبراهيم السلوى - مطبعة جامعة القاهرة - ١٩٨٦ .
- فتوح مصر وأخبارها - لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى - تقديم وتحقيق محمد صبيح - مؤسسة التعاون والنشر .
- محاضرات فى تاريخ العالم الإسلامي - دكتور محمد الطيب النجاشى - محمد الدراسات الإسلامية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- معاوية بن أبي سفيان فى الميزان - عباس محمود العقاد - طبعة دار الهلال .
- سيدة عمر بن عبد العزيز - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزى - مطبعة المؤيد بالقاهرة .

- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه -
- لأبي محمد بن عبد الله بن عبد الحكم تصحيف وتعليق أحمد عبيد - طبعة ثانية - اصدار مكتبة ومية .
- عمر بن عبد العزيز - الإمام ابن كثير القرشي - تقديم وتعليق أحمد الشريفي - الدار القومية للطباعة والنشر .
- عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - دار الفكر العربي .
- سجدة الإسلام عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - طبعة ثالثة - دار المعارف .
- بطل الأبطال - عبد الرحمن عزام .
- من أخلاق النبي - دكتور أحمد محمد المؤمن - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- من قضايا العمل والمال - الشيخ أبو الوفا المراغي - سلسلة مجمع البحوث الإسلامية .
- المراج - للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم - المطبعة السلفية ومكتبتها .
- الأموال - لأبي عبد القاسم بن سلام - تحقيق وتعليق محمد خليل . حراس - دار الفكر للطباعة والنشر .
- الاقتصاد السياسي المبزه الأول - د. أحمد محمد إبراهيم - طبعة ثلاثة .
- مذكرات نظام الحكم والإدارة - المستشار عمر الشريفي - طبعة مهد الدراسات الإسلامية .
- أبو حنيفة - عبد العليم الجندى - طبعة وزارة التربية والتعليم . ١٩٧٠ .
- أحمد بن حنبل أمام أهل السنة - عبد العليم الجندى - اصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- الإمام الشافعى - عبد العليم الجندى - اصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- خاتم الخلفاء الراشدين - سلسلة مقالات - عبد الرحمن الشرقاوى - نشرت بجريدة الأهرام .

- حقوق الإنسان في صلة الفرد بالجماعة — د. محمد الجين — مقال في مجلد مجمع البحوث الإسلامية — المؤتمر السادس .
- علامة على المراجع التالية للمؤلف والتي أصدرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- الموازنة العامة للدولة — طبعة ثالثة سنة ١٩٧٨ .
- النظم المالية في الإسلام — طبعة ثالثة سنة ١٩٨٦ .
- الإطار الأخلاقي لمالية المسلم — طبعة سنة ١٩٨٣ .
- السياسة المالية للرسول — طبعة سنة ١٩٨٠ .
- السياسة المالية لعمر بن الخطاب — طبعة سنة ١٩٨٤ .
- السياسة المالية لعثمان بن عفان — طبعة سنة ١٩٨٦ .

الفهرس

الموضوع	صفحة
مقدمة	٣
الباب الأول : (السياسة المالية للدولة الإسلامية قبل عمر بن عبد العزيز)	٧
الفصل الأول : (عموميات عن السياسة المالية للخلفاء الراشدين)	٩
الفصل الثاني : (مخالفات مالية في عهد بن أمية قبل عمر بن عبد العزيز)	١٧
الباب الثاني : (خلافة عمر بن عبد العزيز وسياساته المالية)	٣٩
الفصل الأول (خلافة عمر بن عبد العزيز)	٤١
الفصل الثاني : (أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز)	٥٧
الباب الثالث : (الاصلاح المالي للموازنة العامة للزكاة والموازنة الصادمة لخمس الفنايم)	٦٧
الفصل الأول : (الاصلاح المالي للموازنة العامة للزكاة)	٦٩
الفصل الثاني : (الاصلاح المالي لنفقات موازنة الزكاة الاصلاح المالي وموازنة خمس الفنايم)	٧٩
الباب الرابع : (الاصلاح المالي لایسراطات موازنة الجزية والخراج وعشود التجارة)	٩١
الفصل الأول : (الاصلاح المالي لایسراطات الجزية)	٩٣
الفصل الثاني : (الاصلاح المالي لخراج الأرض وعشود التجارة)	١٠٣

الصفحة

الباب الخامس : (اصلاح الانفاق العام ونماذج منه)	١١٥
الفصل الأول : (اصلاح الانفاق العام)	١١٧
الفصل الثاني : (نماذج من الانفاق العام في عهد عمر ابن عبد العزيز)	١٣٩
الباب السادس : (اصلاح ادارة المالية العامة في عهد عمر بن عبد العزيز)	١٤٩
الفصل الأول : (اصلاح سياسة عماله الدولة في عهد عمر بن عبد العزيز)	١٥٠
الفصل الثاني : (المبادئ اساس اصلاح ادارة المالية العامة في عهد عمر بن عبد العزيز)	١٧٩
الباب السابع : (اصلاح نظام العطاء وتطبيق سياساته لرد المظالم في عهد عمر بن عبد العزيز)	١٧٧
الفصل الأول : (اصلاح نظام العطاء)	١٧٩
الفصل الثاني : (تطبيق سياسة رد المظالم في عهد عمر ابن عبد العزيز)	١٩٧
الباب الثامن : (انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته وشهادات له وسياساته)	٢١٧
الفصل الأول : (وفاة عمر بن عبد العزيز وانتكاس سياساته المالية)	٢١٩
الفصل الثاني : (شهادات بتقييم عمر بن عبد العزيز وسياساته)	٢٢٩
بعض المراجع	٢٣٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٦٧٣/١٩٨٨

ISBN ٩٧٧ - ١ - ١٧٧٢ - ٢

هذا الكتاب تجميع أقوال وأعمال عمر بن العزيز بعد تصنيفها ووضعها في سياسات عامة فرعية منبثقة من سياساته المالية لتكوين هادياً ومرشداً لمن يتقدموها

وأفرغت ما ورد بالكتاب في القوالب الفنية للمالية العامة الحالية تحديداً للتراث وتحقيقاً لشهرة الأقباس منه والاتناع به كما دعمت وقائع الموضوع بالقرآن الكريم وبسنة الرسول صلى الله عليه وسلم كلما لزم الأمر بإعتبارهما من مصادر المالية العامة الإسلامية .

ولما كانت سلوكيات عمر بن عبد العزيز و سياساته محل تنويع رؤساء الدول والحكام والأئمة والكتاب والشيوخ على مر العصور ، فقد ختمت الكتاب بشهادات صادق صدرت منهم وبذلك يكون لدى القارئ نبذة من الآراء المختلفة عن صفات وأعمال رئيس دولة إسلامية اعتبره البعض خاس الخلفاء الراشدين .

To: www.al-mostafa.com